مارس (آذار) ١٩٩٢ - رمضان ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest March '92 N° 160

الخطر النووي في أوروبا الشرقية ٩
أجمل نساء الدنيا ١٧
رحلة في القطار الازرق ٢٠
كفاح زوجين ضد الايدز ٢٨
٤ قواعد لنحافة دائمة ٣٣
صربيا الكبرى: كابوس يوغوسلافيا ٣٦
أزمة عمالة في اليابان ٤٣
ألزهايمر، خرف وراثي؟ ٤٩
كلمات حلوة ٥٤
من وضع السم في الشراب؟ ٥٨
أصدقاء الطبيعة ٦٥
قاهرا القطب الشمالي ٧٢
حضارة السيارة ٨٢
هل أولادكم سعداء؟ ٨٤
بين فكي قرش (قصة من واقع الحياة) ٨٨
أعمى يرصد النجوم بأذنيه ٩٥
بيكاسو معلمي ١٠٠
كتاب الشهر: البهلوانة المعجزة ١٠٣
إضحاك الناس... فن ٥

حديقة أفكار ٣ - حكايات من العالم ٢٧
صور من الحياة ٧١ - دائرة المعارف ٩٣

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

٤ قواعد لنحافة دائمة
(ص ٣٣)

كفاحي ضد الايدز
(ص ٢٨)

الخطر النووي في أوروبا الشرقية
(ص ٩)

أجمل نساء الدنيا
(ص ١٧)

فندق الشام

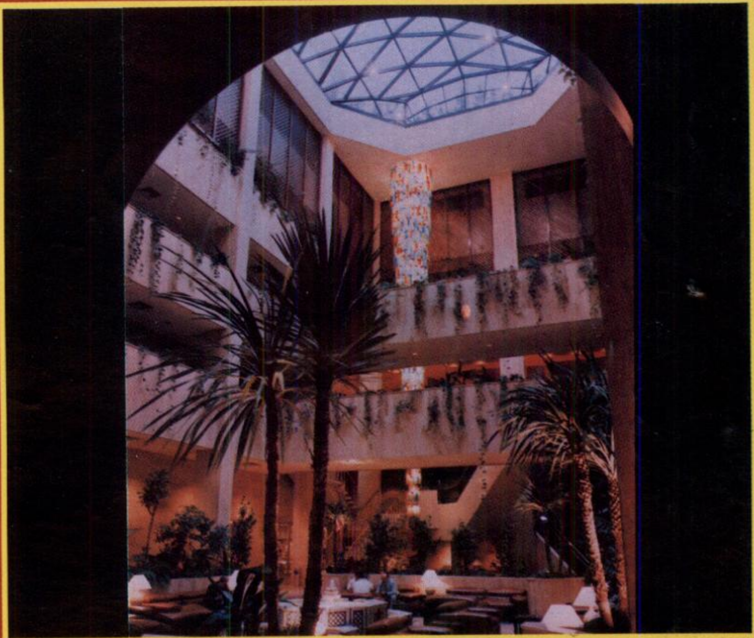

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عمَلك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحّي وحَمام السبَاحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنسَ المطعم الدوّار المطِل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تُعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تُظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .

للحجز : فندق الشام ـ ص.ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجـــلة شهريّـــة

رئيس التحرير – المدير المسؤول: **ادمون صعب.**

مديرة التحرير: **راغدة حداد.** محررة مساعدة: **لورا نفاع.** الاشتراكات: **فريال علاف.**

مدير القسم الفني: **جورج غالي.**

الامتياز: **شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.** الناشر: **شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.**

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: **الدكتور لوسيان دحداح.**

المدير العام المعاون: **داني دحداح – باز.**

التحرير والادارة: **بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.**

التلكس (الموقت): **MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE** . الهاتف: (١) ٣٤١٥٩٧/٣٧٠٥٧٥

الاعلانات: **MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف (١)٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤**

التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ – فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان

التنضيد والتنفيذ: **المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.**

الطباعة: **المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.**

التوزيع: **الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.**

AL MUKHTAR min Reader's Digest

© 1992 BY AN NAHAR P.I.S.A. LICENSEE OF THE READER'S DIGEST ASSN. INC.

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. (1) 341597 / 370575

Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O.Box 11-688, Beirut, Lebanon.

Telex 43283 PRESSE LE. FAX (1) 864572. Tel (1) 216058/327484

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

March '92 N° 160 (New Series) Vol. 14

ريـــدرز دايجستـــ

المؤسسان: **دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.**

الطبعاتـ الدوليّـة

رئيس التحرير: **كنيث تomلنسون.** مدير التحرير: **كريستوفر ولكوكس.** المدير العام: **جورج ف. غرون.**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

حقوق النشر محفوظة لـ"المختار من ريدرز دايجست" بموجب اتفاق خاص مع شركة "ريدرز دايجست" في نيويورك، الولايات المتحدة. يحظر النقل من "المختار" او الترجمة او الاقتباس منها في اي شكل كان جزئيا او كليا، في العربية او في اي لغة اخرى. وهذه الحقوق محفوظة بالنسبة الى كل الدول العربية والافريقية. وقد اتخذت كل اجراءات التسجيل والحماية في العالم العربي والخارج بموجب الاتفاقات الدولية المعقودة لحماية الحقوق الفنية والادبية.

بنان ١٥٠٠ل – سورية ٧٥ل – الأردن ١د – الكويت ١د – الامارات العربية المتحدة ١٠د – قطر ١٠ر – البحرين ١د
لسعودية ١٢ر – مصر ٢ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ٢٥ ر – مسقط ١ ر – قبرص ١.٥ ج
ونس ١د – المغرب ١٠د – الجزائر ٧د – انكلترا ١.٥ج – اليونان ٤٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢.٥د

Pane e Vino

Ristorante Italiano

الثورة الحدث في مضمار المأكل

ولأول مرة في لبنان والشرق الأوسط

«لندع الأكل يكون هو الدواء والدواء هو الأكل»

مطعم **Pane e Vino**

* حيث تأكل وتتلذذ بنوعية جديدة من المأكل الايطالي والفرنسي الأصيل.

* حيث تنعم بالمأكل الصحي الصحيح المدروسى علمياً والغني بالفيتامينات والأملاح المعدنية الأساسية لتجديد الشباب والنشاط .

* حيث تتلقى وانت تتلذذ بأفخر المأكل، الارشادات الصحية لتقوية الجسم وأبعاد شبح الكولسترول عنه.

* حيث أرباب الماكروبيوتيك Macrobiotique يجدوا ما ينطبق على مبادئهم الاساسية للأكل اللذيذ المثالي Culture Biologique

وذلك كله في المطعم الرائد

Pane e Vino

بناية Pergola جونيه تجاه سوبرماركت فهد .

حديقة أفكار

- ليس حمل الناس على محبتك سوى الوجه الآخر لمحبتك أنت اياهم.

نورمان بيل، كاتب ومحرر

- الايمان هو تصديقنا أموراً يحملنا العقل على رفض تصديقها.

ج.س.

- الأعذار مداميك تبنى بها بيوت الفشل.

و.ر.

- يبدو أن كلّ شيء يتغيّر، فالناس باتوا يأخذون ما يقوله الممثلون الهزليون على محمل الجد وما يقوله السياسيون على سبيل المزاح.

ويل روجرز، فكاهي وممثل أمريكي

- كن صبوراً مع الجميع. ولكن، قبل كل شيء، كن صبوراً مع نفسك.

ق.ف.

- اذا فكرت طويلا في ما ستقرر أن تفعله بحياتك، فستكتشف في النهاية أنك فعلت ما قررت.

ب.ش.

- لا يقتصر فنّ المحادثة على قول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب، بل يتعداه الى عدم قول الكلمة الخطأ حين تغري اللحظة بذلك.

د.ن.

- نحن، من دون ثقافة، في خطر رهيب من أن نصدّق كل ما يقوله لنا المثقفون.

غ.ك. تشسترتون، كاتب بريطاني

- كل ما يستحق الاعزاز في هذا العالم يبدأ بالقلب، لا بالرأس.

س.ت.

مع الحدث دائماً
قبل الحدث غالباً

RMC

راديو مونت كارلو

LINKS

36, RUE WASHINGTON 75008 PARIS FRANCE - TÉLÉPHONE (1) 45 63 58 25 - TÉLEX 648730 LINKS F - TÉLÉFAX (1) 42 89 85 81

كاتب فكاهي يفشي بعض الأسرار في مهنة إضحاك الآخرين

إضحاك الناس... فن

عمل جين بيريت طوال عشرين سنة في تأليف نكات للكوميدي الأمريكي بوب هوب، وكان السفر جواً من صميم عمله. وفي إحدى الرحلات، بينما كان منشغلا عن الاصغاء الى تعليمات النجاة التي تتلوها المضيفة على مسامع الركاب، استرعت انتباهه عبارة فأرهف السمع. قالت المضيفة: "هناك خمسون طريقة للتخلص من حبيب، ولكن ثمة خمس طرق فقط للخروج من هذه الطائرة." وأضافت قبيل الاقلاع: "الرجاء اعادة المقاعد الى وضعها المستقيم الأكثر إزعاجاً، وبعد الاقلاع يمكنكم ارجاعها وكسر ركبتي المسافر الجالس خلفكم."

ويستشهد بيريت بهذه الطرفة لدلالتها. فروح الفكاهة تلفت انتباه أي شخص وتمرّر الرسالة المطلوبة. يقول بيريت: "يعجز بعض الاشخاص عن

CONDENSED FROM FORBES (OCTOBER 15, '90), © 1990 BY FORBES, INC., NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATION: CARY HENRIE

رواية أي طرفة حتى إن تكن روايتها تنقذهم من حبل المشنقة. ولكن في وسع كل انسان أن يكتسب روح الدعابة ويتعلّم فنون الظرف ويبرع فيها."

ويكمن السر في تنمية أسلوب خاص واتقان بعض الخدع والتمرن عليها وقتاً كافياً.

والخطوة الاولى التي يوصي بها بيريت هي جمع "زاد" من القصص الطريفة. دوّنوا ٢٥ طرفة تجدونها مضحكة. ثم حاولوا أن تعرفوا إن كنتم تنجحون أكثر في رواية الطرائف الطويلة أو في رواية النكات المحكمة المقتضبة. لا تحاولوا الظهور بغير مظهركم. يقول بيريت ان تبنّي المرء مواضيع غير مناسبة يشبه تعليم حمار الغناء مما يزعج الحمار ويضيع وقت المعلِّم.

ابحثوا عن الفكاهة على الدوام وليس فقط قبيل عزمكم على استعمالها. وقد تفي كتب الطُرَف بالطلب، الا أن بيريت يقترح البحث عن مواضيع في ثنايا الذاكرة. ويذكر مثلاً يوم جاءته ابنته الصغيرة، وكانت في صف الحضانة، وأخبرته أن المعلمة طلبت منها القاء قصيدة في حفلة المدرسة. فعرض عليها تأليف قصيدة خاصة تلقيها، لكنها أجابته: "لا يا أبي، فأنا سألقِي القصيدة أمام المدرسة كلها، لذا أفضل أن تكون جيدة."

فما من طرفة تريح الناس أكثر من تلك التي تنتقص من ذات صاحبها.

وينصح بيريت بتعديل الطرفة بحيث تلائم أسلوب الراوي وألفاظه.

ومن الضروري أيضاً تكييف المواضيع وفقاً للسامعين. تحدث بيريت مرة أمام جمع من مديري مطاعم "ماكدونالد" للوجبات السريعة، فقال: "لقد باعت مطاعم ماكدونالد أكثر من ٧٥ مليار شطيرة همبرغر. وهي تمكنت من احصاء العدد تحديداً لأنها باشرت اليوم استعمال الكيلوغرام الثاني من اللحم المفروم."

يقول بيريت: "كلما كانت الدعابة دقيقة ووثيقة الصلة بالموضوع زادت قدرتها على إضحاك المستمعين."

ولكن حاذروا الدعابة المهينة. ففي حفلة أقامتها إحدى الشركات روى بيريت طرفة طويلة تدور حول آلة طابعة لم تعمل يوماً. وفي منتصف الرواية استشاط مدير القسم الذي أنتج الآلة ونَهَر بيريت. وقد تعلم هذا منذ تلك الحادثة عدم المساس بمشاعر الآخرين والتزم السخرية من الامور التي يسخر أصحابها من أنفسهم علناً.

وعندما يهزأ بوب هوب بأحد الرؤساء فان سخريته لا تنال من السياسة الخارجية للرئيس بل من لعبة الغولف التي يمارسها أو من خيباته في الصيد.

واحدى القواعد الاساسية في فن بيريت هي الآتية: "اذا شككتَ في سلامة النكتة، فلا تروها."

وينصح بيريت باسقاط فكرة بدء خطاب أو انهائه بطرفة، لأن ذلك يعكس شعوراً بعدم الثقة. أما اذا كنتم تصرون على سماع قهقهة قبل التطرق الى

موضوع خطابكم، فتذكروا أن تحمِّلوا الطرفة مدلولا قوياً يدعم الخطاب.

ولكي تدعموا مقصدكم أعقبوا كلمتكم بطرفة صائبة. طلب مدير من موظفيه التصدي للمسائل المستعجلة أولاً، ودعم حجته بالآتي: "هناك مثل شائع في بلدتي يقول: إن اضطررت الى ابتلاع ضفدعة فلا تطل النظر اليها."

واذا شعرتم بضرورة إنهاء حديثكم بطرفة، فتحققوا من أنها ستلقى نجاحاً. فعندما تخيب طرفة الختام تتعسر تسوية الوضع لاحقاً.

الكوميديون المتمرسون أنفسهم لا يستبعدون الاخفاق بل يستعدون له ويستعينون عند الحاجة بما يعوض خيبتهم. حين يلقي بوب هوب طرفة فاشلة فانه يتبعها بعبارة مثل: "قالت لي زوجتي ان هذه الطرفة لن تضحك الناس، وأرى أنكم من رأيها."

واليكم تعليمات أخيرة: لتكن طرفتكم قصيرة، وأخبروها بروية، ولكن مهما تكن مضحكة فاياكم أن تستغرقوا في الضحك وأنتم تروونها.

ديان مشان ■

الدراسة بالمراسلة وعدم أخذ بالجدية بعض الناس بها

يظن بعض الناس أن الفرد لا يستطيع الحصول على نوعية جيدة من
سة إذا درس بالمراسلة كما أن بعض الناس أيضا يظن أنه إذا درس الفرد
طريق المراسلة فانه لن يجدّ ويجتهد ويتعب للحصول على الدبلوم أو
ادة التي يريد الحصول عليها. كما أن بعض الناس أيضا يختلط عليهم الأمر
ما يسمى «مصانع الشهادات المزيفة» والمعاهد الشرعية ذات الصفة
رنية للدراسة بالمراسلة. إذا كنت عزيزي القارىء واحد من أولئك، فنرجو
ستمر في قراءة هذا الأعلان.

أن المدارس العالمية بالمراسلة (ICS) توجه الدعوة للأفراد الذين يهتمون
مهم ومستوى ثقافتهم سواء أدرسوا في كليات أو جامعات رسمية أو من
ل المراسلة. وهي أيضا توجه الدعوة للأفراد الجادين الملتزمين الذين
ون أنفسهم على الدراسة والجد ليتمكنوا من الحصول على الفائدة المثلى من
حاق بالدورات الدارسية التي تقدمها المدرسة دون الحاجة للسفر للخارج.
تم الحصول على الدبلوم أو الشهادة المطلوبة إلا بعد أن يتم الاجتياز
ح تام لكافة متطلبات الدورات الدراسية المعترف بها من قبل **«المجلس
لني للدراسة المنزلية»** والتي تضمن لك نوعية عالية الجودة من الثقافة
ليم.

والأن يمكنك الاختيار من (٤٤) أربعة وأربعين دورة دراسية تؤهلك
صص في حرفة أو مهنة معينة من المهن التي تتطلب مهارات وثقافة معينة.
رج لك فيما يلي الدورات الدراسية، **وما عليك إلا** اختيار حقل التخصص
هنة التي ترغبها والإشارة إلى ذلك على القسيمة وأرسالها مع قصاصة هذا
لان. أرسلها **«اليوم» ولا تتهاون بها**. وسنرسل لك بدورنا **معلومات** مجانية
لة عن التخصص الذي ترغب الألتحاق به وتكاليف الدراسة وبرنامجها.

تذكر عزيزي القارىء أنه ليس هنالك آية التزامات تفرض عليك إذا
ت طلبك هذا للتعرف على الدراسة بالمراسلة في معهدنا.

برامج شهادة جامعية

متوسط في التجارة

٦٠ إدارة أعمال
٦١ محاسبة
٨٠ إدارة أعمال مع تخصص في التسويق
٨١ إدارة أعمال مع تخصص في المالية

برامج شهادة جامعية

متوسط في التقنية الهندسية

٦٧ تقنية الإلكترونيات
٦٢ تقنية الهندسة الميكانيكية
٦٣ تقنية الهندسية المدنية
٦٥ تقنية الهندسة الكهربائية

برامج دبلوم مهنية

٥٦	برمجة كمبيوتر	٠٤	ميكانيكي سيارات
٠٧	الشهادة الثانوية الأمريكية	١٨	محاسبة
٥٩	الطهي والتموين	٠٢	ألكترونيات أساسي
٢٠	مساعد طبي وأسنان	٢١	أعمال سكرتارية
٥٧	تصليح الكومبيوتر المصغرة	٠٦	كهربائي
٠٥	إدارة مطاعم والفنادق	٢٩	علوم الشرطة الجنائية
١٤	تكييف وتبريد	٣٢	فنون
١٢	ديكور وتصميم داخلي	٠٩	سكرتير قانوني
٥١	أزياء وتجارة ملبوسات	٥٥	ميكانيكي ديزل
٣٣	تصليح دراجات نارية	٨٧	صيانة التلفزيون والفيديو
٥٢	مساحة وخرائط	٠٣	عناية ورعاية أطفال
٩٤	لياقة وتغذية	٣٥	السياحة والسفر
٢٢	المحافظة على الحياة البرية	٢٦٠	(أ) هندسة معمارية
١٩	مساعد طبيب بيطري	٢٦٠	(س) مخرطة
٢٤٦	صيانة ألكترونيات الرقمية	١٦١	هندسة عامة
٢٦٠	تجارة البناء	٤٠	تصوير
١٠٦	تجارة عامة	٤١	صحافة/ كتابة القصة القصيرة
١٦	لغة إنجليزية تطبيقية	٤٢	تفصيل وخياطة ملابس

للحصول على المعلومات فقط قص هذا الاعلان وارسله الى العنوان التالي:

ICS SINCE 1890

آي سي إس - قسم : AAE32

ص.ب: ٥٢٧٩٦ الرياض ١١٥٧٣

المملكة العربية السعودية (هاتف ٤٦٤٩٧٣٣ - فاكس ٤٦٤٩٧٣١)

الرجاء إختيار مادة واحدة فقط من التخصصات في هذا الفراغ ______

Name ______________________ Age ______

Address ______________________

City ______________________

Country ______________ Phone ______________

Z149

ظة:

ع البرامج المذكورة تدرس باللغة الإنجليزية

و التكرم بكتابة الأسم والعنوان

ة الإنجليزية كما هو موضح

موسوعة الدّحداح في علم العربيّة

١ ـ معجم قواعد اللّغة العربيّة في جداول ولوحات

٢ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ) (فرنسيّ ـ عربيّ)

٣ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ) (إنكليزيّ ـ عربيّ)

٤ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ عربيّ)

٥ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ)

٦ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ)

٧ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة

٨ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة (الوسيط) ـ يصدر قريبًا ـ

٩ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ عربيّ)

١٠ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ إنكليزيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١١ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ فرنسيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١٢ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (الوجيز) ـ يصدر قريبًا ـ

السَّفير
أنطوان الدَّحداح

مكتبة لبنان

تباع في جميع المكتبات

Reader's Digest
المختار
مارس (آذار) ١٩٩٢
رمضان ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

تقرير خاص

الخطر النووي في أوروبا الشرقيّة

المفاعلات النووية في أوروبا الشرقية تفتقر الى أنظمة سلامة وافية وتهدد بحدوث كوارث نووية في المستقبل القريب

لو كان للقلق أن يولّد طاقة كهربائية، لاستطاع جوردان جوردانوف بمفرده اضاءة بلغاريا كلها. لكنه بدل ذلك مضطر الى الاعتماد على مفاعلات نووية هي من أقدم المفاعلات في الخدمة. جوردانوف هو المسؤول عن السلامة في مصنع الطاقة النووية الوحيد في بلغاريا الكائن في كوزلوداي على مسافة ١٢٠ كيلومتراً من شمال العاصمة صوفيا. وحياته ليست سهلة، اذ يقول: "لدي نصف ما أحتاج اليه من العمال المجازين، وجهازا كمبيوتر من دون طابعة، وآلتان ناسختان من دون ورق، وتُكتب تقاريرنا باليد اذ لم تعد لدينا أشرطة للآلات الكاتبة."

تعرَّض مصنع الطاقة في كوزلوداي في يونيو (حزيران) ١٩٩١ لاقسى عملية تفتيش في تاريخه جاءت نتائجها مذهلة ومثيرة للذعر. فقد أفاد فريق من المفتشين الغربيين الذين أوفدتهم الوكالة الدولية للطاقة الذرية في تقريرهم الذي

PHOTOS: ARNAUD ADIDA/GAMMA.

غطى ١٤٤ صفحة، أن حالة المصنع "غير مقبولة" وحذروا من أنه "من غير الحكمة" تشغيل أربع من الوحدات الست في المصنع. وخلال عشرة أيام في يوليو (تموز) اكتشفت ثلاث حالات تسرب اشعاعي واندلع حريق واحد.

تؤوي كوزلوداي أربعة من أصل ٢٤ مفاعلا نوويا سوفييتية التصميم تعمل بالماء المضغوط وتستخدم لتوليد الطاقة في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي. ومنها ثمانية في تشيكوسلوفاكيا وأربعة في المجر (هنغاريا) وثمانية في الاتحاد السوفييتي. وظلت ألمانيا "الشرقية" تستخدم أربعة من هذه المفاعلات حتى اعادة توحيد الالمانيتين عندما أمرت الحكومة في بون باغلاقها لانها لا تفي بمقاييس السلامة المعتمدة في الغرب.

وتعتبر هذه المفاعلات من وجهة نظر عدد متنام من النقاد كوارث كامنة تنتظر الوقوع. وتكتسب التحذيرات في شأنها صدقية اكبر لانها تصدر أيضاً عن هيئات تؤيد استخدام الطاقة النووية لتوليد الطاقة، ومن أبرزها الوكالة الدولية للطاقة الذرية وهي سلطة الرقابة التي أقامتها منظمة الامم المتحدة للاشراف على مصانع توليد الطاقة النووية في العالم، واللجنة الاستشارية الدولية للشؤون النووية وهي "نادٍ" مستقلّ من علماء ذرة ومسؤولين حكوميين ومديري مصانع من ٢٤ بلداً. حتى نادي موسكو الدولي للطاقة، وهو هيئة مستقلة من الخبراء، انضم الى دعاة القيام "باجراء طارىء ورئيسي" لدراسة هذه المفاعلات التي عفاها الزمن لتقرير اصلاحها أو اغلاقها.

ويحذر ولفغانغ كرومب عضو اللجنة النمسوية التي تولت فحص المفاعلات الاربعة في المصنع التشيكوسلوفاكي للطاقة في بوهونيس التي تبعد ٥٥ كيلومتراً فقط عن الحدود مع النمسا، من "احتمال مواجهة انصهار في قلب المفاعل النووي[١] على المدى الطويل اذا استمر تشغيل المفاعلات." وهذا ما حدث في تشيرنوبيل: انصهار يحترق خلاله الوقود النووي من دون ضابط داخل قلب المفاعل فتتسرب ذرات مشعة الى الجو والارض.

ضمّنت اللجنة تقريرها الذي صدر في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠ "سيناريو" حادث رهيب يمكن أن يقع في بوهونيس: اذا حصل انصهار نووي، وكان الطقس صاحياً في الموقع والريح تهب خفيفة من الشرق والطقس ماطراً في النمسا، فستتلوث مساحة ٧٥٠ كيلومتراً مربعاً الى الشمال من فيينا الى درجة خطيرة جداً خلال ساعات قلائل. وسيقتضي التسمم الاشعاعي اجلاء فورياً للسكان من منطقة التلوث.

طلبت الحكومة النمسوية التي أقلقها التقرير اغلاق اثنين من المفاعلات الاقدم في بوهونيس. وعرض المستشار النمسوي فرانز فرانيتزكي تعويض تشيكوسلوفاكيا النقص في الطاقة الكهربائية الناتج من اغلاق المفاعلين،

(١) A core meltdown

ورشة صيانة توربينات في مصنع كوزلوداي النووي لانتاج الطاقة حيث أوضاع العمل "غير مقبولة" والحوادث حتمية.

لكن تشيكوسلوفاكيا رفضت العرض.

عندما صمم السوفييت هذا "الجيل" المبكر من المفاعلات «VVER-440» في أوائل الستينات، اعتبرت آمَنَ كثيراً من الطراز ذي القلب الغرافيتي في تشيرنوبيل. فهي أصغر، ولذلك تحتوي على كمية أقل من اليورانيوم، ثم إن ابطاء التفاعل النووي وضبطه أسهل فيها. وهي تحوي الى ذلك كمية من الماء داخل دوائر التبريد أكبر مما تحويه المفاعلات التي تعتمد القلب الغرافيتي، مما يشكل نظرياً حماية أفضل من الانصهار. ولكن خلافاً للنماذج الغربية، لم تكن لأي من المفاعلات السوفييتية قبة حاوية[٢] ذات جدران كثيفة من الفولاذ والاسمنت لحصر الاشعاعات في حال حصول تسرب خطير أو انصهار.

ممارسات خطرة. قمت عام ١٩٩٠ بجولة على مصانع الطاقة النووية في بلغاريا وألمانيا "الشرقية" وتشيكوسلوفاكيا للاطلاع على مشاكلها عن كثب. وحالما وصلت الى مصنع كوزلوداي في بلغاريا شاهدت أنابيب خضراء ضخمة تمتد من مجمّع من

(٢) Containment dome

المباني الاسمنتية الخفيضة عبر حقول القمح السمراء في اتجاه البلدات القريبة لتغذيتها بالحرارة. ومعلوم أن القوة الزلزالية[٣] لهذه المنطقة من سهل الدانوب هي ٦ درجات بمقياس .M.S.K. ولم تُراع في تصميم مصنع الطاقة في كوزلوداي مقاومته للهزات الارضية. فلما تعرضت المنطقة عام ١٩٧٧ لهزة راوحت قوتها بين ٥ و٦ درجات، قاربت أنابيب التبريد الرئيسية حد التمزق وتسريب البخار المشبع بالاشعاعات.

ما ان دخلتُ المصنع حتى قادني أحد الموظفين الى غرفة التوربينات (العنفات) حيث تصمّ الضوضاء الآذان وحيث انتشرت على الارض بقع من الزيت والماء. وكانت الثقوب في الارض المعدنية فاغرة بعرض متر، والخرق البالية وكسر الخشب مصائد سهلة للحرائق. وقد شهد مصنع كوزلوداي أكثر من ثلاثين حريقاً منذ أبريل (نيسان) ١٩٨٧، حصل ١٢ منها في العام ١٩٩٠ وحده. ويزداد خطر هذه الحرائق في غياب فواصل عازلة للنار بين أقسام المصنع.

توقفتُ خارج غرفة المراقبة لوحدة الانتاج الرقم ١ لانظر الى أجهزة التشغيل الكهربائية. كل الدوائر، ويعود تصميمها الى الستينات، هي ميكانيكية وليست الكترونية كمثيلاتها في الغرب. وميزة مفاتيح التشغيل الالكترونية أنها ذاتية المراقبة تختبر أداءها كل بضع ثوان، أما في النماذج المستخدمة في كوزلوداي، فيتولى تقني فحص كل دائرة يدوياً، وهي يمكن أن تتعطل بعد دقيقة من الفحص.

تترك هذه التكنولوجيا العتيقة النظام الكهربائي عرضة للخطأ البشري. ويعمد المهندسون في مصنع غريفسفالد النووي لتوليد الطاقة في ألمانيا "الشرقية" الى حشر علب سجائر فارغة بين نقاط تماس المرحّلات[٤] لتقويم بنية الاجهزة.

وثمة خطأ رئيسي آخر في تصميم هذه المصانع هو تجميع أنظمة السلامة في مكان واحد بدلا من ابقاء نظام الدعم الاحتياطي مفصولا تماماً كما في مصانع الغرب. لذا قد يؤدي حريق أو فيضان أو أي خلل فني آخر في غرفة واحدة الى تعطيل أنظمة السلامة حول المفاعلات حيث أهميتها الرئيسية. وقد تسبّب حريق شب في غرفة المفاتيح الكهربائية في غريفسفالد عام ١٩٧٥ في انقطاع تام للتيار الكهربائي شلّ جميع مضخات التبريد الاثنتي عشرة لاحد المفاعلات، وبدأت الحرارة داخل قلب المفاعل ترتفع على نحو خطر. فهرع العمال مسعورين في كل اتجاه لاخماد النار واعادة التيار وتشغيل المضخات، وتمكنوا في النهاية من اعادة تشغيل احدى المضخات وتفادي حصول انصهار.

لم تظهر القصة في الصحف الا بعدما بادر عاملون ألمان شرقيون الى ابلاغ حكومة ألمانيا الغربية بالحادث عام

(٣) Seismic intensity

(٤) Relay contacts

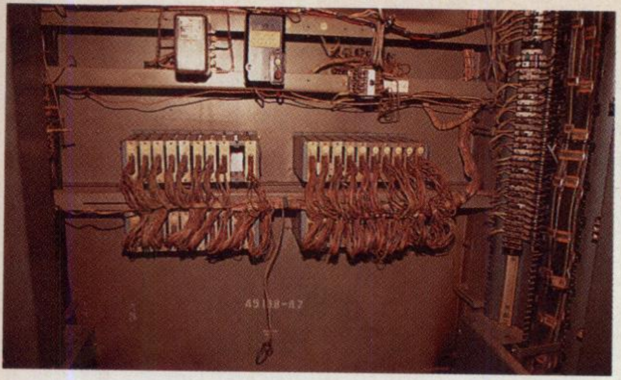

أسلاك كهربائية مكشوفة على لوحة التحكم في كوزلوداي.

١٩٩٠، فترافقت وأخباراً أخرى عن ممارسات خطرة في غريفسفالد مما أثار ضجة واسعة في أوساط الرأي العام. وفي نهاية تلك السنة أغلق آخر المفاعلات الاربعة في المصنع.

لا ضمانات. داخل غرفة المراقبة لوحدة الانتاج الرقم ١ في كوزلوداي وقفت أمام منظومة مزدحمة من الساعات وأجهزة القياس والمفاتيح يشرف عليها ثلاثة مهندسين. اذا كان من مكان يوحي الامان في مصنع نووي للطاقة فهو غرف المراقبة، لكن مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية اكتشفوا أن غرف المراقبة لاربعة مفاعلات في كوزلوداي لا يمكن عزلها تماماً عن مؤثرات خارجية كالتسربات الاشعاعية والحرائق. ولم يكن في وحدتي الانتاج ١و٢ لوحات تشغيل في الاحوال الطارئة، كما أن هذه اللوحات في الوحدتين ٣و٤ هي قريبة من غرفتي المراقبة بحيث تصبح بلا جدوى.

قادني مهندس خارج غرفة المراقبة الى منصة تطل على قاعة المفاعل وهي غرفة كبيرة بطول ملعب كرة قدم. وفيها قُبّتان برتقاليتان بارتفاع خمسة أمتار وعرض ستة تغطيان أوعية الضغط في المفاعل° المدفونة حتى نصفها تحت الارض.

أُخبرتُ أن هذه الاوعية تشكو خطأين في التصميم: الاول في تصميم دوائر التبريد الرئيسية وأنابيب الوصل المعدنية التي يبلغ قطرها ٥٠٠ مليمتر والمتشعبة من قلب المفاعل داخل الوعاء. ويبقى الماء المعالج كيميائياً داخل دائرة التبريد سائلا بدل التبخر بفعل الضغط الهائل. لقد صمم السوفييت الدوائر لتتحمل تمزقاً صغيراً فقط – ٣٢ مليمتراً بدلا من ٥٠٠ مليمتر كما في المنشآت الغربية. ويقول فريدريك نيهاوز رئيس قسم السلامة النووية في الوكالة الدولية للطاقة الذرية: "اذا تعرض أحد الانابيب

(٥) The reactor pressure vessels

الكبيرة للتمزق أصبح الانصهار قريب الاحتمال."

والخطأ الثاني هو أن أوعية الضغط ليست واسعة كفاية. ودفق النيوترونات الذي يولده قلب المفاعل يقصف جدرانها باستمرار مما يضعفها ويجعلها هشة. ويفسر ليوبولد فايل رئيس قسم السلامة النووية في مكتب الوقاية من الاشعاع في ألمانيا الامر بقوله: "تعرّض هشاشة الجدران الوعاء لخطر التمزق وخصوصاً في حال تبريد سريع."

وليست أخطاء التصميم المشاكل الوحيدة في كوزلوداي. يفيد تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية: "دأبت الدوائر الحكومية وادارات المحطات على التركيز على أولوية انتاج الطاقة وإن على حساب السلامة النووية." وقد نتج من ذلك تراكم من العاملين غير الاكفياء والمجهدين فوق طاقتهم واللامبالين الى حد مذهل، فهم يعرضون أنفسهم للاشعاعات ويهملون تدابير الصيانة الاساسية واجراءات الطوارىء. فخططهم لمواجهة حالات طارئة هي "قاصرة" بحسب مصادر الوكالة الدولية للطاقة الذرية، "وعملية الصيانة لا تضمن أداء أنظمة السلامة والطوارىء اذا ما وقع حادث خطير."

تلوث نووي؟ اضطر البلغاريون في الماضي الى الاعتماد على مستشارين سوفييت لمساعدتهم في تشغيل المفاعلات النووية. لكن هؤلاء المستشارين تركوا كوزلوداي في أوائل العام ١٩٩١ لخلاف على الاجور، آخذين معهم خبرتهم ومعرفتهم بالمصنع التي لم تتوافر للعاملين البلغاريين. ويقول موريس روزين مدير قسم السلامة النووية في الوكالة الدولية للطاقة الذرية: "ثمة مواصفات كثيرة لم يعلنها السوفييت. ونعتقد أن بعض هذه المعلومات غير موجود أصلا، وأن بعضها لا يمكن أخذه منهم."

لكن التشيكوسلوفاكيين هم أسوأ حالا من جيرانهم في ما يختص بتخزين الوقود النووي المستهلك. وتشاهَد أبراج التبريد الثمانية في مصنع بوهونيس عن بعد كيلومترات، وهي تطل على الارض المحيطة بالمصنع. وقد أشار المهندس الكيميائي ايفان سميتشكو خلال جولة في المصنع الى مبنى منخفض قاتم اللون وقال: "داخل هذا المبنى برك مغطاة بالاسمنت محفورة عميقاً في الارض وتحوي واحداً من أكبر تراكمات الوقود النووي المستهلك في أوروبا الشرقية."

صممت هذه البرك أساساً لاحتواء الوقود المستهلك في سنة أو سنتين قبل شحنه الى الاتحاد السوفييتي للتخلص منه. لكن السوفييت يطلبون الآن مقابلا بالعملة الصعبة: نحو ١٠٠٠ دولار أمريكي للكيلوغرام الواحد. ولم تعلن أي من الدول التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفييتي استعدادها للدفع. وما زالت برك التخزين هذه تمتلىء بسرعة في أنحاء أوروبا الشرقية.

يقول جوزف فافروتشيك وزير البيئة

التشيكوسلوفاكي: "لقد حدثت تسربات كبيرة من مواد السيزيوم والبلوتونيوم المشعة من مصنع بوهونيس الى نهر دودفا القريب." ويكمن خطر أكبر من هذا في احتمال وقوع زلزال، إذ إن المصنع صمّم لتحمل زلازل تراوح قوتها بين ٥ و٦ درجات بمقياس .M.S.K فيما صنفت المنطقة المحيطة ببوهونيس ضمن نطاق زلازل بقوة ٧ أو ٨ درجات. وقد يؤدي تفجّر كبير في برك التخزين الى تدفق النفايات النووية الى نهر دودفا ومنه الى نهر الدانوب.

حلول وبدائل. ما هي بعض الحلول الممكنة لمشاكل هذه المفاعلات الخطرة؟

ان اعادة تأهيل الوحدات لتطابق المقاييس الغربية أمر غير عملي لان كلفتها قد تعادل كلفة بناء وحدات جديدة. لكن التشيكوسلوفاكيين وضعوا لائحة طموحه تتضمن ٨١ عملية تحسين لمصنع بوهونيس اضافة الى بناء قبب حاوية. (تقدر كلفة كل عملية بنحو ٥٠٠ مليون دولار.) وهم بدأوا فعلا تقوية المفاعلات تحسُّباً للزلازل، كما وعدوا بعزل انظمة السلامة ما أمكن ورفع مستوى تدريب العاملين في المصنع. لكن نيهاوز من الوكالة الدولية للطاقة الذرية يشكك في نجاح هذه الاجراءات ويحذر من استحالة "تعويض خلل في التصميم الاساسي عبر تحسين الاداء."

لا تملك حكومات دول أوروبا الشرقية خيارات كثيرة. ويلاحظ ليوبولد فايل من ألمانيا أن السلطات "لا يمكنها اغلاق مفاعلاتها حتى لو أرادت ذلك، لانه يعني المجاعة."

ويأتي ٢٧ في المئة من الطاقة الكهربائية المنتجة في تشيكوسلوفاكيا من المفاعلات النووية، وتعتمد بلغاريا على مصنع كوزلوداي لتأمين ٤٠ في المئة من الطاقة الكهربائية، وتواجه المجر التي تستمد نحو نصف طاقتها من مصنع واحد في باكس المأزق نفسه.

ما هي البدائل؟

يجب أولا اجراء خفض كبير في استهلاك الطاقة، فقد شجعت الطاقة الرخيصة المدعومة من الدولة على تبديد هائل في الطاقة. ويستهلك التشيكوسلوفاكيون، مثلا، ضعفي الطاقة المستهلكة في الغرب لانتاج السلع ذاتها. كذلك استهلكت المباني الاسمنتية العارية من المواد العازلة والتي تشكل النموذج السكني في أوروبا الشرقية، طاقة حرارية للتدفئة على مدى ثلاثين عاماً بلغت كلفتها عشرة أضعاف كلفة البناء. ويمكن خفض استهلاك الطاقة على نحو ملحوظ بتركيب أجهزة ترموستات[٦] وعدادات للحرارة والماء الساخن وعوازل للمنازل. وفي وسع أوروبا الشرقية اعتماد مصادر أخرى للطاقة مثل الماء والهواء.

وماذا عن بناء مصانع نووية جديدة لتوليد الطاقة؟

تسعى شركات "وستنغهاوس" الامريكية و"سيمنز" الالمانية و"فراماتوم" الفرنسية الى بيع مفاعلات

جديدة من أوروبا الشرقية. لكن حكومات المنطقة لا تملك من العملات الصعبة ما يكفي لدفع ملياري دولار ثمناً لكل مفاعل جديد. ويعرض بعضها، بدلاً من ذلك، دفع القيمة للشركات المصنعة في شكل قدرات مستقبلية لتوليد الكهرباء. وقد وقعت حكومة تشيكوسلوفاكيا عقداً لتزويد مؤسسة الكهرباء الالمانية "بايرنفرك" طاقة من مصنع ذي قوة ١٧٦٠ ميغاواط يجرى بناؤه حالياً في موتشوف، في مقابل الآلات من "سيمنز."

وثمة عقبة كَأْداء أخرى أمام استخدام الطاقة النووية هي المعارضة الشعبية. وتبلغ نسبة معارضي هذا الاستخدام نحو ٤٠ في المئة في تشيكوسلوفاكيا والمجر وأكثر من ٥٠ في المئة في بلغاريا. وقد أوقفت الاحتجاجات الشعبية خلال ١٩٩٠ و ١٩٩١ العمل في بناء مفاعلات جديدة في تيملين في جنوب تشيكوسلوفاكيا وقرب بيلين في بلغاريا.

تحذير من القلب. من الواضح أن لا حل ممكناً من دون رؤوس أموال وخبرات غربية فورية. وقد دعت المجموعة الاوروبية ووكالة الطاقة النووية التابعة لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصاديين خبراء نوويين من أوروبا الشرقية الى المشاركة في مشروع قائم لتطوير مستوى سلامة الاوعية وشبكات الانابيب في المفاعلات. كما أجرت وزارة البيئة الالمانية محادثات في تشيكوسلوفاكيا تناولت المشاكل التي تواجه مصنعي غريفسفالد وبوهونيس. ووافقت وكالة الطاقة الذرية في فرنسا على مساعدة التشيكوسلوفاكيين في تحديث مفاعلاتهم، بينما أرسلت مؤسسة الكهرباء الفرنسية مهندسين للعمل في كوزلوداي. كذلك تأسس اتحاد أوروبي في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ لرفع مستوى السلامة في المصانع النووية لانتاج الطاقة في بلغاريا.

لم يقدم الغرب مساعدات مالية، لكن هذه السياسة قد تتبدل. فبعد نشر ذلك التقرير المرعب للوكالة الدولية للطاقة الذرية عن مصنع كوزلوداي منحت المجموعة الاوروبية بلغاريا ١١ مليون وحدة نقدية أوروبية (ايكو) لتحسين عمليات الصيانة واعادة تدريب العاملين وشحذ ما يدعى في الصناعة النووية "ثقافة السلامة."

ويبقى سيف كارثة نووية مسلطاً فوق أوروبا. قال لي لوتشيزار توشيف في مكتب مجموعة "ايكوغلاسنوست" البلغارية لحماية البيئة في صوفيا: "تعاني بلغاريا وضعاً اقتصادياً كارثياً. ويستحيل علينا اغلاق مفاعلات كوزلوداي الخطرة، على رغم رغبتنا الشديدة في ذلك، من دون مساعدات من أوروبا الغربية."

فهل يسمع صانعو السياسة في الغرب والشرق تحذير توشيف النابع من القلب؟

ريتشارد كوفنغتون ■
ترجمة فواز خوري

(٦) الترموستات (thermostat) اداة لتنظيم الحرارة.

للحريّة أشكال، إن أنت فقدت شكلاً فعليك البحث عن آخر

أجمل نساء الدنيا

اعتقدت، مثل غالبية الأولاد، أن أمي قادرة على كل شيء. كانت امرأة مفعمة بالحيويّة والنشاط، تمارس كرة المضرب وتخيط ملابسنا وتحرّر زاوية في صحيفة. اعتدت أن أشعر بالرهبة حيال جمالها وانجازاتها.

كانت تحب التسلية وتمضي ساعات في تحضير المقبلات وملء البيت بالزهور من حديقتها وإعادة ترتيب الأثاث واستقبال صديقاتها.

وأقف مسمرة أراقبها وهي ترتدي ملابسها للمناسبات. وما زلت أذكر ذلك الثوب الأسود، المفضل لدينا، بصداره القاتم المزركش الذي يبرز شعرها الأشقر. واذ تنتعل حذاءها الأسود العالي تصبح في نظري أجمل نساء الدنيا.

إلا أنّ حياتها تبدلت في السن الحادية والثلاثين. كذلك حياتي.

فجأة أضحت ممدّدة على ظهرها، أسيرة سرير في المستشفى، مشلولة

© 1988 BY MARIE RAGGHIANTI. CONDENSED FROM PARADE (AUGUST 14, '88), NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATION: ROBERT HUNT

نتيجة ورم غير خبيث في الحبل الشوكي. وكنت في العاشرة آنذاك وصغيرة جداً على فهم التناقض في عبارة "غير خبيث"، اذ إن أمي لم تعد كما كانت أبداً.

واجهت أمي مرضها بالحماسة عينها التي كانت تضفيها على كلّ شيء. وصارت عبارات مثل «المداواة الطبيعية" و"معاق" جزءاً من عالم جديد غريب دخلناه معاً. وبدأتُ تدريجاً أعتني بأمي التي كانت تعتني بي.

وأخيراً تمكنَتْ من الجلوس في كرسي المقعدين، وأصبح جر كرسيّها الى المطبخ عادة يومية. هناك علمتني فن تقشير الجزر والبطاطا وفرك اللحم بالثوم النيء والملح والزبدة.

عندما بلغت الحادية عشرة أخبرتني أمي أنها وأبي سيرزقان طفلاً. وقد حضّها الأطباء على اسقاط الجنين لكنها رفضت بشدّة. وبعد فترة وجيزة أصبحنا أمَّين لشقيقتي الصغرى ماري تريز. وفي وقت قصير تعلّمت كيف أبدل حفاظاتها وأحممها وأطعمها.

وما زالت احدى تلك اللحظات ماثلة أمامي. وقعت شقيقتي الصغرى، وكانت في الثانية، وجرحت ركبتيها. فانفجرت باكية وهرعت الي من دون أن تلتفت إلى ذراعي أمي الممدودتين لها. تأخرتُ كثيراً في ادراك مسحة الألم على وجه والدتي، وكان كل ما قالته لي: "من الطبيعي أن تركض إليك. إنك تعتنين بها جيّداً."

كل انجاز حققَتْه كان حدثاً بارزاً تقاسمناه: السيارة الكهربائية الخاصة بالمعاقين، عودتها الى الجامعة، حصولها على شهادة الماجستير في التوجيه والإرشاد...

تعلمَتْ كل ما استطاعت تعلمه عن المعاقين. وفي النهاية أسست فريقاً داعماً دعته "اتحاد المعاقين." وفي احدى الأمسيات اصطحبتنا أنا وإخوتي الى مقر الاتحاد. لم أرَ في حياتي مثل هذا العدد من الناس المصابين بعاهات كثيرة كتلك. عدت الى البيت وأنا أفكر كم نحن محظوظون. وعرَّفتنا أيضاً إلى ضحايا الشلل المخي موضحة لنا أن معظمهم كانوا ذات يوم بشوشين وسعداء مثلنا. وعلمتنا أيضاً كيف نتحدّث إلى المتخلفين عقلياً مشيرة إلى قدرة هؤلاء على حب الآخرين.

قلّما شعرت بالأسى والأسف لحال أمي، لأنها تقبلت واقعها بتفاؤل كبير. ولكن ذات يوم تحطم رضاي. فبعد فترة طويلة من غياب صورة أمي الأنيقة بحذائها العالي أقمنا حفلة في منزلنا. كنت صبيَّة حينذاك، واذ نظرت إلى أمي الباسمة الجالسة جانباً تراقب أصدقاءها يرقصون، صعقتُ لقساوة قيودها الجسدية. وبرزت أمام عينيّ صورة والدتي المشرقة وهي ترقص، وتساءلت: أتراها تتذكر ذلك أيضاً؟ وعندما اقتربت منها رأيت مع ابتسامتها دموعاً تترقرق في عينيها. فهرعت الى غرفتي وبكيت.

عندما كبرت وامتهنت العمل في الاصلاحيات عرضت على والدتي أن

تدرِّس الكتابة الإبداعيّة في اصلاحية. أذكر كيف كان النزلاء يتحلقون حولها كلما وصلت ويتعلقون بكل كلمة تقولها، تماماً كما كنت أفعل عندما كنت طفلة.

وعندما باتت عاجزة عن الذهاب إلى الإصلاحية عمدت الى مراسلة السجناء. ذات يوم سلمتني رسالة الى سجين يدعى وايمون. فسألتها هل تسمح لي بقراءتها فوافقت، من دون أن تدرك أي الهام سيعطينيه ذلك. جاء في الرسالة:

"عزيزي وايمون،

"أفكر فيك دائماً منذ تلقيت رسالتك. ذكرت لي كم هو صعب أن يحجز المرء وراء القضبان. وأنا أتعاطف معك. ولكن عندما تقول لي انني لا أستطيع أن أتخيل الحياة داخل السجن، أشعر بأنني مضطرة الى القول انك مخطىء.

"ثمة أنواع مختلفة من السجون، يا وايمون.

"عندما أفقت ذات يوم وأنا مشلولة كلياً، وكنت في الحادية والثلاثين من عمري، غمرني شعور بأنني سجينة جسد لن يسمح لي بعد اليوم بالركض في مرج أو الرقص أو حمل طفل بين ذراعي.

"بقيت لفترة طويلة أسأل نفسي، وأنا ممددة على ظهري، هل الحياة تستحق العيش؟ وبدا لي كأنني خسرت كل شيء ذي معنى.

"ولكن في أحد الأيام خطر لي أنني ما زلت أملك حريّة الاختيار. هل أبتسم عندما أرى أولادي أم أبكي؟ هل ألوم الله أم أسأله أن يقوي إيماني؟ بكلمات أخرى، ماذا أفعل بالإرادة الحرة التي لا تزال ملكي؟

"صممت على التمتع بالحياة ما أمكن، والتفتيش عن طرق أتخطى بها عوائقي الجسدية بتوسيع آفاقي العقلية والروحيّة. كان لي أن أختار بين أن أكون مثالاً رائداً لأولادي وأن أذوي وأموت عاطفياً وجسدياً. للحرية أشكال عدة يا وايمون. وعندما نخسر شكلاً علينا البحث عن آخر.

"لك أن تنظر الى قضبانك، ولك أن تنظر من خلالها. لك أن تكون مثالاً يقتديه النزلاء الأصغر سناً، ولك أن تختلط بالمشاغبين. لك أن تحب الله وتسعى الى رضاه، ولك أن تدير ظهرك.

"نحن، يا وايمون، شريكان في هذه الحياة."

عندما فرغت من قراءة الرسالة غشى الدمع بصري. لكني رأيت أمي بوضوح أكثر. ومرة أخرى شعرت برهبة فتاة صغيرة لها أم قادرة على كل شيء.

ماري راغيانتي ■

شغلت الكاتبة منصب رئيس "مجلس العفو والتسريح المشروط" في ولاية تنيسي. وكانت حملتها الهادفة الى فضح الفساد في حكومة الولاية موضوعاً لكتاب وفيلم سينمائي بعنوان "ماري".

حتى قصاصة الورق تغدو أخف عندما يرفعها اثنان. **مثل كوري**

رحلة في

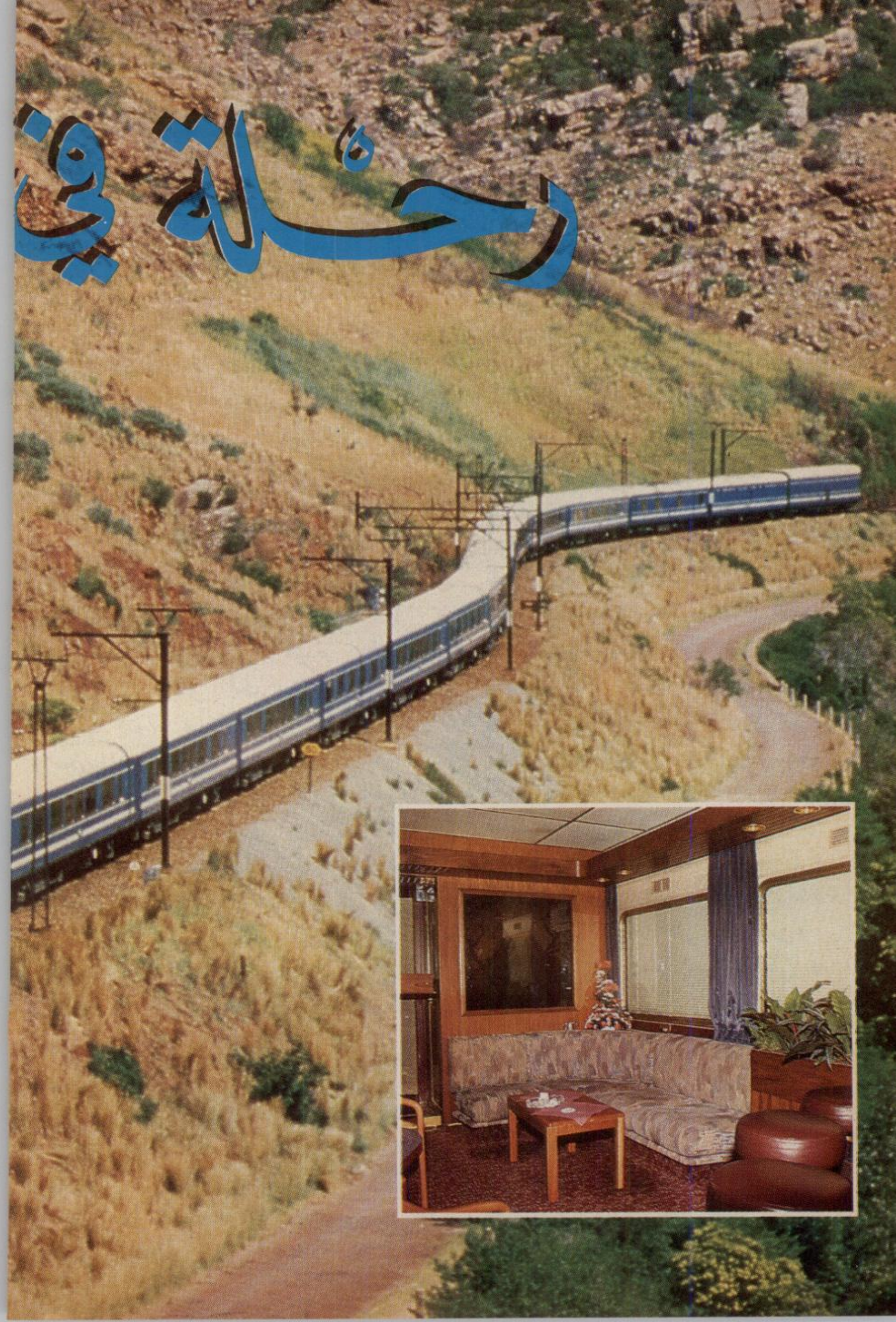

القطار الأزرق

فندق فخم يجتاز براري افريقيا محمولا على عجلات

انها الحادية عشرة الا ربعاً في محطة السكك الحديد في كيب تاون (جنوب افريقيا). وينبعث صوت نسائي عبر مكبر الصوت في مقصورتي يعلن باللغات الانكليزية والافريقانية* والالمانية: "سيداتي، سادتي، بعد خمس دقائق ينطلق القطار الأزرق."

تناولت زجاجة شراب مثلجة وفتحتها احتفالا بتحقيق حلم طفولة احتبس داخلي ما يزيد على ثلاثين سنة. كنت في الثانية عشرة من عمري حين وقع نظري للمرة الأولى على القطار الازرق وهو يسير هادراً عبر الريف وسط عاصفة من الدخان والبخار.

وكانت عائلتي تعيش في ستيلفونتين وهي بلدة تعدين في قلب الاراضي

(*) الافريقانية لغة مواطني جنوب افريقيا المتحدرين من أصل أوروبي.

PHOTO: SPOORNET. INSET: JAMES DE VILLIERS

الزراعية المترامية لاقليم الترنسفال الغربي. تلك كانت آفاق حياتي حتى عصر ذلك اليوم من فبراير (شباط) ١٩٦٠ حين تمشيت الى خط السكة الحديد الذي لا يبعد كثيراً عن منزلنا.

هناك، اذ مرّ بي هادراً بصخب، تمكنت من رؤية كلمتي "القطار الازرق" على مقدم قاطرته، ولمحت ظلال سائقيه الكادحين وهما يغذيان النار المستعرة في أحشائه. ثم ابتعد متوارياً وقد أعشت سرعة دوران عجلاته بصري، جاراً مقطوراته ذوات اللونين الازرق والقشديّ.

ومنذ ذلك اليوم كنت أذهب الى هناك كلما مرّ... مرتين في الاسبوع. وكنت أتصوره جواز سفري الى العالم وبساطي السحري الذي سيحملني الى مدن بعيدة ومحيطات وجبال وصحارى. وما لبثت أن غدوت قادراً على التعرف الى سائقيه. وذات يوم لا أنساه، بعدما ألزمتني وعكة المنزل طوال أسبوع، رمى لي السائقان رسالة ملفوفة على قطعة من الفحم الحجري تسأل: "أين كنت؟ لقد افتقدناك." والتوقيع: "كوس ويان."

ولدى مرور القطار المرة التالية رفعتُ لافتة كتبت فيها شارحاً: "كنت مريضاً." فقهقه كوس ويان ولوحا بأيديهما عالياً.

ظللت أكثر من سنة أشاهد القطار الازرق يمرّ في ستيلفونتين بقيادة كوس ويان. ثم أتتني منهما رسالة أخرى جاء فيها: "لقد نُقلنا يا صديقنا الصغير. حفظك الله. كوس ويان." وأطلقا ثلاث صفرات طويلة كئيبة تحية وداع.

ولم يطل الوقت حتى نُقل والدي أيضاً الى مركز عمل آخر. وغادرنا ستيلفونتين نهائياً. لكن رباطاً أبدياً كان قد شدني الى المكان، فأخذت عهداً على نفسي أن أبحث عن كوس ويان يوماً ونركب القطار الازرق معاً على خط الذكريات.

لكن، ويا للأسف، خذلتني يد القدر وطوّحت بي بعيداً خارج البلاد حيث أخذتني مهنتي. وركبت أفخم قطارات العالم: "أورينت اكسبرس" و"كنديان باسيفيك" و"ترانس أوستراليان" و"يونيون باسيفيك." ولا أظنني سألتقي كوس ويان أبداً. لكن سيكون في امكاني الآن، على الاقل، ركوب القطار الأزرق الذي هو في نظري أعظم قطارات العالم.

ترف ورفاه. انطلقنا في العاشرة والدقيقة الخمسين، فانزلقت عربات القطار الازرق السبع عشرة ناعمة لا يسمع لها صوت، في مستهل رحلة تمتد ١٦٠٠ كيلومتر شمالا الى بريتوريا عاصمة جنوب افريقيا. جلست متنعماً في مقصورتي الفخمة الواسعة المبردة التي تضم غرفة جلوس وغرفة نوم وثلاجة تحوي أنواعاً شتى مما لذ وطاب، فيما عصفت ريح شمالية غربية في الخارج لفَّت جبل تايبل بملاءة من الغيوم المتقطعة.

بعد دقيقتين من بدء رحلتنا قرع الباب ودخل المضيف يوهان ستيميت قائلا: "اذا شئت أي أمر، يا سيدي، فما عليك الا رن الجرس. رحلة طيبة."

وبعد دقائق اذا بقرع ناعم آخر، ليطل ريغي فونر المشرف على حافلة قاعة الطعام سائلا: "هل يؤاتيك، يا سيدي، موعد الغداء الساعة الثانية عشرة؟ والعشاء الساعة السابعة؟"

ثم جاء دور مدير القطار آرثر ريكس: "هل كل شيء على ما يرام؟ أرجوك اعلامي بأي مشكلة قد تواجهك." لم أفاجأ بأن يكون بين الطاقم المؤلف من ٢٨ موظفاً ذوي كفاية عالية ٢٣ معنيون فقط بالسهر على راحة الركاب وتلبية حاجاتهم.

كانت عربات القطار الازرق التي أسرتني حين كنت ولداً قد سُحبت من الخدمة، كذلك القاطرات البخارية التي كانت تجرها. وهي تميزت طوال فترة استخدامها، من العام ١٩٣٩ الى العام ١٩٧٢، بأحدث وسائل الترف آنذاك.

وبينما القطار مندفع صوب الجبال، رحت أفكر في الدور الذي اضطلعت به السكك الحديد في تاريخ جنوب افريقيا: منقبون باحثون عن الغنى في مناجم الالماس في كمبرلي، وصائدو ثروات يتدفقون الى مناجم الذهب في فتفاترسراند، وسياسيون، وقادة عسكريون، وتجار، ومحتالون، وشاحنات تنقل جنوداً وأعتدة أثناء الحرب التي وقعت بين الانكليز والبوير (المستعمرين الهولنديين الاوائل) بين ١٨٩٩ و١٩٠٢، ومهاجرون يتحدّون عالماً جديداً. جميع هؤلاء سافروا على الخط الرئيسي نفسه من الساحل الى المناطق الداخلية النائية.

ليس بالمال وحده. دوت صفارة التوقف في ولينغتون، أولى تسع محطات توقف قبل بريتوريا، ثم دخلنا وادي نهر بريد وارتقينا منه جبال وستر ودراكنشتاين الرائعة التي نحتتها الريح والمطر والجليد والثلج مدى ألوف السنين.

أنبأتني دقات الساعة الآتية عبر مكبر الصوت في المقصورة أن موعد الغداء أذن. ويحضّر طاهيان ومساعدوهما الطعام في العربة – المطبخ لينقل من ثم الى حافلة قاعة الطعام الصغيرة المريحة التي تضم ٤٧ مقعداً. وقد نُضدت على الطاولات سكاكين فضية وأطباق خزفية وكؤوس وأقداح زجاجية ذوات قواعد معدنية وفوط منشّاة. وأُجلستُ الى طاولة لشخصين. ولأن الشتاء هنا يتزامن والصيف في أوروبا، لم يكن في القطار سوى ٨٣ راكباً. لكن الحركة تشهد كثافة في وقت لاحق من السنة، فيضطر المسافرون الى حجز أمكنتهم قبل أشهر.

وخارج نافذتي انبسطت الكروم والحقول الخضر والحمر مواكب وصفوفاً على امتداد وادي نهر هكس، في ظل الجبال وتحت سماء صافية. ولم يعكر السكون سوى الايقاع المكبوت للعجلات.

بعد الغداء جلست في حافلة الاستراحة لتناول القهوة. كنت أسمع الركاب يتحدثون بالالمانية والفرنسية والايطالية واليابانية والانكليزية. وأخبرني تاجر مواد غذائية من لندن أنه وزوجته جاءا في رحلة منظمة الى جنوب افريقيا

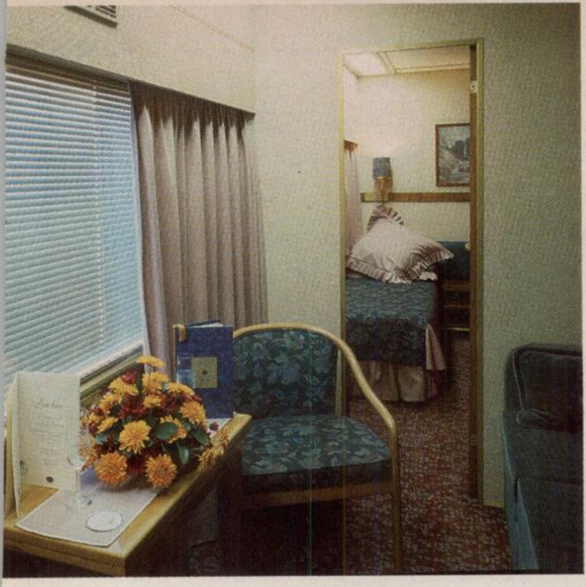

جناح فخم
يحتل أكثر من نصف عربة.

تدوم ثلاثة أسابيع. وأضاف: "أخبرني صديق أن العطلة هنا لا تكتمل ما لم يسافر المرء في القطار الازرق. لقد كان على حق."

وأعرب ركاب آخرون عن الشعور نفسه. فحاولت استدراجهم لمعرفة ما اذا كانوا حقاً مولعين بالسفر في هذا القطار، مشيراً الى أن سعر صرف الرند (عملة جنوب افريقيا) في مقابل العملات الاجنبية هو الذي أغراهم، اذ تراوح تعريفات السفر بين ٤٠٦٤ رنداً (١٨٢٠ دولاراً) للجناح الفخم المعدّ لشخص أو شخصين و٩٠٨ رندات (٣٣٠ دولاراً) لكل من راكبين يستخدمان غرفة حمام مشتركة. وقليلون من الجنوب - افريقيين يستطيعون تحمل هذه الكلفة.

فعلّق تاجر ألماس متقاعد: "هذه الرحلة لا تقاس بالمال وحده. فالقطار الأزرق، مثله مثل البواخر القديمة العابرة المحيطات، يلتزم في الخدمة مقاييس رفيعة محددة ترقى الى زمن أكثر ترفاً ورفاهاً. وهذه الرحلة بالنسبة إلي اختبار فريد في حياتي."

وقال لي داريل فاين المدير المبدع لوكالة اعلانات في كيب تاون الذي سافر ٧٢ مرة في القطار الازرق: "هناك سببان دفعاني الى ركوب القطار الأزرق. الاول كوني أكره السفر جواً، والثاني أن الرحلة في هذا القطار تطلق أفكاري من عقالها حين يعترض قدرتي الابداعية عائق."

مشاهد افريقية. انقضت أربع ساعات تقريباً على انطلاقنا من كيب تاون، واقتربنا من ديدورنس والنفق الجوفي

PHOTO: JAMES DE VILLIERS

حافلة قاعة الطعام
تتسع لـ٤٧ شخصاً.

الذي يربط وادي نهر هكس الخصيب برمال كارو وأحراجها. ويتألف نظام السكك الحديد في النفق الذي يمتد ١٦،٣ كيلومتراً من أربعة خطوط. والنفق هو الأطول في افريقيا والرابع في العالم. اجتزناه وأنوار الحافلات مضاءة.

تطلعت من نافذتي فاذا الجبال صارت وراءنا وأصبحنا على مشارف كارو. وازدادت سرعة القطار فشعرت باهتزاز العربة عند المنعطفات. وبعد خمسين دقيقة من عبور نهر توس أبطأ القطار أثناء مروره بمجموعة أبنية مشيّدة بالاجر الاحمر. وشاهدنا العلم البريطاني يرفرف فوق فندق "اللورد ميلنر" ذي الابراج وقد توقفت أمامه حافلة حمراء ذات طبقتين. تلك كانت ماتيسفونتين، قرية من العصر الفيكتوري صارت منتجعاً فخماً للاثرياء.

ومررنا عبر أحراج كارو الرتيبة التي تحفّ بجانبي الطريق الرئيسية الممتدة من نهر لمبوبو الرمادي الى المحيط الاطلسي. وشاهدنا قطعان غنم وظباء سارحة ترعى وطواحين هواء ناحلة وتلالا رابضة كأكواخ قبائل البازوتو. ثم مررنا بمزارع منعزلة تميز كلا منها بقعة خضراء من الاشجار، وكانت عصافات من الغبار تثور لولبياً في الجو. ورأينا منازل مهجورة ومقابر طال عليها الزمن. ثم دخلنا عمق بلاد قاسية جافة حيث لا يعيش سوى الاقوى.

وعدت الى مقصورتي حيث غرقت في نوم هانىء يهدهدني اهتزاز العربة. وحين استيقظت كان شفق المغيب يرتسم في الافق مغموراً بالوهج البرتقالي الناعم لشمس غاربة. وهبط الظلام فجأة ما خلا

PHOTO: JAMES DE VILLIERS

نوراً يشع بعيداً في بحر العتمة من بيت منعزل في إحدى المزارع.

ولما حان موعد العشاء ارتديت بذلة رسمية كما يقضي العرف في القطار الازرق، وجلست الى مائدة شاركني فيها بائع سيارات سألني كيف اكتسب "القطار الأزرق" اسمه. فشرحت له أن ذلك يعود الى قطارين فخمين أزرقين كانا في الخدمة بين ١٩٢٣ و١٩٣٧. وأضفت: "كان الجميع يعرفون القطارين من لونهما."

حلم تحقق. قبيل منتصف الليل توقفنا في دي آر لابدال القاطرة الكهربائية بأخرى تسير بالديزل استعداداً لرحلة مباشرة سريعة الى كمبرلي. وبينما أنا أتمشى على الرصيف أراقب عملية ابدال القاطرتين، لاحظت أن عربة الحقائب والمحرك الكهربائي الذي ينير القطار كانا وراء القاطرة مباشرة، تليهما أربع حافلات للركاب، فحافلات المطبخ والطعام والاستراحة في الوسط، ثم سبع حافلات أخرى للركاب، وفي المؤخر عربة شحن مغطاة ذات طبقتين اصطفت فيهما ثماني سيارات.

عدت الى مقصورتي. وانساب القطار ليلا عبر كمبرلي، مدينة الالماس الشهيرة، و"الثقب الكبير" الفائض واراضي غرب الترنسفال المفروشة بالعشب، نحو مدينتي كليركسدورب وبوتشفستروم في اقليم فورتركر.

استيقظت عندما تسلل الفجر ليغمر الريف، قلقاً خشية أن تفوتني رؤية تلك البقعة قرب بلدة ستيلفونتين حيث كنت، وأنا صبي، أشاهد القطار الازرق يمر هادراً. وظهر لي ذلك المنظر: الاهراء ونفايات المناجم كانت لا تزال هناك، لكن مجموعات من المنازل والمصانع قامت حيث لم يكن قبل ٣٠ سنة سوى مروج خضر. وحدقت الى الطريق المارة في موازاة خط السكة الحديد علّني استكشف معلماً مألوفاً... منزلا ومخزناً وبوابة في حقل. لكنني لم أرَ أياً منها. وتساءلت: أتراه ذاك هو المكان حيث اعتدت أن أقف؟ أم هنالك؟ السنوات الطويلة غيَّرت الاشياء ودرست المعالم.

وما لبثنا أن اخترقنا قلب المنطقة الصناعية والتجارية في جنوب افريقيا حيث مرامي نفايات المناجم، ومجمعات مساكن العمال، ومعدات التعدين، والمصانع، واللافتات، والاكواخ، والابنية الشاهقة، وصفوف المنازل البيض المنتظمة في الضواحي. كنت غارقاً في تأملاتي، ففاتني التنبّه الى دخول القطار محطة بريتوريا... خط النهاية بعد مسيرة ٢٥ ساعة و١٢ دقيقة.

وعدت بالذاكرة الى كوس ويان والصبي الصغير الذي كان يقف قرب السكة الحديد. يكفيني أنني، في مكان ما على امتداد هذا الخط، مررت بالبقعة نفسها حيث بدأ حلمي. لقد أتممت الرحلة التي عاهدت نفسي عليها. ركبت القطار الازرق!

فرنك بيت ■

حكايات من العالم

النظافة في عُمان

□■ تعنى حكومة عُمان بالنظافة الى حد أن المواطن قد يواجه غرامة لقيادة سيارة وسخة أو لترك منزله غير مطلي. ويفرض القانون تغطية مكيفات الهواء بشبكيات خشبية وستر مواقع البناء وحبال الغسيل عن الانظار.
قد لا يبدو هذا الشغف بالترتيب غريباً في البلاد الاسكندينافية، أما في منطقة غبراء رملية فتبدو هذه الدولة العربية واحة نظام تبهر الانظار.
أطلق السلطان قابوس، عندما تسلم السلطة في العام ١٩٧٠، مشروعاً لتجميل سلطنته. ففرض تضمين كل المباني الجديدة، حتى مواقف الحافلات، ملامح من فن العمارة الاسلامي. ولا يجوز طلاء المنازل الا بألوان تقليدية فاتحة. ويقوم السلطان خفية بجولات في انحاء السلطنة ليتأكد من اطاعة أوامره، فيتفحص زينات الشوارع ويأمر بازالة كل ما هو قذى للعين. أما إلقاء النفايات في الشوارع فقصاصه قاس: غرامة تعادل ٥٠ دولاراً للمخالفة الاولى، والسجن للثانية.

"وول ستريت جورنال"

شوكولاتة المايا

□■ إدمان الشوكولاتة في غواتيمالا تقليد قديم عميق الجذور. فقد درس خبير النقوش ديفيد ستيوارت كتابة هيروغليفية على إناء اكتشف في منطقة ريو آزول، وتعرَّف الى رمز الشوكولاتة لدى شعوب المايا التي قطنت قديماً في أمريكا الوسطى. وأثبت فريق من كيميائيي شركة "هيرشي" للاغذية لاحقاً أن البقايا في الاناء الذي يعود الى ١٥٠٠ سنة خلت هي، فعلا، شوكولاتة. وكان شهود عيان من الغزاة الاسبان رووا قصصاً عن استعمال شراب الشوكولاتة في الطقوس الهندية في أمريكا الوسطى، ولكن لم يتوافر دليل ثابت على ذلك. أما الآن فقد تم التعرف الى نقوش ترمز الى الشوكولاتة على آنية أخرى من عصر المايا الكلاسيكي لم يكن الغرض من استعمالها معروفاً. ويفترض محللو النقوش على إناء ريو آزول أن "الاوصاف" الهيروغليفية تميّز بين أنواع الشوكولاتة المستخدمة، من الشراب الخفيف المزبد الى عصيدة الشوكولاتة.
كم كان المايا يحبون الشوكولاتة!

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

ثروات سان مارينو

□■ سان مارينو هي أصغر جمهورية في العالم. مساحتها ٦٢ كيلومتراً مربعاً من الاراضي الصخرية، وتحوطها ايطاليا من كل الجهات. وقد بلغت سان مارينو من الغنى أنها تدفع ٧٥ في المئة من أجور السفر لمواطنيها الكثر المقيمين في الخارج للعودة الى الجمهورية للاقتراع في الانتخابات العامة. ويلبي نحو نصف المغتربين هذه الدعوة.

نشرة "الهندسة البيئية"

كفاح زوجين ضد الايدز

قصة عائلة مزقها الداء الرهيب

بعد شوق وطول انتظار ولد ابننا ساموِيل[1] في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، فحلت البهجة في حياتنا. كان يزن ٣،٥ كيلوغرامات ويتمتع بصحة جيدة. وقد غمرت زوجي أنطوان سعادة لا توصف.

وطبيعي أن أكون سعيدة أنا أيضاً، لكن قلقاً غامضاً تملكني وقضّ مضجعي. فالتعب لم يفارقني. وكان وزني انخفض خمسة كيلوغرامات خلال فترة الحمل ولم أتمكن من تعويض هذا النقص لاحقاً. وعجز طبيبي عن معالجة التضخم في غددي اللمفوية والحمى الليلية التي كانت تنتابني. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ استشرت طبيب صحة فقال لي: "سأخضعك لجميع أنواع الفحوص، بما فيها فحص لاف."[2]

فأدركت أنه يعني فحص الايدز.[3] واتصلت به بعد أسبوعين فجاءني صوته مشوباً بالتوتر. ادعى في البداية أنه لم يتلق نتائج الفحص بعد. ثم "عثر" عليها فجأة وأبلغني أنني أحمل الفيروس. فراعني ما سمعت ولم أقو على الكلام، لكني استجمعت قواي في النهاية وسألته: "أتقول إنني مصابة بالايدز؟ وسأموت؟"

فأجابني بلطف: "اذهبي الى مركز نقل الدم وسيطلعك المسؤولون هناك على التفاصيل."

في المركز، شرحت لي طبيبتان بصبر وأناة أنني مصابة بفيروس قصور المناعة البشري[4] الذي يسبب مرض الايدز. ويغزو هذا الفيروس كريات الدم البيض

---

(١) الاسماء في هذا المقال مستعارة حفاظاً على خصوصية الاشخاص المعنيين.

(٢) Lymphadonepathy-associated virus أي الفيروس المرافق لاعتلال الغدد اللمفوية، وهذا هو الاسم القديم لداء الايدز.

(٣) Acquired immunodeficiency syndrome «AIDS» أي داء قصور المناعة المكتسب.

(٤) Human immunodeficiency virus «HIV»

فيقضي تدريجاً على نظام المناعة في جسمي. وما من علاج خاص للأمراض الكثيرة التي أصبحتُ معرَّضة لها الآن.

وفيما الطبيبتان مسترسلتان في الشرح قلت في نفسي: "لن أتمكن من تربية ابني!" ثم تدافعت تساؤلات مريعة في رأسي: كم تبقّى لي من وقت؟ متى سأمرض؟

نهاية سعادة. قبل ثلاث سنوات من ذلك اليوم الرهيب انتقلنا أنا وأنطوان الى جزيرة مارتينيك لبدء حياة جديدة. كنا ننتمي الى جيل وجد في المخدرات حلاً لكل استياء ونقمة. وقد حاولنا غير مرة التخلص من ادمان الهيروين، لكننا لم نفلح. ولما تناهى الينا أن المخدرات غير متوافرة في جزر الهند الغربية[٥] انتقلنا الى هناك. فعملتُ مدرِّسة لمادة الرياضيات، وعمل أنطوان معداً لبرنامج اذاعي في محطة محلية. وأقلعنا عن تعاطي المخدرات وأصبح لدينا أصدقاء... وطفل الآن.

فجأة انهارت سعادتنا الجديدة.

عندما عدت الى البيت ارتميت بين ذراعي أنطوان أبكي بمرارة. لم أضطر الى شرح الأمر له فقد فهم. وأكد الفحص الذي خضع له أنطوان في اليوم التالي مخاوفنا، إذ تبين أنه هو أيضاً يحمل فيروس قصور المناعة على رغم مظهره المعافى. أما ابننا ساموبل، الذي أكمل عامه الأول، فكان عليه الانتظار عشرة أشهر قبل إخضاعه للفحص. وقد تأكلنا القلق والشك طوال هذه الفترة الى أن أظهرت نتائج الفحص أنه سليم.

لم تكن للمخدرات أي علاقة بمحنتنا لأننا لم نستعمل يوماً إبر مدمنين آخرين. وغالب الظن أن أنطوان التقط العدوى خلال علاقة عابرة أثناء رحلة عمل الى الكاميرون عام ١٩٨٢. فلما عاد الى فرنسا أصيب بحمى شديدة لم يُعرف لها سبب تلاشت بعد ثلاثة أيام. وتأكد لنا الآن أن تلك الحمى كانت العَرَض الأول للاصابة. لكني لم أحقد على أنطوان لاننا بنينا علاقتنا على الاحترام المتبادل. كنت أعرف أنه يحبني وأن مغامرته العارضة لم تكن بذات أهمية. فضلا عن أن خطر الاصابة بالايدز لم يكن يؤخذ على محمل الجد في فرنسا عام ١٩٨٢.

منبوذون! لم يرَ أنطوان سبباً للتكتم عن بليتنا. فأطلع صديقاً على حالنا، فتناقلت البلدة الخبر وصار حديثنا على كل شفة ولسان. وبات الأشخاص الذين كانوا بالأمس من خيرة أصدقائنا يمرون بنا مرور الكرام.

صرنا منبوذين.

وفي يونيو (حزيران) صُرف أنطوان من عمله. وعلل مديره ذلك بالآتي: "يا أنطوان، لا يقبل الموظفون الآخرون التكلم في أي مذياع تستعمله، وهم يهددون بالرحيل إن بقيت عندنا."

تلك كانت ضربة قاضية سددت الى

---

(٥) أرخبيل يفصل بين البحر الكاريبي والمحيط الاطلسي بات يعرف بالانتيل.

زوجي المعتد بنفسه والضنين باستقلاليته. فقال لي: "لقد انتهيت. لن يرضى أحد بتوظيفي بعد اليوم." واستسلم للكآبة أياماً ثم تمالك نفسه واقترح علي بالحاح: "لنذهب في رحلة، فقد تكون هذه فرصتنا الاخيرة."

طفنا لمدة شهرين في أنحاء أمريكا الجنوبية متنقلين من حافلة الى اخرى. ولما عدنا عرض منتج أفلام فيديو على أنطوان وظيفة في مجال الاعلان، فغمرته السعادة وأكب على العمل بحماسة فائقة. وذات عشية من نوفمبر (تشرين الثاني) عاد الى المنزل وثيابه ترشح ماء وقد اكتوى بحمى حارقة بعدما أمضى يومه في التصوير تحت المطر الغزير.

وشخّص الطبيب أنه مصاب بانفلونزا استوائية. وتدهورت حاله على مدى الايام الثلاثة التالية، وراح يصفر وهو يتنفس ويسعل ويبصق دماً. فنقلتُه مذعورة الى المستشفى في فور دو فرانس حيث أظهرت صور الأشعة أنه مصاب بالتهاب رئوي.[٦] وكانت تلك دلالة واضحة على أن الفيروس دخل مرحلة ناشطة.

وبعد علاج استمر أسبوعين عاد أنطوان الى عمله. لكن مديره الذي عرف كنه مرضه صَرَفه. فثبطت عزيمته وانهارت أعصابه وبدأ يستسلم للمرض. وظل يعاني مضاعفات الالتهاب الرئوي مما أرغمه على الاستمرار في تناول المضادات الحيوية (أنتيبيوتيك). وعندما غزا الفيروس خلاياه العصبية ضرب الشلل رجليه فبدأ يستعين بعصا للسير ويغادر المنزل من حين الى آخر مصطحباً ساموبل الى الشاطىء. واعتدت في تلك الفترة أن أردد لنفسي: "علي أن أكون قوية، لا يسعني الاستسلام، ولن أمرض." وقد دهش أطبائي اذ ارتفع عدد كرياتي البيض وتلاشت الحمى واختفى التضخم الذي كنت أعانيه.

أبدى أنطوان شجاعة فائقة ولم يغرق في وهدة الاشفاق الذاتي على رغم توافر الظروف المؤاتية. وخلال إحدى نزهاته النادرة في البلدة رجمته شلة من المراهقين بالحجار وراح الفتيان يصرخون: "عد الى منزلك يا إيدز! عد الى منزلك يا إيدز!" وأصابه حجر في جبينه فوقع على الارض ولم يقوَ على النهوض. وكنت في طريقي الى المنزل برفقة صديقة، فرأيته وهرعت لمساعدته.

جمع غاضب. احتفلنا بذكرى زواجنا في مايو (أيار) ١٩٨٧ ودعونا ١٥ شخصاً. وانتهت مرحلة عزلتنا وأصبح لدينا أصدقاء جدد شهام ولطفاء تقبلوا هذا المرض المريع بحكمة وتعقل. وكان أحدهم كاتباً بلجيكياً تعرف الى أنطوان على الشاطىء وأصبحا صديقين.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ نُقلتُ الى مدرسة ثانوية في جنوب غوادلوب. وقبل سفرنا الى هناك أمضينا بضعة أيام في نزل في إحدى قرى جزيرة دومينيكا الصغيرة الواقعة بين مارتينيك وغوادلوب. وكان مضيفنا اللطيف يعد لأنطوان شراباً

(٦) Pneumocystosis carinii

ساخناً من الأعشاب. ولكن بعد ثلاثة أيام اشتبه الجيران في اصابة "ذاك السائح" بالايدز، وسرعان ما اقتحم النزل حشد غاضب.

فوقف انطوان في المدخل وحاول رفع صوته فوق سيل الشتائم المنهالة عليه، وصرخ في الجمع: "نعم، أنا مصاب بالايدز، ولكن ألم يأمر الله بمساعدة المرضى؟" فهمد الصخب تدريجاً وأطبق صمت مربك على المكان.

لكن رجال شرطة قدموا في اليوم التالي لأخذنا الى المطار. وأوقفنا في المخفر حيث طُلب منا توقيع محضر اتهام. وأخذت لنا صور كما لو كنا مجرمين. ودوّن في السطر الذي يحدد "نوع الجرم" كلمة "إيدز."

سكنّا في بلدة في جنوب غوادلوب. وعلم رئيس البلدية من الصيدلي أن زوجي مصاب بالايدز، فرفض السماح لساموبل بدخول دار الحضانة المحلية مبرراً قراره بالآتي: "في المنطقة أناس طيبون، وقد يدفعهم الامر الى الرحيل." فأرسلت ابني الى مدرسة تبعد ستة كيلومترات عن منزلنا.

جمع الشمل. ازداد انطوان وهناً على نحو واضح حتى بات عاجزاً عن الشرب من دون مساعدة. كان طوله ١٨٣ سنتيمتراً الا أن وزنه لم يتجاوز ٤٨ كيلوغراماً. وبعد خضوعه لفحص عمومي في نوفمبر (تشرين الثاني) أخبرني طبيبه أنه لن يصمد طويلا.

قبيل الميلاد دعوت والديه الى زيارتنا. وكان أنطوان أطلعهما على مرضه قبل فترة قصيرة فلم يتقبلا الخبر برحابة صدر. ولكن عندما قدما لتمضية العطلة معنا وشاهدا ابنهما وما آلت اليه حاله من نحول ووهن تلاشى غضبهما. وقد سعد أنطوان بجمع الشمل فتحسنت صحته قليلا. لكنه عاد فانتكس بعد رحيل والديه. لم يعد قادراً على التنقل في المنزل، وبات يتكلم على نحو غير مترابط وغير موزون، وبدأت ذاكرته تخونه. وفي مارس (آذار) أصابته حمى شديدة استلزمت نقله الى المستشفى. وكنت أصطحب ساموبل كل يوم لزيارته، لكنه كان يتعب سريعاً ويطلب منا الرحيل.

وفي بواكير الربيع اتصل بي طبيبه وقال لي: "أخبرني أنطوان أنه يود رؤية فرنسا وذويه مرة أخيرة."

وفي تلك الليلة سافرنا الى باريس على متن طائرة – مستشفى. وكان أنطوان في شبه غيبوبة عندما وُضع في سرير في إحدى غرف مستشفى كلود برنار.

مكثت الى جانبه بضعة أيام، لكني كنت مضطرة الى العودة الى ساموبل الذي أودعته لدى أخي في مارتينيك. وفيما كنت أغادر الغرفة همس لي زوجي: "سنلتقي ثانية."

وهذا ما حصل، اذ سمح لانطوان بالسفر في يوليو (تموز) بعدما أمضى ثلاثة أسابيع في المستشفى وشهرين ونصف شهر في مصح. وباتت رجلاه مشلولتين تماماً، لكن وزنه زاد ١٢

كيلوغراماً وبدا أفضل حالا وتحسنت شهيته للطعام وعاد يبتسم.

وتوالت الأيام، وكان أنطوان يطلب مني على الدوام أن أحضر له كتباً جديدة حول الحياة الاخرى وشهادات أشخاص صارعوا المرض العضال. وسعى الى اكتساب حس سام من خلال اعترافه بأخطائه. فأقر بأنه غالباً ما كان مستبداً ومزهواً، ونزع الى تقبُّل المذلة التي انتهى اليها في اعتماده على الآخرين معتبراً اياها محنة أخرى عليه تحمُّلها.

تكلمنا على الموت مطولا خلال هذه الفترة، فكانت الحقبة الأغنى والأكثر عاطفية في حياتنا المشتركة. وقد ذكرنا أموراً حميمة وحساسة جداً من دون أن يخشى أحدنا إغضاب الآخر، إذ لم يعد لدينا ما نخسره.

أيام أخيرة. نزع أنطوان الى الهدوء أكثر فأكثر. وهو استدعى سامويل ذات يوم وقال له: "أنا مريض جداً، وسأرحل عما قريب ولن أعود. ولكن لا تحزن لأني لن أكون تعيساً حيث أنا ذاهب."

في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٨ عاوده الالتهاب الرئوي مترافقاً مع نزف مروع. وفاق الوضع قدرتي على التحمل، فأدخلت المستشفى بعدما هبط ضغط دمي فجأة، وأمضيت ثلاثة أيام اعتنى صديقانا آن وبرنار خلالها بزوجي وابني.

وفي يناير (كانون الثاني) دعيت الى حضور دورة تدريبية في بلدة بعيدة. وألح علي برنار وآن لقبول الدعوة وتعهدا الاهتمام بالامور في غيابي. وحضّني أنطوان هو أيضاً على الرحيل قائلاً: "أنت في حاجة الى بعض التغيير. ولا تقلقي، فسيكون كل شيء على ما يرام."

غادرت البلدة في ١٧ فبراير (شباط). وفي اليوم التالي قرابة العاشرة صباحاً نادى أنطوان آن وبرنار وقال لهما: "أمسكا بيدي." وأسلم الروح.

أعتقد أن أنطوان كان عالماً بقرب ساعته فتعمد إبعادي كي لا أشهد رحيله. وهو خلَّف لي هدية قيمة، اذ لم يكن شجاعاً فحسب، بل حضرنا أيضاً لتقبل موته. لقد جعلني أقوى وأعمق تفكيراً وأكثر مراعاة للمشاعر. وذكرى قدرته الداخلية تعينني في الحفاظ على توازني. وها أنا أبقيها نصب عيني فأحاول أن أعيش حياة هادئة وسليمة. وأطلب العون من الله عز وجل ليعينني على الصمود ما أمكن لكي أربي ابني.

كليمانس ف. ■

كما روت لكاثرين غاليتزين

لا تزال كليمانس في الغوادلوب حيث تدرِّس الرياضيات. وهي تتمتع بصحة مرضية، وقد ازداد عدد الكريات البيض في دمها. انها عضو ناشط في جمعية انسانية هناك، وقد نظمت فريق دعم للأشخاص الذين يحملون فيروس الايدز. وهي ترعى ابنها سامويل الذي أكمل عامه السابع.

العقل البشري مدفوع الى الفهم بمقدار ما هو الجسم مدفوع الى البقاء.

هـ. غ.

٤ قواعد لنحافة دائمة

قواعد بسيطة للحفاظ على رشاقة لا تزول

كان تيري كابلان سميناً معظم حياته. وهو يتذكر: "ما أعدَّت والدتي لوناً من الطعام الا وكانت الزبدة عنصراً أساسياً فيه."

واذ استبد به القلق عمد الى انقاص وزنه ٢٢ كيلوغراماً. وبعد خمس سنوات تخلص من ٢٢ كيلوغراماً أخرى واستقر وزنه في السنتين التاليتين على ٨٠ كيلوغراماً، أي أقل ٤٨ كيلوغراماً مما كان في ذروة بدانته.

والمدهش أن كابلان ليس نموذجاً شاذاً. فعلى رغم ما تشير اليه الابحاث من أن غالبية الذين يتبعون نظام حمية يستردون لاحقاً الكيلوغرامات التي يفقدونها، يصر بعض الخبراء على أن الامور ليست سيئة الى هذا الحد، ويؤكدون أن كثيرين من متبعي الحمية الذين يترددون الى مراكز الابحاث وينتهون في جداول الاحصاءات هم الذين أخفقوا مرة تلو أخرى في انقاص وزنهم. ويذهب هذا الرأي الى أن هؤلاء الاشخاص هم الأقل قدرة على إزالة فائض وزنهم نهائياً. وفي المقابل، لا يحتاج كثيرون آخرون من متبعي الحمية الى الاستعانة بالاحصاءات المقارنة، لأنهم ينقصون وزنهم بأنفسهم ونهائياً.

وتدعم هذا الزعم أبحاث مثيرة. فخلال العامين ١٩٧٩ و١٩٨٠ استطلع ستانلي شاستر وهو اختصاصي بالسمنة في جامعة كولومبيا ١٦١ شخصاً ما يبذلونه لانقاص وزنهم. وخلص الى أن نسبة المعالجة الذاتية في أوساط البدناء هي "أعلى كثيراً مما هو معروف." (وقد حدد البدين بأنه الشخص الذي يزيد وزنه ١٥ في المئة أو أكثر على المعدل الطبيعي.) فمن بين ٤٦ شخصاً عانوا بِدانة في حياتهم، اعتُبر ٢٥ منهم قد شُفوا، أي انهم لم يعودوا زائدي الوزن كما أنهم حافظوا على وزنهم الجديد فترة طويلة. وقد تخلص هؤلاء من ١٥،٧ كيلوغراماً في المتوسط وحافظوا على وزنهم الجديد نحو ١١ سنة.

وسرعان ما ظهرت دراسة في صحيفة "تصرفات ادمانية"[١] تؤيد نتائج بحث شاستر. فقد تتبع الاختصاصيان بعلم النفس روبرت كولفن وسوزان أولسون

(١) Addictive Behaviors

CONDENSED FROM PREVENTION (OCTOBER '90),
© 1990 BY RODALE PRESS, INC.

عبر اعلانات دعائية في الصحف والراديو والتلفزة حالات ٤١ امرأة فقدت كل منهن من وزنها ما معدله ٢٤ كيلوغراماً لم تستعدها طوال ست سنوات، و١٣ رجلاً حافظوا على انخفاض في السمنة بلغ متوسطه ٣٤،٥ كيلوغراماً أثناء الفترة ذاتها. ولم يحتج سوى ٢١ من هؤلاء الى برامج خاصة أو اشراف طبي.

ولكن ما الذي يساعد الناس على انقاص وزنهم وعدم استعادة الكيلوغرامات الزائدة؟ اليكم وسائل ناجعة مستقاة من أبحاث حديثة وأشخاص اتبعوا نظام حمية فاعلا:

تحولوا الى الأطعمة القليلة الدهن.

بدأت سو تهتم جدياً بخفض وزنها قبل ١٦ سنة، فأنقصته تدريجا من ٧٣ كيلوغراماً الى ٦٤، واستقرت على هذا الوزن مدة خمس سنوات. ثم فقدت سبعة كيلوغرامات أخرى. وهي قللت في بادىء الأمر من تناول الأطعمة الدهنية، وتقول: "اتبع زوجي أيضاً حمية قوامها طعام قليل الدهن، وهكذا تعلمت فن الطبخ الخفيف اللذيذ."

واستطاع الذين حافظوا على استقرار وزنهم فترة طويلة التوصل الى طريقة تجعل طعامهم القليل الدهن يمدهم برضى أكبر وضجر أقل. فابتكروا وجبات جديدة من اللحم الهبر والسمك والدجاج والخضر والحبوب الكاملة والفاكهة. وهم لا يحرمون أنفسهم أطباقهم المفضلة، بل يتناولون منها باعتدال. وفي المقابل، ينزع أولئك الذين يستعيدون الكيلوغرامات التي فقدوها الى حرمان أنفسهم أطعمتهم المفضلة خلال الحمية. ويعتقد بعض الخبراء أن هذه الطريقة تؤدي الى احباط للذات.

تحركوا.

حاولت تامي بوشولز طرقاً شتى لانقاص وزنها. فامتنعت عن بعض الوجبات واكتفت بتناول الحساء المركّز المجفف وشاركت في لقاءات نادٍ لانقاص الوزن. وتقول: "غير أني لم ألتزم أبداً انقاص وزني." ثم اكتشفت أن لديها نسبة عالية من الكولسترول. وكانت تتدرب لتصبح اختصاصية بالحمية، وشعرت بأن مظهرها ليس لائقاً لهذا الغرض فوزنها ٦٦ كيلوغراماً في حين لا يتعدى طولها ١٥٥ سنتيمتراً.

لذا انقصت تامي وزنها الى ٤٧ كيلوغراماً في غضون ثلاث سنوات، واستقرت على وزنها الجديد منذ أربع سنوات. كيف؟ باتباع حمية متوازنة وتناول حصص أصغر وحصد فوائد التمارين الرياضية. وهي الآن تمشي يومياً نصف ساعة وتستمتع بممارسة التزلج وركوب الدراجة.

ويجمع الخبراء على أن التمارين المنتظمة تميز الناجحين في الحفاظ على وزن مستقر. وفي دراسة نشرتها مجلة مختصة بالتغذية السريرية،[٢] أجرى

(٢) American Journal of Clinical Nutrition

الباحثون سوزان كايمن ووليم بروفولد وجوديث ستيرن مقارنة بين ٣٠ امرأة حافظن على وزنهن المخفوض و٤٤ امرأة أخرى عجزن عن ذلك. وأفادت ٩٠ في المئة من اللواتي حافظن على وزنهن أنهن يمارسن تمارين رياضية نصف ساعة أو أكثر ثلاث مرات أسبوعياً على الأقل، بينما لا يفعل ذلك سوى ٣٤ في المئة من اللواتي استعدن ما فقدنه.

هل الاجهاد ضروري لكي تكون التمارين فاعلة؟

تجيب جوديث رودين وهي طبيبة نفسانية ورئيسة قسم علم النفس في جامعة ييل أن لا حاجة الى الاجهاد. لكنها تشدد على أهمية جعل التمارين المنتظمة جزءاً لا يتجزأ من العادات اليومية، مثلها مثل تنظيف الاسنان.

وفي دراسة حديثة تبين لرودين أن الأشخاص الذين استعادوا الكيلوغرامات التي فقدوها إما بالغوا في ممارسة التمارين الرياضية واما تخلوا عنها بسرعة. وتضيف: "لقد واظبوا فترة على الأكل الصحيح والتمارين الرياضية ثم رجعوا الى عاداتهم السابقة."

عالجوا مشاكلكم مباشرة.

أظهرت الدراسة التي وضعها كايمن وبروفولد وستيرن أن الذين حافظوا على وزنهم كانوا أقدر من "المنتكسين" على معالجة مشاكلهم بمهارة. وقد أقر المنتكسون بأنهم يتجنبون مواجهة الصعاب، وأنهم متى استبد بهم القلق ينزعون الى الأكل سعياً الى شعور أفضل.

ويقول طوم فرانك الذي فقد نحو ١٥ كيلوغراماً وحافظ على وزنه الجديد طوال ١٥ سنة: "أعلم أني أفرط في الأكل عندما أكون متوتراً. ولكن ما ان أتقبل المشكلة وأسعى الى حلها حتى تختفي حاجتي الى الاكثار من الطعام."

تخلصوا من هاجس الحمية.

ان الانقاص البعيد المدى للوزن يعني التخلص من "ذهنية الحمية" أي من هاجس المرء أنه مقبل على نظام غذائي موقت آخر. تعلموا أن تنظروا الى عملية ضبط الوزن على أنها دائمة مدى الحياة.

وتؤيد الابحاث التي أجرتها كايمن وزميلاها هذا السلوك العقلي. فهم وجدوا أن الذين يحافظون على وزنهم المخفوض، خلافاً للمنتكسين، يدركون أن عليهم مراقبة كمية الطعام الذي يتناولونه ونوعيته ومستوى النشاط الذي يمارسون.

باختصار، ليس هناك علاج سريع. ويقول تيري كابلان: "ما من نظام حمية لم أتبعه، لكني لم أنجح الا عندما تقبلت عملية ضبط الوزن كنمط عيش." ويضيف أن المسألة تتطلب بذلاً، لكنها تستحق العناء، لأن "الجهد الذي أبذله ليس الا جزءاً صغيراً جداً من معاناتي أيام زيادة وزني ٤٥ كيلوغراماً على المعدل الطبيعي."

أن فلتشر ■

صربيا الكبرى حُلم رجُل وكابوس وطن

عادت الحرب الى أوروبا بعدما ساد الظن ردحاً أن شبحها قد طواه النسيان الى الابد. فبعدما أعلنت كرواتيا وسلوفينيا في يونيو (حزيران) ١٩٩١ استقلالهما عن الاتحاد اليوغوسلافي الذي هيمنت عليه صربيا، قبع العالم يراقب الوضع عاجزاً فيما عاد ورثة قرون من الكراهية يحتكمون الى السلاح. ولم تمضِ أشهر حتى أوقع النزاع مئات الضحايا وقسَّم مناطق ومدناً وعائلات.

وسط عاصفة الاحداث يقف رئيس صربيا سلوبودان ميلوسيفيتش عاقداً العزم على مد سيطرته بأي ثمن.

CONDENSED FROM THE NEW YORK TIMES MAGAZINE (SEPT. 1, '91), © 1991 BY THE NEW YORK TIMES CO., NEW YORK, N.Y. PHOTOS: ALEXANDRA BOULAT / SIPA PRESS

ثارت ثائرة المسؤولين المئة والخمسين الذين يديرون صربيا كبرى جمهوريات يوغوسلافيا الست وأكثرها اكتظاظاً بالسكان. واضطرموا غيظاً وهم قابعون منذ ساعات ينتظرون قدوم قائدهم سلوبودان ميلوسيفيتش الذي استدعاهم الى بلغراد لعقد جلسة سرية استراتيجية، فيما البلاد تتخبط في حال من الفوضى والانهيار الاقتصادي والتظاهرات الطالبية الهادفة الى الاطاحة بالحكومة الصربية.

أخيراً وصل ميلوسيفيتش واعتلى المنصة وشرع يخطب في المجتمعين لأكثر من ساعة بصوت هادىء لا أثر فيه لانفعال، مجيباً عن تساؤلاتهم حتى نفادها. في تلك الليلة من منتصف مارس (آذار) ١٩٩١ حدد ذلك السياسي المنعزل عن العالم خطته لسحق المعارضة بقبضته القومية الحديد. قال إن واجب صربيا الاول هو الدفاع عن الصرب المشتتين في جمهوريات يوغوسلافيا الاخرى وإن عنى ذلك إعادة رسم خريطة البلاد بالقوة. وأضاف أن لا معارضة سياسية ولا عويل حول التدهور الاقتصادي يستطيعان الصمود أمام الدعوة الصربية الى السلاح.

وتابع ميلوسيفيتش خطابه: "يتوجب علينا ضمان وحدة صربيا إن أردنا فرض مسار الاحداث. فالحدود شأن يفرضه الاقوياء لا الضعفاء." ثم هاجم بعنف فئة لم يحدد اسمها تسعى الى اضعاف صربيا محذراً: "إنْ توجَّب علينا القتال، فسنقاتل بلا شك، وآمل ألا يكونوا من الجنون بحيث يعمدون الى مقاتلتنا، لأننا اذا كنا لا نتقن الاعمال فنحن على الاقل نتقن القتال."

وما كاد ميلوسيفيتش ينهي كلامه حتى دوّت القاعة بتصفيق راعد.

صربيا الكبرى. أدى انهيار الشيوعية الى تأجيج نعرات عرقية وقومية في أنحاء أوروبا. وشهدت يوغوسلافيا أعنف

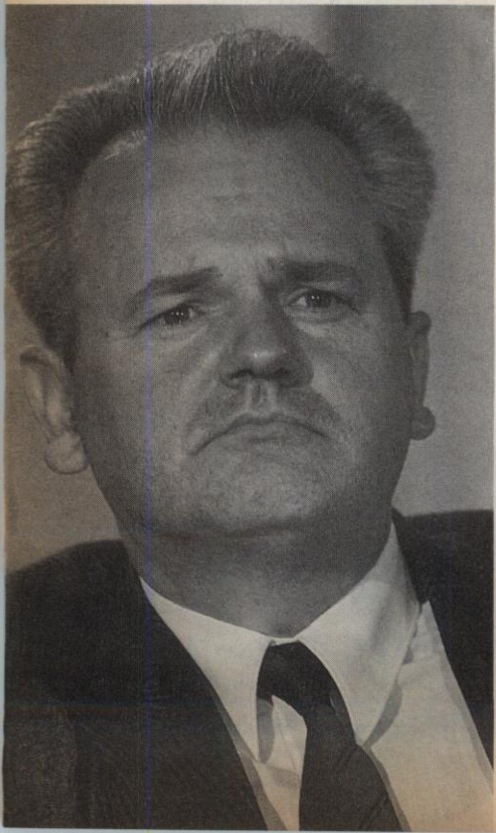

سلوبودان ميلوسيفيتش
الصربي ذو القبضة الحديد.

عمليات التفكك لاحتوائها على ثماني مجموعات عرقية فباتت منذ سنوات بؤرة تفجر مرتقب.

ويُعتبر الصرب أكثر هذه الاعراق اعتداداً قومياً. فصربيا هي الجمهورية اليوغوسلافية الوحيدة التي تمتعت بالاستقلال ردحاً طويلا. وقد قاتلت الى جانب الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الاولى، فيما وقفت كرواتيا وسلوفينيا وقتئذ الى جانب المانيا والنمسا باعتبارهما جزءاً من الامبراطورية النمسوية - المجرية (الهنغارية). لذلك اعتبر الصرب أنفسهم الشركاء المهيمنين حين انضموا الى الكرواتيين والسلوفينيين في تأسيس الدولة اليوغوسلافية الحديثة عام ١٩١٨.

وخلال الحرب العالمية الثانية أخذت الاحداث في يوغوسلافيا منحى دموياً اذ أعدم عشرات الالوف من الصرب في "مخيمات الموت" التي هيأتها الحكومة الكرواتية الموالية للنازيين. وعمد المقاتلون الملكيون الصرب بدورهم الى ذبح قرويين كرواتيين، فيما شكل الصرب المقيمون خارج صربيا العمود الفقري لمحازبي يوسف بروز تيتو.

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأ الصرب يطالبون بالانتقام. ولكن ما إن أحكم تيتو والحزب الشيوعي قبضتهما على الحكم حتى خمدت الاحقاد، وإن من غير حل. ومثّل تيتو دوراً توازنياً بارعاً، اذ وضع حداً لطموحات الانفصاليين حين حيَّد الجمهوريات، وقلَّل من نفوذ الصرب بإحداثه مقاطعتي فويفودينا وكوسوفو ومنحهما حكماً ذاتياً ورسمه حدوداً تركت ملايين الصرب قاطنين خارج نطاق جمهوريتهم.

وبعد وفاة تيتو عام ١٩٨٠ وحلول سياسة البريسترويكا الاصلاحية التي اعتمدها الرئيس السوفييتي السابق ميخائيل غورباتشيف، سارع الزعماء الوطنيون الى اقتناص الفرصة لتصحيح أوضاع اعتبروها خطأ تاريخياً. واليوم يُعتبر ميلوسيفيتش (٥٠ عاماً) الذي يقود حملة "صربيا الكبرى" لاعادة جمع شمل الصرب ضمن حدود بلد واحد، اللاعب الأساسي في صراع الموت في يوغوسلافيا.

نجم صاعد. ولد سلوبودان ميلوسيفيتش في بلدة بوزاريفاك الصربية البعيدة ٦٠ كيلومتراً عن العاصمة بلغراد. وكان أبوه أستاذاً وأمه معلمة وعضواً ناشطاً في الحزب الشيوعي. وبعد الحرب انفصل والداه وعاد أبوه الى مونتنيغرو مسقط رأسه. وانتحر الوالدان لاحقاً.

لم يكن في سيرة ميلوسيفيتش الأولى ما يميزه عن غيره من الشباب المنضمين الى الحزب الشيوعي. ويقول صديقه ورفيقه في الجامعة نائب الرئيس الصربي بوديمير كوسوتيتش إن ميلوسيفيتش لم يجد في شبابه متسعاً من الوقت لممارسة الرياضة أو الانجراف في تيار اللهو، وكان "تلميذاً نجيباً يحب مطالعة الكتب

الأدبية." وقد تزوج زميلته في المدرسة الثانوية ميريانا ماركوفيتش التي تنتمي الى احدى العائلات الشيوعية البارزة في يوغوسلافيا.

التحق ميلوسيفيتش عام ١٩٦٠ بكلية الحقوق في جامعة بلغراد. ونمّى صداقات كانت له خير معين في ارتقاء سلم السلطة. وانتخب أميناً لمنظمة الشباب الشيوعي والتقى ايفان ستامبوليتش ابن شقيق أحد أقوى شيوعيي يوغوسلافيا. وفي السنوات التي تلت تخرجه أفاد من نجم ستامبوليتش الصاعد. وتولى الاثنان مناصب متعاقبة في شركات تدور في فلك الدولة، ووصلا سريعاً الى مراكز نافذة. وكان ميلوسيفيتش يتولى تباعاً المناصب التي يخليها ستامبوليتش.

وفي منتصف الثمانينات أصبح ستامبوليتش رئيس صربيا، فيما تولى ميلوسيفيتش المركز الثاني وهو رئاسة الحزب الشيوعي الصربي. ويذكر بوغدان بوغدانوفيتش محافظ بلغراد بين ١٩٨٢ و١٩٨٦ حماسة ميلوسيفيتش للشيوعية: "كاد المسؤولون أن يلغوا صفوف الماركسية اللينينية في المدارس والجامعات لأن الجميع اعتبرها دروساً سخيفة." لكن ميلوسيفيتش أصر على ابقائها. وهو لم يكتفِ بابقاءَ هذه الصفوف بل عمد الى زيادتها."

الا أن ميلوسيفيتش كان يتغير مع تغيُّر الظروف. وجاءت أولى الدلائل على تحوله المذهل من الشيوعية الى القومية عام ١٩٨٦ عندما كتب أعضاء الاكاديمية الصربية للعلوم والآداب مذكرة اعتبرها كثيرون الاساس الفكري لصعود نجم ميلوسيفيتش، اذ جاء فيها أن يوغوسلافيا سلبت صربيا شعبها، وأن لجميع الصرب القاطنين في جمهوريات يوغوسلافيا الحق في العيش داخل صربيا.

هاجم معظم قادة الحزب الشيوعي اليوغوسلافي هذه المذكرة بعنف. لكن ميلوسيفيتش لم يقل شيئاً قبل ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٨٧ حين زار كوسوفو بولي وهي بلدة يقطنها الصرب وتقع في اقليم كوسوفو الصربي حيث تبلغ نسبة السكان الألبان ٩٠ في المئة. وتجمع خارج قاعة الاجتماع ألوف من الصرب المتذمرين من سياسة القمع التي تمارسها الحكومة الشيوعية المنقادة للالبان. وبدأت الحشود تتدافع للتقدم والاقتراب من المدخل فيما الشرطة تدفعها الى الوراء وتنهال على الناس ضرباً بالعصي.

فجأة ظهر ميلوسيفيتش على الشرفة صارخاً: "لا يحق لأحد أن يضرب الناس!".

يقول أحد الصحافيين الذين رأوا ما حدث: "كان رد الفعل عفوياً. فقد بدا ميلوسيفيتش لدى عودته الى بلغراد كمرجل متأجج كما وصفه معاونوه القريبون. وكان لا يقوى على تهدئة نفسه."

ويتفق الاصدقاء والاعداء على أن تلك كانت نقطة تحول كبرى في حياة ميلوسيفيتش اذ شعر للمرة الاولى بمدى تأثيره في الجماهير.

شن ميلوسيفيتش بعد ذلك حملة سرية للاطاحة بحليفه القديم ايفان ستامبوليتش. وفي اجتماع عقدته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصربي دبر انقلاباً أطاح بعد أشهر بالرئيس الصربي الذي لم يصدق ما حصل.

بسط السلطة. بعد إبعاد ستامبوليتش تحول ميلوسيفيتش الى الشارع سعياً الى تحقيق هدفه الاساسي: بناء "صربيا الكبرى." فنظمت تظاهرات ضمت مئات الالوف وهزت الحكومتين الشيوعيتين في كوسوفو وفويفودينا كما أججت سكان مونتنيغرو الصرب. وطرح ميلوسيفيتش نفسه محارباً مناهضاً للبيروقراطية ونسخة بلقانية ذات نكهة قومية عن غورباتشيف. فانطلقت الجماهير المؤيدة له في فويفودينا ترشق الزعماء الشيوعيين المحليين باللبن، فيما اندفعت وحدات من الشرطة الصربية المدعومة من الجيش الاتحادي الذي يهيمن عليه الصرب تسحق التظاهرات العرقية الألبانية محوِّلة المقاطعة برمتها معسكراً مسلحاً. وبنهاية العام ١٩٨٩ فاز ميلوسيفيتش بمسعاه اذ صوَّت برلمانا فويفودينا وكوسوفو على اعادة السلطات الرئيسية الى الحكومة الصربية.

في الخطوة التالية سعى ميلوسيفيتش الى بسط سلطته على يوغوسلافيا بأجمعها. لكن مسعاه كان عقيماً اذ حُلَّ الحزب الشيوعي اليوغوسلافي بعد أشهر وأجريت انتخابات متعددة الاحزاب في كل جمهورية، حقق فيها المرشحون القوميون، بمن فيهم ميلوسيفيتش، انتصارات ساحقة. وفي مارس (آذار) ١٩٩١ دعت المعارضة الديموقراطية الصربية الى تظاهرة احتجاج على هيمنة الحكومة على وسائل الاعلام، وخصوصاً التلفاز الوسيلة الرئيسية التي اعتمدها ميلوسيفيتش في توسيع رقعة نفوذه.

اندفع عشرات الألوف من المتظاهرين الغاضبين الى ساحة الجمهورية في بلغراد. وعندما تقدم رجال الشرطة لوقفهم مستخدمين خراطيم ماء وقنابل مسيلة للدموع، انبرى لهم المتظاهرون. اذذاك أطلقت عيارات نارية أوقعت طالباً ورجل شرطة. فتحولت التظاهرة شغباً عارماً اجتاح وسط المدينة، إلا أنها قُمعت وقُهر الصرب بأيدي الشرطة الصربية هذه المرة.

تبعت ذلك تظاهرات دامت أياماً. لكن قادة الاحتجاج لم يقدموا خيارات بديلة من طروحات ميلوسيفيتش سوى التزام مبهم للديموقراطية. فلجأ ميلوسيفيتش الى تراجع استراتيجي أبدل بموجبه المدير المسؤول عن محطة التلفزة ووافق على لقاء الطلاب. وبعد ذلك عاد فركز اهتمامه على مسألة القومية. وطرحت صحف الدولة قضية كرواتيا مبرزة أن الحكومة الكرواتية تضطهد الاقلية الصربية بوحشية وتخطط لابادة جماعية.

لاقت هذه الرسالة آذاناً صاغية لدى الصرب. وحظي الخط السياسي للحزب الصربي بدعم غير مباشر من الحكومة

الكرواتية نفسها التي أوحت تصرفاتها اتباعها سياسة اضطهادية، أذ أصرت على أن يوقّع الصرب قَسَم ولاء، مما صنّف الصرب في كرواتيا، قانوناً، أقلية عرقية. كما عمدت الحكومة الى توزيع بنادق حربية على بعض المواطنين.

لا تنازلات. اتبع ميلوسيفيتش في مسعاه الى تحقيق "صربيا الكبرى" استراتيجية بسيطة قرنت كل خطوة بحملة دعائية – مبالغ فيها عادة – ركزت على الظلم اللاحق بالصرب. مثال على ذلك ما حصل أخيراً خلال المواجهات العنيفة في كرواتيا بين الثوار الصرب والشرطة الكرواتية، اذ بثت محطة التلفزة في بلغراد مقطعاً معتّقاً من مقابلة بين أدولف هتلر وعميله الكرواتي آنذاك انتي بافليتش، أُتبع بلقطة أخرى لرئيس كرواتيا الحالي فرانيو تودمان وهو يصافح المستشار الالماني هلموت كول. وتُركز الحملات الدعائية على اظهار صربيا بلداً يحاصره أعداء متآمرون كوكالة الاستخبارات الامريكية (CIA) وألمانيا والنمسا والفاتيكان والماسونية والشيوعية الدولية.

بعدما أذكى ميلوسيفيتش النار بالدعاية، انتقل الى الضغط على مناوئيه عبر التظاهرات المنظمة أو العمل العسكري أو الديبلوماسية. وهذه الاساليب، التي أجبرت حكومتي فويفودينا وكوسوفو على التخلي عن سلطاتهما لصربيا، تتهدد اليوم جمهورية بوسنيا الهرسك المقسمة التي تبلغ نسبة السلاف المسلمين فيها ٤٥ في المئة والصرب ٣٥ في المئة والكرواتيين ١٨ في المئة. (أعلنت بوسنيا الهرسك استقلالها في أكتوبر/تشرين الاول ١٩٩١).

أشاعت قساوة ميلوسيفيتش ومهاراته التكتيكية الخوف في قلوب مناوئيه ومؤيديه على السواء. فتراه، بفكه الناتىء وعينيه العسليتين الثاقبتين، مهيمناً على الاجتماعات. وهو، كما يقول ميلان كوكان رئيس سلوفينيا، "لا يقدم أي تنازلات، ويصر على قبول الآخرين حججه وآراءه بلا انتقاص." وفي أغسطس (آب) ١٩٩١، ضمن مساعي البعثة الاوروبية لاحلال السلام، أمضى وزير الخارجية الهولندي هانس فان دن بروك خمس ساعات محاولا اقناع ميلوسيفيتش بالسماح بارسال مراقبين غير مسلحين من المجموعة الاوروبية الى كرواتيا. لكن محاولاته خابت، وبعد الاجتماع صرح للمراسلين الصحافيين: "إننا نشفق على شعوب لها مثل هؤلاء القادة."

ورقة خطرة. يعيش ميلوسيفيتش حياة تقشف ظاهرة. فهو يؤثر لبس القمصان المنشّاة والبزّات القاتمة الرائجة في أوساط الحزب الشيوعي، ولا يسرف في شيء سوى تدخين السيجار الكوبي الفاخر. وهو لا يتحدث علناً الا في ما ندر، حتى القريبون منه يعترفون بأنهم لا يرونه الا لماماً. يقول كوسوتيتش الذي عرفه

منذ أيام الدراسة الجامعية، إنه لم يدخل منزله ولم يلتقِ زوجته منذ أكثر من ٢٠ سنة.

يبدو أن الصرب قانعون حالياً بما ينالونه من "غذاء" قومي غني، إلا أنهم غافلون عن الاخطار التي "يغازلونها." فموجة الغلواء القومية التي تؤججها الدولة عبر التلفزة والصحف الموجهة طغت على المعارضة الديموقراطية. والثوار الصرب في كرواتيا وبوسنيا الهرسك مزمعون على اقتطاع أجزاء من الاراضي التي تقطنها مجموعات صربية. وهكذا يبدو أن ميلوسيفيتش بات قريباً من تحقيق "صربيا الكبرى" التي سعى اليها طويلا.

فإلام ستؤدي موجة العنف والفوضى؟

الواقع أن صربيا، اذا قيد لها أن تنتصر حرباً، ستكون معزولة عن أوروبا ومدمرة اقتصادياً وغارقة في نزاع طويل الامد مع المجموعات العرقية القاطنة ضمن حدودها الموسعة. يقول هاري ستاينر محرر الاخبار الدولية في صحيفة "فريمي" الاسبوعية المستقلة في بلغراد: "لقد نجح ميلوسيفيتش في جعل الصرب العاديين أكثر افتخاراً بصربيتهم. ويسود الشعور اياه قطاعاً كبيراً من المفكرين الصرب. فهم لا يريدون التمعن في الاخطار الكامنة في لعب ورقة طالما أثبت التاريخ خطرها."

ستيفن انغلبرغ ■

كوميديا

عندما سئل الاميرال المتقاعد وليم كرو، الرئيس السابق لهيئة الاركان المشتركة في الولايات المتحدة، عن صواب قراره الظهور في العرض التلفزيوني الكوميدي "تشيرز" رد على سائله قائلا: "عرض كوميدي؟ هل سبق لك أن حضرت جلسة في البنتاغون" (البنتاغون مقر وزارة الدفاع الامريكية.)

صحيفة "صن - تايمز"

عين ناقدة

كتب ناقد سينمائي عن أحد الافلام: "يبدو أن الحبكة كُتبت على فوطة في مطعم للوجبات السريعة."

وعن فيلم آخر: "لقد اشترك معظم الممثلين في هذا المشروع وهم غفل الاسماء. وهكذا سيخرجون، اذا كانوا محظوظين."

وعن آخر: "ثمة تفسير واحد لاختيار الممثلين في هذا الفيلم: لقد أجري امتحان للمرشحين وفاز الخاسرون بالادوار."

ن.ب.

تواجه الصناعة اليابانية مشكلة مقلقة
تهدد بقلب النظام الاجتماعي في البلاد

أزمة عمالة في اليابان

في اليابان اليوم، يكاد لا يخلو مدخل مبنى تجاري أو ورشة بناء أو مصنع أو مطعم من لافتات صارت عنوان العصر: "نطلب عمالا."

تعلن لافتة معلقة على أحد مطاعم "كنتكي فرايد تشيكن" في طوكيو: "اعمل عندنا بدوام جزئي تذهب الى هاواي." وتعرض ادارة سلسلة المطاعم هذه اجازات يمضيها العاملون بدوام جزئي في مركز التدريب الفخم التابع للشركة في هاواي، وهي الموقع المفضل لدى اليابانيين لقضاء اجازاتهم.

أما اعلانات اتحاد الشحن الياباني المعلقة في محطات المترو[1] ففيها: "اننا في مأزق!" وقد بدأ بعض شركات الشحن منح كل من يوقع عقداً للعمل سائق شاحنة مبلغ ٣٠٠ الف ين ياباني (نحو ٢٠٠٠ دولار) احتفالاً بتوقيع العقد. حتى دائرة الشرطة في طوكيو تواجه مشكلة في ايجاد عناصر جدد لتسيير دورياتها في المدينة الاكثر أمناً في العالم، وقد انخفضت طلبات الالتحاق بالشرطة بنسبة ٤٦ في المئة في السنوات الثلاث الاخيرة.

تواجه الآلة الاقتصادية اليابانية التي لا تتوقف – وبسبب نجاحها بالذات – نقصاً في العمالة هو الاكثر حدة في تاريخ البلاد الحديث. ويقدر عدد الشركات التي انهارت تحت ضغط نقص العمالة في السنتين الاخيرتين بنحو ٦٠٠. وتتنافس شركات عملاقة مثل

(١) المترو شبكة القطار النفقي تحت مدينة ما.

CONDENSED FROM NEWSWEEK (INTERNATIONAL) (JULY 2, '90),
© 1990 BY NEWSWEEK, INC., NEW YORK

"نيسان" و"مازدا" و"ماتسوشيتا"، التي تعتبر محركات المعجزة الاقتصادية اليابانية، لاغراء خريجي الجامعات واجتذابهم للعمل لديها. ويقول ناوهيكو سوغيمورا الطالب المتخرج في جامعة أوياما غاكوين في طوكيو والذي تلقى سيلا من المنشورات الاعلانية بما فيها عدد من أشرطة الفيديو الدعائية أرسلتها اليه أكثر من ١٠٠ شركة: "كل هذا يؤكد لي أن مجتمعنا يحتاج فعلا الى أيد بشرية عاملة."

خوف على التقاليد. المشكلة الراهنة للعمالة في اليابان هي، في قسم كبير منها، انعكاس لتغيرات ديموغرافية[٢] حادة. فلقد انخفض معدل الولادات في اطراد منذ منتصف الستينات، في وقت يميل معدل أعمار السكان نحو مرحلة الشيخوخة بوتيرة أسرع مما في أي مجتمع صناعي آخر. وقد تراجع نمو القوة العاملة، الذي بلغ ذروته في الستينات والسبعينات، في حين واصل الاقتصاد نموه السريع. والنتيجة معدل بطالة لا يتجاوز ٢،٢ في المئة يعتبره معظم اقتصاديي اليابان "استخداما كاملا" للقوى العاملة.

ان اقتصاداً بهذه القوة يستنفد كل الايدي العاملة هو "المشكلة" الاقتصادية التي يطمح اليها معظم الدول. لكنها في اليابان تهدد توازن القوى بين العامل ورب العمل. فللمرة الاولى في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بدأت أعداد ملحوظة من الموظفين تغيير وظائفها في منتصف العمر المهني مما ترك خيبة لدى أرباب العمل الذين كانوا يتوقعون اخلاصاً ثابتاً للوظيفة الدائمة التي يوفرونها.

ويثقل طلبُ العمالة ضغطَ التضخم. فقد اضطر أرباب العمل الى عرض أجور أعلى للحصول على موظفين أكفياء. وأفادت الاتحادات العمالية في المؤسسات الكبرى عن زيادة في الاجور عام ١٩٩١ تجاوزت النسبة العادية ٥ في المئة.

وما هو أكثر اقلاقاً لليابانيين أن مسألة العمالة تهدد بهز النظام والتناسق الاجتماعيين اللذين يجلهما اليابانيون كل اجلال. فماذا عن دور المرأة في موقع العمل مثلا؟ اذ تحرص التقاليد على اعتبار دور المرأة اليابانية المتزوجة البقاء في المنزل لتربية الاطفال والاهتمام بشؤون البيت، لكن النساء يمثلن حالياً نسبة ٤٠ في المئة من مجموع القوة العاملة في اليابان. وقد يبدو هذا الدفق النسائي، في رأي مراقبين غربيين كثيرين، حلا طبيعياً لنقص العمالة، خصوصاً لدى اعتبار مدى ثقافة المرأة اليابانية، اذ يتلقى نحو ثلث النساء في اليابان دراسة جامعية.

لكن كثيراً من السياسيين والاداريين ورجال الاعمال اليابانيين ينظرون بحذر الى أي تحول في هذا المجال لا يتم بتأن

---

(٢) الديموغرافيا دراسة احصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج وسوى ذلك.

انضمت النساء الى الحشود المتوجهة الى المكاتب. لكن غالبيتهن تعمل جزءاً من الوقت فقط.

واع، يشاركهم في هذا الشعور والحكمة النابعة منه ملايين من اليابانيين، بمن فيهم النساء، الذين يروّن وجوب بقاء المرأة في المنزل وانجابها الاطفال بدل اكتساب ثقافة علمية والانصراف الى العمل.

نساء ومسنّون. تغري سوق العمالة مزيداً من النساء. واذا كانت كثيرات منهن لا يزلن يعملن "سيدات مكاتب" يهتممن بسكب الشاي وتأدية أعمال بسيطة يكلفهن اياها مديرون رجال، فان أقلية من النسوة اليابانيات (اللواتي تزداد أعدادهن على نحو ملحوظ) يتولين أعمالا خطرة وشاقة يبذل الرجال جهدهم لتفادي القيام بها. فنرى، مثلا، في ورشة لشركة "ساتو كوموتن" للانشاءات في طوكيو، نساء يعتمرن خوذات معدنية ويرتدين سراويل جينز وهن يلوين قضبان فولاذ ويشغّلن رافعات. ويدّعي المشرف عليهن ساداتوشي أكيساوا مبتسماً أن استخدام النساء ضاعف انتاجية الشركة، ليس لانهن عاملات مجتهدات فحسب – و"هن كذلك فعلا،" – بل أيضاً لأن "الرجال يتلفتون فيرون النساء يعملن بالجهد نفسه الذي يبذلونه هم، الأمر الذي يشعرهم بالاحراج فيضاعفون جهدهم."

لكن النساء لن ينقذن قطاع العمل في اليابان من مأزق نقص العمالة، ذلك لأن غالبيتهن العظمى بمن فيها الشابات، على نقيض النساء الغربيات، لا يتدفقن الى كليات تدريس ادارة الاعمال والى مكاتب التوظيف للحصول على فرص عمل كالرجال. فهن يتطلعن الى الساعات الطويلة والحياة المنهكة التي يعيشها هؤلاء فلا يجدن فيها ما يغري. ويفضل معظم النساء العاملات وظائف بدوام جزئي.

ولملء الوظائف الخالية، تتطلع الشركات الآن الى الشريحة السكانية الاسرع نمواً في اليابان: كبار السن. ويشكّل المواطنون الذين تجاوزوا الخامسة والستين من أعمارهم ١١،٦ في المئة من مجموع السكان، ويتوقع أن تقفز هذه النسبة بحلول السنة ٢٠١٥ الى رقم مذهل: ٢٢،٥ في المئة. وقد بدأ عدد من الشركات، في ضوء ارتفاع متوسط العمر المتوقع في اليابان الى ما يقارب ثمانين عاماً والذي يعتبر الاعلى في

PHOTO: ROBERT WALLIS — SIPA

العالم حالياً، اعادة النظر في السياسة التقاعدية ورفع سن التقاعد من ٦٠ الى ٦٥. ومع ذلك تنتقل أعداد متزايدة من اليابانيين الذين تجاوزوا الخامسة والستين الى مهن جديدة. وتشجع الحكومة هذا المنحى، فهناك الآن ٤٢٥ مركز تشغيل لـ"الطاقة البشرية الفضية" (الشِيْب) تمولها الدولة، وتتلقى الشركات التي توظف مسنّين من خلال هذه المراكز دعماً حكومياً.

وشاعت قصص كقصة ناوتو موري: فهو عمل ٢٠ سنة سائق سيارة أجرة، الى أن اضطرته شركته الى التقاعد في السن الثالثة والستين. ولما كان لا يزال يتمتع بصحة جيدة فقد رفض الاذعان: "كانت رغبتي في العمل قوية جداً." وهكذا حصل على عمل لدى شركة "بلو" التي تملك أسطولا من ٥٠ شاحنة مغلقة (ڤان) تجوب أنحاء طوكيو رافعة لافتات اعلانية كبيرة. ويشعر موري الذي يعمل أسبوعين في الشهر بسعادة غامرة لانه عاود العمل للحصول على لقمة العيش، وهو يقول: "أريد أن أستمر في العمل حتى أبلغ الخامسة والسبعين على الاقل."

عمال أجانب. لكن كبار السن لا يقدمون الا القليل لحل مشكلة المؤسسات التي تحتاج الى عمال قادرين على تأدية مهمات تتطلب جهداً جسدياً كبيراً أو تنطوي على خطر في مقابل أجور متدنية نسبياً. ولذا فان القطاعات التي تعاني أكثر من نقص العمالة هي شركات الانشاءات والصناعات القديمة التي لا تزال منتشرة في بلدات تندر فيها الوظائف التي تتطلب مهارات حديثة، مثل كاوغوشي على مسافة ١٦ كيلومتراً من طوكيو. ويقول مدير مصنع للحديد المسبوك هناك: "لم يعد الشباب يأتون للعمل في مصانعنا، فهم يعتبرون هذا النوع من العمل غير جدير بهم."

والحل لكثير من أرباب العمل في كاوغوشي وغيرها هو احضار عمال أجانب من بنغلادش وباكستان والفيلبين وفيتنام وتايلند. وفي تقدير متحفظ لمحللي سوق العمالة، بلغ عدد العمال "غير

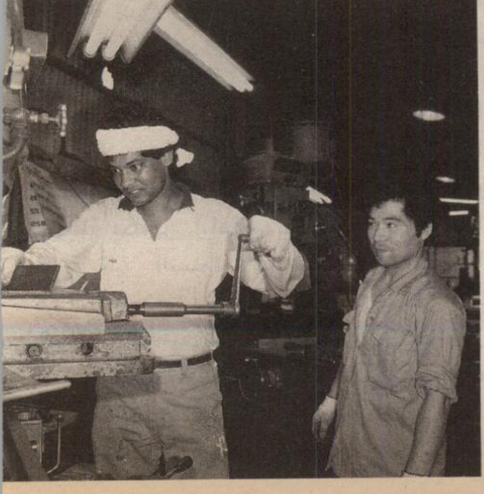

عامل اجنبي يشغل مخرطة. يبقى استقدام العمالة الاجنبية امراً غير مرغوب فيه في اليابان، لكن بقاء بعض المؤسسات مرهون بها.

PHOTO: PANA

الشرعيين" في اليابان عام ١٩٩٠ نحو ١١٠ آلاف. وللمرة الاولى في اليابان ثار جدل حاد حول ما اذا كانت العمالة الاجنبية عبئاً أم نعمة. ويؤيد أصحاب الاعمال الصغيرة والمتوسطة ادخال أعداد أكبر من العمال الاجانب لأن استمرار أعمالهم يتوقف على ذلك. فقد انهارت خمس شركات عام ١٩٩٠ في حي تسوروماكي في طوكيو مركز صناعة "طي الورق" (حيث تطوى صفحات الكتب قبل ارسالها للتجليد) "بسبب نقص العمالة،" كما قال يوكيماسا ميدوريكاوا مالك احدى هذه الشركات، وهو أضاف: "ستعقد ندوة دراسية في غضون أيام لتدريب أصحاب الشركات على سبل استقدام عمال أجانب، وانني أفكر في حضورها."

في بلد متجانس كاليابان، يبقى استقدام مزيد من الاجانب أمراً غير مرغوب فيه سياسياً، اذ يخشى كثير من اليابانيين أن يهدد تدفق العمال الاجانب التناسق الاجتماعي في البلاد ويؤثر في معدل الجريمة المنخفض هناك. ويبدو أن الحكومة من هذا الرأي، فقد شددت دائرة الهجرة أخيراً قوانين الهجرة الى اليابان لتتضمن عقوبات على الشركات التي تستخدم أجانب بصفة غير مشروعة.

والمفارقة أن الأثر البعيد المدى لنقص العمالة في اليابان قد يكون في الواقع اقتصاداً أقوى، ذلك لأنه ساعد في تأجيج فورة استثمارية لرؤوس الاموال لا مثيل لها في أي من الدول الصناعية الاخرى في فترة ما بعد الحرب.

فورة أموال. عندما يحين موعد النوبة الليلية في "يامازاكي مازاك" وهي شركة صغيرة للادوات الصناعية خارج طوكيو، يسلم العمال الستمئة العمل الى مجموعة من الروبوتات (الرجال الآليين). والهدف، كما يقول أحد المديرين، هو "الغاء عنصر العمالة من المعادلة." وقد أرصدت الشركات عام ١٩٩٠ أكثر من ٤٥٠ مليار ين (ثلاثة مليارات دولار) لصناعة روبوتات جديدة. وأظهرت دراسة حديثة ان هذا المبلغ سيرتفع الى ٩٠٠ مليار ين (ستة مليارات دولار) بحلول السنة ١٩٩٥.

ولم تقتصر فورة الاستثمار هذه على الصناعات التقليدية كالسيارات والاجهزة الالكترونية. فقد طورت شركة "أوباياشيغومي" وهي مؤسسة انشاءات كبيرة، نظاماً آلياً متقدماً لتشييد المباني تستخدم فيه روبوتات لاقامة أطر البناء وتنفيذ أعمال الدهان وتركيب زجاج النوافذ وتثبيتها. وتتمتع هذه الروبوتات بقدرة على الحركة وبمهارات حدت المحللين على القول انها قد تخفض حجم العمل الضروري في مواقع البناء بنسبة ٩٠ في المئة وتختصر المدة التي يستغرقها انجاز البناء الى النصف.

مع ذلك لا يستطيع استثمار مهما بلغ حجمه تحصين الاقتصاد – أو حتى الصناعات الفردية – من النتائج البعيدة المدى لتناقص القوة العاملة. خذوا مثلا محطات تعبئة الوقود. يقول اتشيزو كاندا أحد الاداريين في شركة "نيسيكي

ايتوتشو" التي تسيطر على حصة كبيرة من محطات البنزين في البلاد، ان ايجاد عامل لمحطة هذه الايام أمر شبه مستحيل، على رغم زيادة أجر ساعة العمل من ٦٠٠ ين الى ١٠٠٠ (من ٤ دولارات الى ٧) في طوكيو في السنتين الاخيرتين، بينما حذرت وزارة التجارة والصناعة الدوليتين من أن اليابان قد تواجه، في الطرف الآخر من المنظور الاقتصادي، نقصاً في عدد المبرمجين ومهندسي الكمبيوتر يمكن أن يصل الى مليون بحلول السنة ٢٠٠٠.

تبديل وظائف. ليس غريباً اذاً أن يعتبر العمال المهرة الناشطون أن ميزان القوى في سوق استهلاكية كهذه هو في تحوّل مستمر لمصلحتهم. وأحد الدلائل الواضحة تلك النسبة المتزايدة من الموظفين الاداريين الذين اشتهروا سابقاً بولائهم فباتوا يقفزون في منتصف حياتهم المهنية الى شركة أخرى أو الى مهنة جديدة كلياً. وقد أثار يوشيتوشي ساكوراي (٤٦ عاماً) ضجة قبل سنتين عندما ترك العمل لدى شركة "هوندا" للسيارات، وهو نجم صاعد فيها، ليؤسس شركة تختص بوضع مشاريع لسباقات السيارات.

بدّل نحو ثلاثة ملايين ياباني وظائفهم عام ١٩٨٩. ويقول أحد الباحثين الكبار في "معهد العمل" باليابان: "لم يسبق في تاريخ اليابان أن بدّل خريجو الجامعات وظائفهم كما يفعلون اليوم." ويقوى هذا الاتجاه خصوصاً بين العمال الشباب. وكشفت دراسة شملت عشرة آلاف شاب في طوكيو راوحت اعمارهم بين العشرين والتاسعة والعشرين، أن ٤١ في المئة منهم يفكرون في تغيير وظائفهم أو يرغبون في ذلك.

كما بدأ بعض العمال اليابانيين استغلال هذا التحول الجديد في ميزان القوى لتحسين شروط العمل والحصول على اجازات أطول. يقول الناطق باسم اتحاد للموزعين في اليابان ان المتقدمين الى العمل في هذا القطاع – وهم قلة – ينزعون الى أمر واحد مشترك: "ان أول ما يسألون عنه جميعهم هو عدد أيام الاجازة."

وعلى رغم صعوبة ايجاد حل بسيط لمشكلة نقص الايدي العاملة، تستجيب اليابان لهذا المأزق الاقتصادي، كما فعلت سابقاً، بتصميم غير عادي. ومن طريق "الغاء عنصر العمالة من المعادلة الاقتصادية" بواسطة الاستثمار المتنامي، لن تتمكن اليابان من تخفيف حدة الازمة العمالية فحسب، بل ستجعل مؤسساتها أيضاً أقوى على المنافسة.

بيل باول
ويوريكو هوشياي ■

تصدمك ازمة منتصف العمر لحظة تدرك ان أولادك وثيابك في عمر واحد تقريباً.
بيل تموز

ألزهايمر

عَرَض شيخوخة أم خَرَف وراثيّ؟

يجدّ العلماء في كشف أسرار هذا المرض الرهيب الذي يقعد الناس ويذهب بعقولهم

نسيت أليس زيلونكا (٧٣ عاماً) أن تملأ أرومات الشيكات التي سحبتها، فطمأنها ابنها وزوجته الى أن لا أهمية لذلك ولا سبب لكي تقلق، وقالا لها: "كلنا ننسى من حين الى آخر." ولكن حين أضاعت خاتم زواجها ومفتاح خزنتها اعتراها الخوف وقالت: "عقلي مظلم كعاصفة شتائية."

ان داء ألزهايمر،[١] ذاك الاضطراب الذي يوهن الدماغ والذي عُزي سببه في الماضي الى تصلّب الشرايين، يصيب واحداً من كل عشرة أشخاص تجاوزوا الخامسة والستين ونحو نصف أولئك الذين تجاوزوا الخامسة والثمانين.

والتدمير الفادح الذي يسببه هذا المرض لأسوأ كثيراً مما يتصور الناس. فبعد ظهور الاعراض يستمر الدماغ في الانحطاط، وخلال مدة تراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة يتحول النسيان البسيط غير المؤذي تشوشاً تاماً يفضي الى الموت.

ويسبب داء ألزهايمر ضيقاً لأهل المصاب. تقول باتريشيا هوبنر كنّة أليس زيلونكا التي تعاني الداء في نهاية أطواره: "هذا المرض لا يهدم صاحبه فحسب، فالمصابون به لا يعلمون ماذا يحدث. ان داء ألزهايمر يهدم العائلة."

في مواجهة هذا الوباء تبرز دلائل تبعث الامل. فخلال العقد الفائت بدأ الباحثون يفكون العقد البيوكيميائية والجزيئية التي تسبب الداء. وفي الاشهر الاخيرة اكتشفوا مداخل حلول يجري استقصاؤها للتوصل الى معالجات مستقبلية.

يعرف الآن أن هذا الداء يتلبّس أشكالا عدة. أحدها يبتلي الذين لم يبلغوا الخامسة والستين ويبدو وراثياً يسري في العائلات، ويظهر آخر عموماً بعد

(١) Alzheimer's disease

CONDENSED FROM U.S. NEWS & WORLD REPORT (AUGUST 12, '91),
© 1991 BY U.S. NEWS & WORLD REPORT, INC., WASHINGTON, D.C.

الخامسة والستين. وثمة نوعان من البروتيين هما بيتا - أميلويد وتاو[٢] متورطان في كل أشكال الداء. وكلاهما معنيان بتعطيل وظائف الخلايا في أقسام الدماغ المسؤولة عن الذاكرة واللغة والفكر.

وعلى رغم ازدياد المعرفة بخصائص الداء فلا شفاء منه ولا معالجة فاعلة. يقول دنيس سلكو وهو طبيب أعصاب وباحث في مستشفى بريغام ببوسطن يهتم بمرضى ألزهايمر: "ان ألزهايمر مرض ولغز معقدان. والمعالجة الذكية لن تأتي الا من تفهم أسبابه وخفاياه."

يخلّف ألزهايمر آثاراً جليّة في الدماغ. فالخلايا التالفة في أدمغة الضحايا مجدَّرة بنوعين من الشذوذ يدعيان: عقداً وصفائح.[٣] وتبدو العقد خيوطاً كثيفة متشابكة من بروتيين تاو المعدَّل داخل الخلايا العصبية المضروبة. أما الصفائح فتظهر على السطح الخارجي للخلايا العصبية، وهي كتل من بيتا - أميلويد متشابكة مع فروع ميتة أو مائتة من الاعصاب المحيطة.

ومهما يكن مسبب داء ألزهايمر، فقد بدأ المتخصصون بأمراض الاعصاب يرون نمطاً مألوفاً في موت الخلايا العصبية وتشابكها. فالخلايا التي تموت أولا كائنة في الجهاز الهامشي[٤] وهو جزء من الدماغ يضبط العواطف والذاكرة. وتشير الادلة المتجمعة من ألوف تقارير التشريح وتخطيطات الدماغ الى أن الجهاز الهامشي، وخصوصاً الجزء الذي يدعى قرن آمون[٥] مكتظ بالصفائح والعقد. ويضرب التلف تالياً قشرة المخ[٦] فيقتل الخلايا العصبية ونقاط اشتباكها[٧] في القسم المعنيّ باللغة والفكر.

ويبدو أن خريطة الدمار المتفشي تتوافق والتدهور المطرد في سلوك المريض. ويشرح الدكتور مارشال فولشتين وهو طبيب أعصاب وأمراض نفسانية في مؤسسات جونز هوبكنز الطبية، أن "الضحايا" الاولى للداء هي ذكريات من الماضي القريب، أفكار يضبطها قرن آمون في الدماغ. فالمرضى في المراحل الاولى يعجزون عن تذكر موعد ضربوه البارحة. ويتبع ذلك غياب صور طال اختزانها في الذاكرة. فينسى المرضى الطريق من محل البقالة الى المنزل، أو ينسون أسماء أولادهم. في هذه المرحلة يصاب المريض أحياناً بالكآبة والانحطاط، ربما لأن داء ألزهايمر يهاجم الموضع الأزرق[٨] في الدماغ حيث تصنع مادة كيميائية جوهرية في تنظيم المزاج والحالات النفسية.

حين شخص الطبيب، بعد سنوات، احتمال اصابة أليس بداء ألزهايمر، كانت

---

(٢) Beta-amyloid and tau
(٣) Tangles and plaques
(٤) Limbic system
(٥) Hyppocampus
(٦) Cerebral cortex
(٧) Synapses
(٨) Locus ceruleus

المسكينة أصبحت عاجزة عن الاحساس أنها صائرة الى فقدان عقلها. وهي أخبرت كنتها باتريشيا حين أوصلها شرطي الى منزلها بعد ثلاث ساعات من مغادرتها السوق: "لم أضلّ طريقي، فهذا السائق أوصلني الى البيت."

كانت أليس قادرة على تذكر حوادث وقعت قبل عشرين سنة، لكنها باتت عاجزة عن تذكر ما حدث قبل خمس دقائق. كانت تتبع كنتها في أرجاء المنزل وتكرر طرح الاسئلة ذاتها. لكن باتريشيا صبورة ولطيفة، فكانت تجيبها: "اليوم الثلثاء، وقد تناولنا الغداء قبل نصف ساعة."

فتنسحب أليس الى غرفتها حيث تعيد تكديس مجموعة من الصحف، وتعدّ المال الذي أرسله اليها ابنها رولاند، وتعدّه ثانية وثالثة، وتخبىء طعاماً في حذائها تحت السرير، ثم تخرج وتنزل السلم الى باتريشيا وتسألها: "أي يوم هو هذا؟"

يظهر تدمير المرض على أشده في القشرة الخارجية للدماغ حيث مركز التفكير. ففي هذه المرحلة يعاني ما بين ٢٠ و٣٠ في المئة من المرضى أوهاماً، وبعضهم يعاني هلوسة، ويغدو آخرون مشككين متوجّسين يتوهمون أن أنسباءهم يسرقون دراهمهم. وهم يخسرون القدرة على فهم اللغة. ويعجز البعض عن تمييز الاشياء والوجوه، حتى وجوه من يحبون. ويصاب قليلون بنوبات أو يصبحون عنيفين. واذا طال عمر المصاب ماتت الخلايا العصبية في مناطق الضبط الحَرَكي[٩] في الدماغ، مما يؤدي الى تدمير القدرة على المشي والكلام وحتى على الابتلاع.

وان يكن مرض ألْزهايمر يظهر واضحاً في التشريح لا لبس فيه، الا أنه من الصعب تشخيصه بدقة تامة في المريض الحي. فهناك عدد من الأمراض التي تحدث أعراضاً مماثلة لاعراض ألزهايمر. كذلك تفعل بعض المخدرات. ويتوقع الباحثون توافر فحص بيوكيميائي للداء في غضون العقد الحالي. أما في الوقت الحاضر فيبقى تشخيصه رهن الفحوص العصبية والنفسانية وافادات العائلة عن التغيرات السلوكية للمريض.

كانت أليس تذرع غرفتها ليلاً، وفي النهار تجول في المنزل ولا تتوقف الا عند الثلاجة لتأكل. وباتت تثور أحياناً بعدما اتسمت بالخجل والهدوء في ماضي حياتها. وذات صباح صفعت كنتها على وجهها، ثم نسيت كل شيء بعد لحظات.

لا أحد يعرف أسباب انقضاض داء ألزهايمر العنيف على الدماغ، ولكن يبدو أن جينات[١٠] معتلّة تعمل على إحداث بعض أنواعه. فالكروموزوم ٢١، وهو واحد من الكروموزومات الـ٢٣ الموجودة في كل الخلايا البشرية، قد يؤدي دوراً أساسياً

(٩) Motor-control

(١٠) الجينات (genes) هي حاملات الخصائص الوراثية في كروموزومات (صبغيات) الخلايا.

في جلاء الغموض. فالمصابون بمتلازمة "داون"،[١١] وهي شكل خِلقي من التخلف العقلي يسببه حصول الجنين على نسخة اضافية من الكروموزوم ٢١، تتكون في أدمغتهم آفات مماثلة لتلك التي تظهر في أدمغة المصابين بداء ألزهايمر.

والكروموزوم ٢١ هو أيضاً موطن الجينة التي تولّد بيتا – أميلويد. وقد اكتشف الباحثون عام ١٩٩١ أدلة قاطعة على تشوهات في هذه الجينة لدى مرضى ورثوا داء ألزهايمر.

وتتلازم هذه الاكتشافات والتجارب الحديثة التي تشير الى أن بيتا – أميلويد قد تكون سامة للخلايا العصبية في أدمغة الجرذان. يبدأ بيتا – أميلويد كجزء من بروتيين طبيعي أكثر طولا يدعى بشير الاميلويد (APP).[١٢] في الحالات العادية، تقطع الأنزيمات (الخمائر) APP أجزاء أصغر. وأحد مراكز القطع هو وسط وحدة بيتا – أميلويد مما يتسبب في تدميرها. ويظنّ أن الـ APP في المصابين بداء ألزهايمر يُقتطع في المكان الخطأ، فتبقى بيتا – أميلويد سليمة. ويتوقع الدكتور سلكو أن تبرهن التجارب المستقبلية "أن بيتا – أميلويد هي بداية السلسلة الرهيبة التي تمهّد للاصابة بداء ألزهايمر."

ويعتقد كثير من الباحثين أن فهم هذه الحالة البيوكيميائية المعقدة سيتيح يوماً اكتشاف علاج لداء ألزهايمر وربما تلافي الاصابة به. وفي هذا السبيل يعمل عدد من المختبرات وشركات الادوية على استكشاف سبل للحؤول دون انتاج بيتا – أميلويد من APP وسبل تفادي سمِّيتها. ويرى باحثون آخرون أملا في "عوامل النمو"[١٣] وهي بروتيينات طبيعية تجدد الخلايا العصبية. في هذه الاثناء تختبر شركات صيدلانية عقاقير قد تعزز نشاط الاسيتلكولين ومواد كيميائية أخرى في الدماغ مهمة للذاكرة ويفتقر اليها المصابون بداء ألزهايمر.

تقيم أليس الآن في دار للعجزة، وتكاد لا تعرف أهلها لدى قدومهم لزيارتها. تجلس متصلّبة في كرسيها المدولب وتقرص جلدها بلا وعي.

وتراقب حفيدتها كيري والدها وهو يطعم امّه.

يعلم رولاند أن ألزهايمر يسري أحيانا في العائلات، وذلك يقضّ مضجعه كلما نسي موعداً أو اسماً. وهو يقول لزوجته باتريشيا: "اذا حدث وأصبت بهذا المرض، خذيني مباشرة الى دار عجزة. فلا أريد أن تعاني ابنتنا هذه المأساة."

ولا ينعم أهالي ضحايا ألزهايمر بأمل في فرج عاجل. فهم يعيشون في جحيم مغلق، والاصوات التي تطالب بالحق في المعالجة والشفاء تخفت وسط الصخب الذي تثيره أمراض قاتلة أخرى مثل الايدز وأمراض القلب.

(١١) Down syndrome
(١٢) Amyloid precursor protein
(١٣) Growth factors

لكن القضية تتعدى زيادة المخصصات لأبحاث داء ألزهايمر. فهي أيضاً مسألة خوف. يقول زافين خاتشاتوريان مدير مكتب أبحاث داء الزهايمر في المعهد الوطني للشيخوخة في الولايات المتحدة: "اذا خُيِّر الناس في الشيء الذي يرضون التخلّي عنه، فسيكون العقل خيارهم الاخير."

ويقول الدكتور دونالد بريس الاختصاصي بالبيولوجيا العصبية في مؤسسات جونز هوبكنز: "أتفاءل عندما أرى العلماء والاطباء والممرضين والباحثين الشباب يكرسون جهد حياتهم لمكافحة هذا المرض. قد يبدو المستقبل كالحاً أحياناً، الا أنه يحمل بذور أمل."

شانون براونلي ■

تفاحة جدتي

تسلّلت أشعة الشمس من نافذة المطبخ مكذِّبة توقعات ميزان الحرارة، واستراحت على الرف حيث قبعت تفاحة عتيقة كنت اشتريتها قبل ثلاثة أسابيع من امرأة تجر عربة فواكه على ناصية الشارع.

تنهدت وأنا أُعمل السكين في التفاحة وأزيل كدماتها استعداداً لتقطيعها وتحضير طبق من سلطة الفواكه. فجأة شدّت نظري حركة في الاعلى. تطلعت عبر النافذة فرأيت سرباً من العصافير في تشكيل مثل جنود مجنّحين في خطو منضبط. عبرت العصافير واختفت، نحو طقس أدفأ في مكان ما. فتساءلت لبرهة: ألست أنا أيضاً في حاجة الى أن أطير بعيداً وأبحث عن مكان جديد يمنحني دفؤه بعض راحة؟

عدت من رحلة التساؤل لاكتشف أنني كنت أنزع قشرة التفاحة في لفَّة طويلة كدائرة لا تنتهي. وتراءت لي يدا جدتي تفعلان ذلك تماماً قبل سنين كثيرة. كانت جدتي، عندما أعود من المدرسة تعبة شاكية، تأخذ تفاحة حمراء براقة من سلة الفواكه فتقشرها بهذه الطريقة وتقطعها ست قطع متساوية تقدمها الي بصمت.

نسيت سلطة الفواكه التي كنت أحضرها، وقطعت التفاحة ست قطع متساوية وضعتها بعناية في الصحن الازرق الذي كان لجدتي، ثم جلست اتمتع بمذاقها مشدوهة بهذه المعجزة الصغيرة التي أعادت جدتي عبر الذكريات لتمنحني راحة ورضى.

ج.ك.

صديقة مزعجة

كنت وزوجي نائمين صباح يوم عطلة عندما أيقظنا رنين الهاتف. فرد زوجي متثائباً، وكانت المتكلمة صديقتنا زينب. فغمغم زوجي: "لا يزال الوقت مبكراً."

فردت زينب: "لا بأس، فأنا مستيقظة منذ السادسة."

ج.ت.

كلمات حلوة

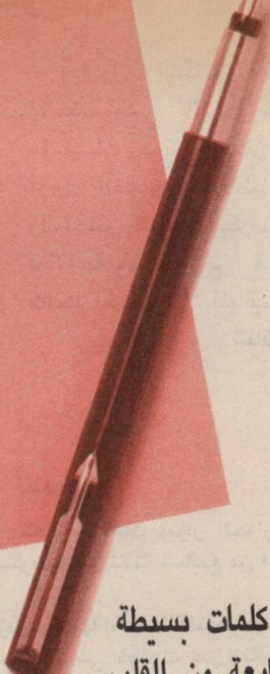

ان كلمات بسيطة
نابعة من القلب
نخص بها صديقاً او زميلا أو غريباً
تضفي على نهاره غبطة وقد تغير حياته

خلال عملي الاوّل محرّراً رياضياً في مجلة لم أتلقَّ كثيراً من رسائل المعجبين. لذا أثارت فضولي ذات صباح رسالة ملقاة على طاولة مكتبي، وكان المغلّف يحمل شعار كبرى صحف المدينة.

فضضتُ الكتاب وقرأت: "مقالك رائع حول منتخب كرة السلة. ثابر على عملك الجيّد." وحملت الرسالة توقيع المحرر الرياضي دون ولف. ولما كنت فتى مراهقاً فقد كانت كلمات ولف كقطرات ندى على شفتي ظمآن. واحتفظت بالرسالة في درج مكتبي حتى تأكلت أطرافها. وكلما ساورني شك في قدرتي على الكتابة كنت أقرأها فأسترجع بهجتي واندفاعي.

حين توثقت معرفتي بدون ولف، اكتشفت فيه عادة المبادرة السريعة الى توجيه كلمات تشجيعية الى الناس في كل معارج الحياة. قال لي: "يسرني أن أجعل الآخرين سعيدين بأنفسهم."

ولا غرو في أن دون ولف نَعِم

PHOTO: ERNEST COPPOLINO

بصداقات كثيرة. وحين توفي عام ١٩٩٠ عن ٧٥ عاماً، أغرقت الصحيفة برسائل واتصالات من أناس سبق أن تلقوا عباراته المشجّعة.

السهل الممتنع. حاولت عبر السنين أن أقتدي بدون وبأصدقاء آخرين يهتمون للناس باخلاص يحدوهم على كتابة تعليقات مشجعة. فأنا أعتقد أن هذه الطريقة تأتي نتائج مثمرة. فهي تبدو، في هذا العالم البارد الخالي من التجاوب، ينابيع دفء واطمئنان. فنحن نحتاج الى من يعزّز ثقتنا بأنفسنا من وقت الى آخر. وبضعة سطور من الاطراء قادرة على تبديد سيئات نهار، وربما حياة برمّتها.

فلماذا يندر كتّاب الرسائل المتفائلة المشجعة؟

أعتقد أن كثيرين ممّن يتجنبون هذه الخطوة أشخاص يعتريهم الخجل والارتباك. فهم يخشون أن يسيء الآخرون فهمهم مما يجعلهم يبدون مبتذلين أو متزلفين. ثم إن الكتابة تستغرق وقتاً، واستخدام الهاتف أسهل.

لكن عيب الاتصالات الهاتفيّة أنّها ذات تأثير لا يدوم. فالرسالة التي نكتبها الى آخرين تترجم على الورق صدق تمنياتنا. انها تسجيل لما نشعر به يتيح لكلماتنا أن تُدّخر فتُقرأ غير مرّة وتُستذوق.

وقد تستغرق كتابة بعض الرسائل وقتاً طويلا جداً. ومع ذلك فثمة أشخاص كثيرو الاشغال يكتبونها ومنهم الرئيس الامريكي جورج بوش. ويقول البعض انه مدين بانجازاته السياسية لقلمه الجاهز دوماً. كيف ذلك؟بتعزيز كلّ لقاءاته بردود فعل صادرة عن القلب يصوغها بكلمة ثناء أو بسطر مديح أو بايماءة شكر. وهو لا يوجّه رسائله الى أصدقائه وشركائه فحسب، بل كذلك الى أناس يتعرّف اليهم مصادفة أو الى غرباء مثل ذلك الرجل الذي أعاره مظلة ففوجىء بالرئيس يربت ظهره بمودة شاكراً.

حتى الاعلاميون الذين لا يحب الرؤساء مراسلتهم يتلقون رسائل ودية من بوش. وكذلك أفراد عائلاتهم. في أحد أيام الصيف دعا بوش عدداً من الصحافيين ورجال الاعلام الى حفلة شواء في منزله في كينيبنكبورت بولاية ماين. وفيما كانت كاتي الصغيرة ابنة جاك غاليفان المخرج في شبكة "اي بي سي" للتلفزة، تسبح في البركة، سقطت سنّها فراحت تبكي. ورأى الرئيس الدموع في عينيها فسألها ما بها. ولما أخبرته أدرك مدى أساها اذ تذكر تجارب مماثلة لاولاده في حداثتهم. فالصغيرة لن تتمكن من تخبئة سنّها المفقودة تحت وسادتها مساء في انتظار أن تأتي "حورية الأسنان" وتبدلها بهديّة صغيرة كما تقول الخرافة. فطلب بوش من أحد مساعديه أن يأتيه بورقة رئاسيّة تحمل رسماً لدارته في كينيبنكبورت، فوضع عليها علامة × حيث موقع البركة وكتب الجملة الآتية: "عزيزتي حوريّة الاسنان، لقد وقعت سنّ كاتي فعلا حيث علامة ×. أنا أقسم على ذلك. جورج بوش."

لقد توافر في هذه الكلمات أسلوب السهل الممتنع في كتابة الرسائل، اذ خلت من الاسهاب وأفاضت عاطفة. وأهم من ذلك انها جعلت كاتي تكف عن البكاء.

وكان الرئيس الامريكي الراحل أبراهام لينكولن موهوباً أيضاً في كتابة الرسائل. واحدى أشهر كتاباته رسالة تعزية رقيقة وجهها الى السيّدة ليديا بيكسبي التي ثكلت ولدين في ساحة المعركة وجاء فيها: "انّني أشعر كم هي هشة وعقيمة كلماتي التي أحاول عبرها التخفيف من حسرتك في هذه الخسارة المفجعة. وأضرع الى الله أن يخفف من لوعتك ويحفظ في قلبك ذكرى من أحببتِ وخسرتِ والفخر الكبير بالتضحية التي رفعت على مذبح الحريّة."

ويُلاحظ أن مديري المؤسسات الكبرى الذين اعتادوا نمطاً ادارياً قائماً على القسوة والبرودة والانعزال بدأوا يتعلّمون كتابة الرسائل التي ترفع من معنويّات مرؤوسيهم، وهم يقطفون ثمارها.

كان من عادة دونالد بيترسن الرئيس السابق لمجلس ادارة شركة "فورد" الذي عزي اليه الفضل في انقاذ الشركة من الافلاس في الثمانينات، أن يمرّر رسائل تشجيعيّة سريعة الى موظفيه كل يوم. وهو يقول: "كنت أخربش ملاحظاتي على ورقة مذكرة أو على زاوية رسالة وأمررها اليهم. ان أفضل عشر دقائق من يومك هي تلك التي تمضيها في عمل يدفع الناس الذين يعملون لديك الى الامام."

ويضيف بيترسن ملاحظاً: "غالباً ما يجهل الناس الذين نحبّهم ماهية شعورنا ازاءهم. فالواحد منا يفكر كالآتي: انني لا أنتقد، فلماذا أثني؟ وننسى أنّ البشر يحتاجون دوماً الى تعزيزات ايجابيّة، وأن هذه التعزيزات هي أساس عيشنا."

أربع مزايا. ما الذي تتطلبه كتابة رسائل ترفع المعنويّات وتدفىء القلوب؟ انها لا تقتضي سوى تجرّد من الانانية ورغبة في التعبير عن التقدير. ويتحلّى كتبة الرسائل المشجعة بمزايا أربع:

١. الصدق. فالمبالغة في الاطناب لا تجدي.

٢. الاقتضاب. تكفي أسطر ثلاثة للتعبير عما نشعر به.

٣. الدقّة في التحديد. ثمة فرق كبير بين أن نقول لزميل: "كان خطابك جيداً" وأن نقول له: "لقد كان حديثك عن الوعي البيئي عظيماً جداً."

٤. العفوية. هذه المزيّة تضفي على الرسالة خصوصية وحماسة تنطبعان طويلا في ذهن قارئها.

وبما أن مجرّد البحث عن أدوات للكتابة يفقد المرء مزيّة العفوية فانني احتفظ حتى في أسفاري بأوراق وظروف وطوابع. وليس من الضروري اعتماد ادوات فخمة وباهظة الثمن، فما يهمّ هو الفكرة.

تطلّع جيّدا حولك وابحث عمّن يستحق رسالة شكر أو تقدير: جارك، زوجك، أمين المكتبة، نسيبك، عمدة منطقتك، زميلك، أستاذك، طبيبك. لا حاجة بك الى أن تكون

شاعراً. ابحث عن حدث قريب. تراه ملائماً، كذكرى عمل مشترك أو عيد ميلاد أو عطلة.

ولا تقيّد مديحك. ان لصيغة أفعل التفضيـل، مثل "أعظم" و"اذكى" و"أجمل"، وقعاً حسناً في النفوس. وحتى إن تجاوز ثناؤك الحقيقة قليلا فتذكر أن الآمال هي قاعدة تحقيق الاحلام.

وَرَدت علي اليوم رسالة اطراء من ربّ عملي القديم نورمان بيل. وكان قال لي مرّة ان الهدف من كتابة الرسائل المشجعة هو، ببساطة، إعلاء صرح الآخرين لأنّ أناساً كثيرين يعملون في حقل التهديم.

كانت رسالته الصغيرة الي ملأى بعبارات مشجعة دفعتني الى الجلوس لكتابة رسائل أجّلتها منذ زمن. لست ادري ما اذا كانت رسائلي هذه ستضفي على نهار أصحابها شيئاً جميلا كما كانت تفعل بي، ولكن، كما قال صديقي دون ولف، يسرني أن أجعل الآخرين سعيدين بأنفسهم.

فريد باور ■

شرشف حماتي

اكتشفت الجانب المرح في حماتي عندما قرأت الملاحظة الآتية مثبتة بدبوس الى شرشف قطني أبيض في أحد أدراجها: "ملاحظة لي: اعتبري النتائج قبل استخدامك هذا الغطاء. كيّه يستغرق ٢٢ دقيقة. هل يستحق ضيوفك ذلك؟ ألا يليق بهم الغطاء الاحمر؟ فكري في الامر!"

ر.ر.

عاشت الأسامي!

يسافر زوجي عزيز كثيراً بداعي العمل. وخلال غيابه مرة أفاقت طفلتنا شاكية من التهاب في أذنها. فأخذتها بسرعة الى الطبيب ثم الى الصيدلية حيث انتظرنا دقائق قبل أن نحصل على الدواء.

وفي البيت قرأت التعليمات التي رافقت زجاجة الدواء، ودهشت حين اكتشفت عبارة "شكراً، عزيز" وقد أضيفت طباعةً في أسفل الورقة.

أحسست نقمة عارمة، فاتصلت بالصيدلية. وعندما ردت موظفة بادرتها بحدّة: "لقد غادرت صيدليتكم قبل نصف ساعة. أنا أخذت طفلتي الى الطبيب. وأنا أحضرت الوصفة لكم. وأنا حررت الشيك ثمن الدواء. فهلا شرحتِ لي لماذا تشكرون زوجي بدلا مني لتعامله معكم؟"

قاطعت الموظفة سيل غضبي بلطف قائلة: "سيدتي، عزيز هو الصيدلي هنا، وهو يشكرك أنت!"

د.ا.

من وضَعَ السّمَّ في الشرابِ ؟

مهووس بروايات الجرائم الغامضة قرر امتحان براعته بتسميم الجيران

شعرت بيغي كار بنار تسفع قدميها. كان الاحساس الحارق ينبع من داخلها كأن دمها يغلي. ودهمتها آلام في رأسها وصدرها. وعجز الأطباء عن معرفة سبب علتها.

كانت بيغي وقد بلغت الحادية والاربعين من عمرها امرأة نشيطة واقعية. عملت في مطعم صغير واشتهرت بمرحها وحبها للعمل. وكانت تزوجت أخيراً رجلا قاسي الملامح يدعى باي كار، وهو مشرف على العمال في منجم للفوسفات في بارتو بولاية فلوريدا. كان هذا الزواج الثاني لكليهما. فألفت بيغي نفسها بين ليلة وضحاها والدة لأربعة مراهقين.

فكرت بيغي في نفسها اذ أحست بالالم الحارق: "لدي ما يكفيني من المشاكل، وأنا في غنى عن هذا المرض. أود فقط لو أعرف حقيقة ما يحدث لي."

بعد خمسة أيام على ادخالها المستشفى تراجعت أعراض مرض بيغي فأُرسلت الى منزلها. لكن الألم عاودها بعد أقل من أسبوع. وترافق مع تلعثم في الكلام، وضبابية في الرؤية وضعف في النبض. فعمدت شقيقة زوجها، وهي ممرضة، الى استدعاء سيارة اسعاف. وقالت للمسعفين باكية: "هذه المرأة تموت!"

كان ذلك في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨.

ضرب الشلل جسم بيغي شيئاً فشيئاً وتيبست حنجرتها. واقتصر اتصالها

CONDENSED FROM FLORIDA MAGAZINE, THE SUNDAY SUPPLEMENT OF ORLANDO SENTINEL (MAY 12, '91),
© 1991 BY SENTINEL COMMUNICATIONS CO., ORLANDO, FLA.

بالآخرين على لغة الاشارة التي تعلمتها من والديها الأصمين. فكانت يداها تترجمان الآتي: "الالم ينهش جسدي. لماذا أنا مريضة الى هذا الحد؟"

لم يجرؤ زوجها باي، رحمة بها، أن يخبرها ان ابنها دوان (١٧ عاماً) وابنه ترافيس (١٦ عاماً) هما في المستشفى يعانيان الاعراض الغامضة اياها.

وبدأ الأطباء يشتبهون في أن يكون في الأمر تسمماً ناشئاً من أكل لحم أو سمك فاسدين. لكن أحد الاختصاصيين بالأمراض العصبية لاحظ تساقط شعر بيغي بكثرة. وأكدت نتيجة التحليل المخبري صحة شكوكه. كانت بيغي والشابان يعانون تسمماً بالثاليوم.

والثاليوم معدن ثقيل بالغ السمية كان يستخدم في صنع سم الجرذان، وحظر تداوله قبل عشرين سنة. إلا أنه لا يزال يدخل بعض الصناعات ويستعمل في بعض أشكاله غير السامة لأغراض طبية. ويكمن خطر هذه المادة الكيميائية التي لا لون لها ولا طعم في انها، فور دخولها الجسم، تشل قدرته على تأييض الأوكسيجين.[1] وليس ثمة ترياق فاعل ضدها. وقد يمر أسبوعان قبل ظهور أولى علامات استفحالها في الجسم المتمثلة بتساقط الشعر سريعاً.

لم يعثر مندوبو الدوائر الصحية على أي أثر لهذه المادة القاتلة في بساتين البرتقال المجاورة لمنزل آل كار ولا في البئر التي توفر لهم ماء الشرب ولا في منجم الفوسفات ولا حتى في المطعم الذي عملت فيه بيغي. وفحصوا طعام آل كار وعاينوا ما التصق من مواد على الأرض والجدران في منزلهم المبني بالآجر والمؤلف من طبقة واحدة. ثم خطر لأحدهم القاء نظرة خلف صفيحة النفايات، فوجد علبة كرتون تتسع لثماني زجاجات من الكولا، لم يبق فيها سوى ثلاث لم تفتح، بينما وجدت أربع أخرى فارغة في أنحاء مختلفة من المنزل.

عثر تقنيو المختبر على آثار للثاليوم في الزجاجات الأربع الفارغة بعدما فحصوا أكثر من أربعمئة عينة مما التصق عليها. كما احتوت الزجاجات الثلاث المقفلة على كميات قاتلة من المعدن.

بدا أن بيغي وأفراد عائلتها كانوا ضحايا جريمة قتل. وقد نفذ المسمم عمله بدقة وعناية فائقتين. وهو نزع أغطية الزجاجات بواسطة مفك براغي، ثم أعاد احكامها بمهارة استدعت الاستعانة بمجهر لاكتشاف العبث الذي حصل.

بعد فترة قصيرة دخلت بيغي حال غيبوبة، وباتت أجهزة الانعاش الاصطناعية تمدها بأسباب الحياة. وشرع المحققون يتساءلون: "من تراه أراد القضاء على هذه العائلة؟"

النفس الاخير. كُلف التحري أرني مينسي من دائرة شرطة البلدة، والتحري براد بريك من مكتب التحقيقات الاتحادي

(١) الايض (metabolism) هو مجموع التغيرات الكيميائية في الخلايا الحية.

(FBI)، التحقيق في القضية. فشكَّلا فريقاً غير متجانس. كان مينسي كهلا ثرثاراً يمكن تصوره غارقاً في كرسي يتبادل الاقاصيص مع زملائه. أما بريك، المحامي الذي تحول رجل أمن، فكان يصغره سناً ويبدو أنحف ببزته وربطة عنقه، وكان غير محب للظهور ويتمتع بنباهة ونظرة ثاقبة الى التفاصيل.

مشط الرجلان منطقة آلتوراس، سائلين عن السبب الذي يمكن أن يدفع بشخص ما الى ايذاء بيغي وعائلتها. لكن المقابلات التي أجرياها خلت من أي جواب مقنع.

كان باي في نظرهما المشبوه الرئيسي، ليس لسبب سوى افتقادهما الى أدلة مغايرة. واطّلع التحريان على سجلاته المالية، واكتشفا أيضاً أن علاقته مع بيغي لم تكن كلها حباً وكلمات معسولة، وأنهما افترقا مرة أثناء فترة زواجهما القصيرة، إلا انهما عادا فتصالحا.

ولم يتوافر سوى دليل قاطع واحد للقضية، وهو تهديد طبع نصه بالآلة الكاتبة وتلقاه باي قبل بضعة أشهر وجاء فيه: "لديك أنت ومن يسمى عائلتك مهلة أسبوعين لتغادروا فلوريدا الى الابد، وإلا تعرضتم جميعاً للهلاك. وهذا ليس مزاحاً."

لم يولِ مينسي وبريك الرسالة أهمية عندما عرضها باي عليهما، كما لم يأتيا على ذكرها في مقابلاتهما، وقصدهما أن أي شخص "يتطوع" بتقديم معلومات عن رسالة أو تهديد يكشف نفسه.

وكانت "رحلة الصيد" التالية لهما زيارة منزل جاري آل كار وهما الخبير بالكمبيوتر جورج تريبال (٣٩ عاماً) وزوجته ديانا الجراحة الاختصاصية بتقويم الأعضاء.

كان تريبال يقف خارجاً قرب مرأب سيارته، وقال لهما انه يقطن في هذا المنزل مع زوجته منذ ثماني سنوات. وعندما أتيا على ذكر آل كار بدا واضحاً

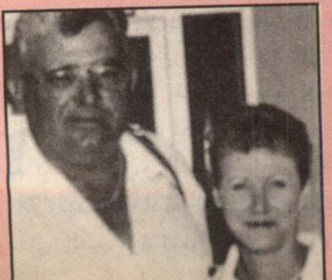

تجاهل باي وبيغي تهديداً مطبوعاً اعتبراه مزحة. لكن بيغي وابنها وابن زوجها أصيبوا بمرض غامض ذهب بحياتها.

PHOTO: THE LEDGER

ان تريبال لا يكن لهم مشاعر ود، وهو قال: "يخيل الي أحياناً أن كل واحد من الذين يقيمون هناك يملك خمس شاحنات."

وهو اعتبر باي رجلا ثرثاراً متبجحاً يحاول دائماً أن يبيعه اشياء مختلفة. وذكر أن باي زاره مرة وعرض عليه مجموعة من أدوات التصليح المنزلي أعجبته، لكنه تراجع عن عرضه في اليوم التالي. وبدا واضحاً ان هذه الحادثة كانت لا تزال تثير حفيظة تريبال.

واذ سألاه هل لديه أي فكرة عن السبب الذي يمكن ان يدفع بأحدهم الى إيذاء آل كار، أجاب: "لا بد أن شخصاً ما أراد اجبارهم على الرحيل."

جهد بريك لئلا تتغير تعابير وجهه لدى سماع هذا الجواب، وتبادل مع مينسي نظرة سريعة. وأدرك المحققان وهما يغادران المكان أن تريبال غدا المشبوه الرئيسي في نظرهما، فهو أول من قدم سبباً لحال التسمم ذكّرهما برسالة التهديد: "ارحلوا وإلا..."

شعر باي كار بارتياب الناس فيه من خلال نظراتهم اليه وتوقفهم عن الاحاديث لحظة مروره بهم. حتى ان بعض أصدقائه اعتقدوا أنه سمم زوجته.

لكن صديقاً يدعى غرانت كان أكثر دراية. ففي ليال كثيرة كان يتوقف في المستشفى ليعود بيغي وقد باتت في حكم الميتة. ولاحظ اكثر من مرة وهو يدخل غرفتها المظلمة أن باي كان يمسك يدها ويكلمها بهدوء.

ولما لم يعد هناك أمل في نجاتها، أخذ القرار الصعب في ٣ مارس (آذار) ١٩٨٩ بعد مرور خمسة أشهر على حادثة التسمم. وضع غرانت ذراعه حول كتفي باي فيما الأطباء يفصلون عنها أنبوب جهاز الانعاش الاصطناعي، وشهقت بيغي كار نفسها الأخير.

جرائم غامضة. لم يسترعِ جورج تريبال اهتمام معظم جيرانه في آلتوراس. فقد كان يعيش حياة هادئة ممضياً معظم أوقاته في تجارب على أجهزة الكمبيوتر أو في زيارة المتنزهات والمحميات الطبيعية أو في انجاز بعض الاعمال نيابة عن زوجته ديانا. وكانت هذه شديدة الولاء له على رغم خصوصية مزاجه. وهو كان، على سبيل المثال، يكره ضجيج التلفزيون، مما يضطرها الى زيارة احدى الصديقات لمشاهدة برنامجها التلفزيوني المفضل "الجريمة الغامضة."[٢]

تعرفت ديانا الى جورج بواسطة اعلان في باب للتعارف ضمن نشرة تصدرها جمعية "مينسا" لذوي الذكاء الخارق. وانتقلا الى آلتوراس بعد حصولها على عرض للعمل جراحة لتقويم الأعضاء في بلدة بارتو المجاورة.

وسرعان ما أنشأ الزوجان فرعاً غير رسمي لجمعية "مينسا" في منطقة اقامتهما، وعملا معاً على مشروع خاص لهذا الفرع سمَّياه "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة."[٣]

(٢) Murder, She Wrote
(٣) Murder Mystery Weekend

كانت هذه فكرة ديانا. فهي من عشاق الجرائم الغامضة منذ طفولتها. أما "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة" فكانت تقدم سنوياً على مسرح أحد الفنادق ولكل منها حبكة مختلفة كل عام. ويتولى بعض الأعضاء تمثيل الجريمة بينما يحاول آخرون معرفة المجرم. وعلى عكس ديانا، لم يشارك جورج في أي دور، بل اكتفى بالتدقيق في النصوص التي تكتبها زوجته.

اكتشف التحريان بريك ومينسي بعد لقائهما تريبال أنه اتهم عام ١٩٧٥ بالتورط في صنع عقار "أمفيتامين" لاحدى كبرى شبكات المخدرات في جنوب شرق الولايات المتحدة. كما أنه عمد في مرحلة دراسته الى رش مقبض ثلاجة بمادة تسبب هذياناً صنعها بنفسه اذ اشتبه في أن أحدهم كان يسرق طعام رفيقه في الغرفة، آملا أن يمتص جلد السارق هذه المادة.

ثم أُعلم التحريان بمشادات حصلت بين آل تريبال وآل كار. فقد وقعت بينهما صدامات في شأن قيادة ابن باي دراجة هوائية داخل أرض تريبال. وقبل حادث التسمم بأسبوع حصلت ملاسنة حادة بين ديانا وبيغي بسبب الموسيقى الصاخبة التي كانت تنبعث من منزل آل كار.

دور خطر. أصرَّ رئيس الشرطة لورنس كرو على حل القضية. كان غاضباً، فالجريمة باردة ومدروسة، وهو رأى أن المنطق والشرطة والخبرة القانونية عرضة لسخرية قاتل منحرف يتمتع بدرجة ذكاء عالية ويعتبر القتل لعبة.

وبدا أن فكرة بز رجال الشرطة دهاء كانت تستهوي تريبال، تماماً كما تستهويه فكرة التخلص من عدو.

واذ شعر كرو بوصول التحقيق إلى طريق مسدودة، سأل بريك ومينسي محبطاً: "كيف سنعمل على حل هذه القضية؟"

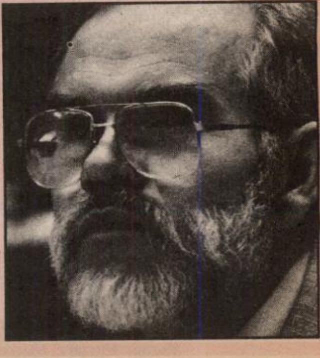

أورد جورج تريبال في كتيِّب حول تمثيلية "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة": "حين يجد الأشخاص الحذرون رسالة تهديد بالموت على عتبة منزلهم، فانهم يعاينون جيداً ما يأكلون."

PHOTO: CALVIN KNIGHT / THE LEDGER

علم كرو أن عرض "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة" بات وشيكا، فصمم على "زرع" مخبر سري في مكان عرض المسرحية ليصادق تريبال. فاختار لهذه المهمة المحققة الخاصة سوزان غوريك. وكان عليها انتحال شخصية شيري غوين الوافدة حديثاً للالتحاق بفريق الممثلين.

التقت غوريك تريبال لدى توقيعها عقد الاشتراك في مسرحية "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة." وعلى أثر حديث قصير بينهما قدم اليها تريبال الكتيب المخصص بتعريف المشتركين على المسرحية. وفي وقت متقدم من ذلك المساء، بينما كانت غوريك تتصفح الكتيب، وقعت على مقطع تقشعر له الأبدان ورد فيه: "حين يجد الأشخاص الحذرون رسالة تهديد بالموت على عتبة منزلهم، فانهم يعاينون جيداً ما يأكلون. فمعظم الأشياء قرب العتبة وسيلة جار للقول: أنا لا أحبكم. ارحلوا وإلا..."

وفكرت غوريك: "لا شك في أن تريبال وضع الزجاجات المسممة على عتبة منزل آل كار وهو يعلم أن أحدهم سيُدخلها. فهل يكون الكتيِّب وسيلة للتباهي بنجاح عملية التسميم؟"

كان على غوريك أن تجيد أداء دورها في المسرحية لمعرفة الجواب. فأقامت مع تريبال صداقة سريعة، وكان كل ما عليها فعله أن تطرح عليه سؤالا فيسترسل في الكلام ساعات. رأت فيه رجلا عبقرياً ذا معرفة موسوعية. ولكن ماذا يحصل ان فضح أمرها؟ لذلك كانت تراقب طعامها بحذر كلما تناولا الغداء معاً. واذا اضطرت الى ترك المائدة لسبب ما، كانت تمتنع عن الأكل بعد عودتها.

ذكاء شرير. عزم جورج وديانا، بعد مرور ستة أشهر على تأدية غوريك دور شيري غوين، على الانتقال الى منزل جديد في بلدة سيبرينغ، فسألتهما غوريك تأجيرها بيتهما القديم فوافقا.

بادرت غوريك وبعض رجال الشرطة بتفتيش المنزل ليلة انتقالها إليه في ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٩. وفيما كان بريك يفتش في المرآب عثر على زجاجة بنية صغيرة في دُرج تحت كومة من الخرق. فوضعها في كيس نايلون مخصص لجمع الادلة وأرسلها الى المختبر الشرعي التابع لمكتب التحقيقات الاتحادي في واشنطن.

وبعد ستة أسابيع كانت غوريك تتناول طعام العشاء مع تريبال، فأبرزت له بطاقتي بريك ومينسي وأخبرته أن الشرطيين السريين يعملان على حل قضية التسمم وقد سألاها عنه.

حدق تريبال الى البطاقتين مصدوماً.

تلقى بريك في ١٢ مارس (آذار) ١٩٩٠ اتصالا هاتفياً من مكتب التحقيقات الاتحادي يعلمه بأن الزجاجة التي وجدها تحتوي على مادة الثاليوم. فاجتمع فريق العمل في مكتب كرو وأخذ قراراً بعرض القضية على المحكمة العليا.

وبحلول ٧ ابريل (نيسان) ١٩٩٠، بعد

مرور أكثر من سنة على وفاة بيغي كار، توقفت قرب منزل آل تريبال عشر سيارات تقل ثلاثين شرطياً يتقدمهم بريك مينسي.

واستسلم تريبال خانعاً.

اكتشف رجال الشرطة اثناء تفتيشهم منزل تريبال في سيبرينغ كتيباً عنوانه "الدليل العام للتسميم" وفيه معلومات عن أنواع السموم جمعها تريبال. وتضمن الكتيب باباً مخصصاً بمادة الثاليوم. كما عثر بين مجموعة الروايات البوليسية التي اقتنتها ديانا على رواية أغاثا كريستي "الحصان الشاحب"[٤] حول سلسلة من جرائم القتل تسميماً بالثاليوم.

لم يستبعد تريبال أن يصدر حكم ببراءته على رغم الأدلة الظرفية القاطعة، حتى انه طلب سيارة أجرة تعيده إلى منزله في اليوم الأخير للمحاكمة. ولم تضطرب ملامحه الحالمة عندما صدر حكم هيئة المحلَّفين.

دين جورج تريبال بتهمة القتل وحكم عليه بالاعدام. وهو لا يزال في السجن.

هل كانت وفاة بيغي كار احدى "أحاجي" الجريمة الغامضة بالنسبة الى تريبال؟ هذا ما يظنه التحري في دائرة مكافحة المخدرات، ريتشارد بروتون، الذي كان اعتقل تريبال قبل مدة طويلة بتهمة رش الأمفيتامين. وهو يقول: "اعتقد تريبال أنه أذكى كثيراً من سواه. ولا بد أنه يعيش معاناة مريرة حالياً، لا لأنه دين، بل لأن حفنة من رجال الشرطة الريفيين انتصرت عليه وزجته في السجن."

مايكل ماكلاود ■

روسي في أمريكا

خلال زيارة للولايات المتحدة، التقى الرئيس السوفييتي السابق غورباتشيف روسياً مهاجراً فسأله: "ماذا تشتغل هنا؟"

أجاب المهاجر: "انني أعمل مع شقيقي وشقيقتي في مصنع كبير."

- وكيف يعاملك رؤساؤك الرأسماليون؟

"معاملة رائعة يا سيدي. في الواقع، اذا التقاك رئيسك وأنت تمشي من المصنع الى البيت، فانه يقلّك في سيارته الكبيرة، ويأخذك لتناول العشاء في مطاعم فخمة، ويغدق عليك الهدايا؟"

ذهل الزعيم السوفييتي وسأل الرجل: "هل يحصل ذلك دائماً؟"

فأجابه: "في الحقيقة، لم يحصل هذا معي أبداً، لكنه حصل مع شقيقتي."

صحيفة "غازيت"

احدى حسنات رواية نكتة "بريئة" هذه الايام هي الاحتمال الكبير ألا يكون أحد سمعها من قبل.

د.ل.

فاصل بين طريقين قرب تلسا في ولاية أوكلاهوما أصبح موئلا للأزهار البرية والأشجار الوارفة.

أَصْدقاء الطبيعَة

أدرك هؤلاء المتطوعون أن نظافة البيئة تبدأ من عقر دارهم فهبوا يداً واحدة ينظفون شوارعهم ويجمِّلون شطآنهم

حركة "إنهاض الاشجار"

صُدم ايليوت هاو (١٧ عاماً) اذ تبين له عام ١٩٧٢ أن أشجار الدردار التي لطفت هواء أوكلاهوما منذ أواخر القرن الماضي تتعرض للقطع المنظم على أيدي عمال البلدية. وفي حين هلل معظم الاهالي لتوسيع "الشارع ٥١" قرر هاو ابلاغ المسؤولين أن هناك مواطناً واحداً على الأقل يُحزنه غياب شجر الدردار.

وتعجب هاو اذ لاقى أذناً صاغية لدى مفوض الطرق سيد باترسون الذي دعاه الى لقاء للتباحث في الموضوع. وعلى أثر هذا اللقاء نظَّم باترسون لقاءات أخرى حضرها أعضاء نادي الحدائق في المدينة ومهندسو جنائن وممثلون لجميع القطاعات المدينية. وأبلغ باترسون الى

PHOTOS: COURTESY OF UP WITH TREES, TULSA, OKLA

المجتمعين أن المدينة خسرت نحو ٢٠٠ ألف شجرة من جراء التوسع المديني والعواصف والأمراض النباتية. ولسوء الحظ كانت تلسا تفتقر الى الاموال اللازمة لاعادة التشجير.

لم يلزم المجتمعين وقت طويل ليدركوا أن أي أمل في عكس هذا التدهور يقع على عاتقهم شخصياً. وأدى هذا الادراك الى تأسيس حركة "إنهاض الأشجار."[١]

يقول هاو: "كنت في عطلات نهاية الاسبوع أستعير شاحنة والدي وأجول على المشاتل مع باترسون نطلب هبات."

وسرعان ما اكتسبت حركة "إنهاض الأشجار" زخماً عظيماً. فوهبتها "شركة الخدمات العامة" في أوكلاهوما شاحنة ريّ ونشارة لوقاية جذور الغراس. وبدأت الشركات الكبيرة ترعى مواقع محددة بتقديمها جوائز سنوية الى المؤسسات التي تجمِّل أملاكها المتاخمة للطرق العامة. كما غدت رعاية الأشجار من المبادىء الملتزَمة فردياً.

وبمر السنوات غرست ألوف الشجيرات وأعداد لا تحصى من الازهار البرية بالتعاون مع أندية الحدائق في المنطقة، مما حوَّل عشرات الشوارع الجانبية العارية حدائق غنَّاء. وكما جاء في منشورات حركة "إنهاض الأشجار": "لا يغرس المرء شجرة لنفسه، بل للرخاء العام." ولأن نمو أشجار الدردار والصنوبر وغيرها من الأشجار المعمرة يستغرق سنين، فستفيد منها أجيال لم تولد بعد.

في صبيحة يوم بارد من فبراير (شباط) ١٩٩١ تجمع متطوعون على جنبات تلة تجاور طريق "بروكن أرو" وراحوا ينقبون الأرض ويغرسون الشتول ويسمدون الأشجار وينثرون النشارة حول الغراس النامية، فيما السيارات والشاحنات المارة بهم تطلق أبواقها في عرض تشجيعي مؤثر.

أصدقاء النهر

يتدفق نهر هوساتونيك من منابعه في جبال بركشاير جنوباً عبر تخوم بلدة غريت بارنغتون الواقعة على الطرف الغربي من ولاية مساتشوستس. وتدير البلدة ظهرها الى النهر مؤكدة المثل السائد: "بعيد عن العين بعيد عن القلب." فعلى مر السنين والبلدة تلقي نفايات أبنيتها وفضلاتها المنزلية وأشجارها المقتلعة بفعل العواصف على ضفاف النهر.

ذلك كان المنظر المنفِّر الذي طالع راشيل فلتشر في أحد أيام مارس (آذار) ١٩٨٨ عندما نظرت من نافذة خلفية في مبنى مؤسسة "صندوق الارض" حيث تعمل.

أخذت فلتشر تتحدث الى زملائها وأصدقائها والى كل من له أذنان تسمعان، عن الحال المزرية التي صارت اليها ضفاف النهر. ولم يحل فصل الصيف حتى نجحت في تنظيم حملة نظافة قوامها ٢٠ متطوعاً عملوا معها على

(١) Up With Trees

رفع كتل الرماد المتحجر والزجاجات الفارغة والأنقاض على امتداد تسعة أمتار من ضفة النهر الى مبنى "صندوق الأرض." ثم زرعوا أعشاباً لمنع انجراف التربة.

ألهم هذا العمل المتواضع نشوء ثورة صغيرة. فكالمت أمينة المكتبة في احدى المدارس فلتشر تسألها أن يتولى فريقها "معالجة" ضفة النهر المحاذية للمدرسة. لكن فلتشر اقترحت عليها أن يتولى التلاميذ هذه المهمة "لارساء شعور الواجب في نفوسهم." وذات يوم ثلثاء من يونيو (حزيران) ١٩٨٩ تطوع ٧٠ تلميذاً لازالة الأنقاض عن ضفة النهر مستعملين ما طاولته أيديهم من أدوات.

وفي خريف ١٩٩٠ تطوعت مجموعة فلتشر لتنظيف النهر من بقايا مبنى صيدلية التهمته النار قبل سنوات وجُرفت أنقاضه الى ضفة النهر لاقامة صيدلية جديدة.

وفي غمرة الجهود المبذولة لتنظيف ضفة النهر، كوَّن المتطوعون سلسلة بشرية لنقل الركام قطعة قطعة من أسفل الضفة الى مرمى للنفايات أعد لهذه الغاية. فتمكنوا في يوم واحد من إزالة ٧٧٠٠ كيلوغرام من النفايات. وتؤكد فلتشر أن هذه السلسلة البشرية التي ضمت أناساً قلما تحادثوا قبلا هي رمز لأفضل ما أنتجته الحملة، إذ "أمسك الجميع كل قطعة من الانقاض."

وفي العام ١٩٩٠ منحت أندية المنطقة فلتشر لقب "مواطنة العام." وهي تقول: "لم أكن أعرف الكثير عن علم البيئة. لكن جهلي هذا كان مفيداً، اذ أدركتُ أن لكل انسان قدرة على المساعدة بطريقة ما."

ايام النظافة

راقبت ماريا غولد ابنها الصغير براين وهو يلهو على شاطىء خليج هندرسون المعروف باسم بوردي سبيت (أي مَبْصق

بوردي).[٢] ولم تلبث أن رأته ينحني ثم يعود اليها راكضاً وفي يده حلقات بلاستيكية متصلة كانت لرزمة من ست علب مرطبات. سأل الصبي أمه: "لماذا تُركت هذه هنا؟" فبيَّنت له كيف تُفَك الحلقات، مضيفة أن طيور الشاطىء والكائنات المائية لا ترى الحلقات تحت الماء فتعلق بها. لكن براين بقي حائراً لوجود مثل هذا الشيء على الشاطىء وليس في سلة مهملات.

كان عجب الطفل مشابهاً لعجب أمه عندما قرأت لائحة بالأشياء التي وُجدت على الشاطىء في "يوم النظافة" الذي نظمه مصرف بوجت ساوند حيث تعمل في ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩. ففي ذلك اليوم تطوع موظفو المصرف وعائلاتهم لإزالة أطنان من النفايات والأنقاض من نحو ٥٠ موقعاً على شاطىء بوجت ساوند، ومما أزالوا أدوات مطبخية ودواليب ومحاقن وأحمال شاحنات من البلاستيك والزجاج والورق. وللمرة الاولى أدركت ماريا غولد "مدى خطورة الوضع." لذلك، حين أخبرها مديرها أن حملة ١٩٩٠ تتطلب قائداً جديداً، عرضت غولد تنظيم مجموعة تتولى تنظيف بوردي سبيت.

في خريف ١٩٩٠ عبرت غولد مع زملائها وعائلاتهم جسراً أدى بهم الى بوردي سبيت. وهناك رفعوا عن الشاطىء أكواماً من النفايات، بينها تلفاز ولُعب وقطع سيارات وملابس وعدد لا يحصى من علب الالمنيوم وقوارير البلاستيك. ومع انصرام النهار ملأوا ٣١ كيساً كبيراً.

وقد أدت الحملات التي تولاها ٢٣٠٠ متطوع الى رفع نحو ١٥ طناً من الحطام عن ٥٥ موقعاً في بوجت ساوند.

ويقدم مصرف بوجت ساوند الدعم المالي لهذه الأعمال (بلغت مساهمته ٣٦ ألف دولار عام ١٩٩٠). ولكن تبقى قوة المشروع متوقفة على توافر رأس مال بشري. يقول ديفيد بارنت المشرف على البرنامج: "كان في وسعنا التبرع بالمال لقضية ما كما يفعل معظم الشركات، لكننا آثرنا أن نفعل شيئاً يحرك موظفي المصرف على صعيد شخصي."

واليوم، حين تقود ماريا غولد سيارتها في الشارع المحاذي لشاطىء بوردي سبيت، فانها تراقب ما تجمع من نفايات على الرمال التي نظفتها قبل أشهر. واذا كان ابنها براين معها، فانه يسألها أن تأخذه الى الشاطىء، لا ليلعب، بل ليرفع النفايات.

الآفاق الخضر

لا تذكر هلن كيلباتريك متى بدأت مجموعات من اللصوص تستخدم قطعة الأرض الخالية المجاورة لمنزلها ورشة مفتوحة لتفكيك السيارات المسروقة. ثم بدأ تجار المخدرات يحومون كنسور جائعة حول هذه الأرض، فباتت بؤرة خطرة انتثرت فيها هياكل سيارات وأمتعة بالية وأدوات منزلية مطروحة.

(٢) Purdy Spit

شكت كيلباتريك الأمر الى هلن بوش رئيسة "مجلس الشرطة الأهلية" في المنطقة، آملة أن تثير الموضوع خلال الجلسة المقبلة. لكن بوش اقترحت عليها فكرة أخرى: "لماذا لا تنشئين حديقة؟"

أجابتها كيلباتريك: "هل تمزحين؟"

ولكن سرعان ما أصدرت سلطات الولاية اذناً بانشاء حديقة "غرين هورايزنز"[٣] (أي الآفاق الخضر).

وفي صيف ١٩٨٤ رُفعت أكوام النفايات وغُرست خمس حدائق. وفي العام ١٩٨٧ بلغ عدد الحدائق ١٥. وفي ١٩٩٠ تولى أكثر من ٤٠ بستانياً العناية بـ٩٠ حديقة تبلغ مساحة كل منها ٣٦ متراً مربعاً وتنتج بمجملها ما قيمته ٥٠ ألف دولار من الخُضر كل موسم. وغدت "غرين هورايزنز" المساهم الاكبر في برنامج جامعة روتجرز للبستنة المدينية.

وكانت تلك الحدائق الصغيرة، الى جمالها، كافية لسد حاجة البستانيين من الخُضر بحيث لم يضطروا الى شراء حبة بندورة (طماطم) أو بصلة أو كيلوغرام من اللوبياء مذ التحقوا بالبرنامج. وهم وهبوا في العام ١٩٩٠ وحده أكثر من طن من نتاجهم الى جمعيات خيرية ومطاعم مجانية تقدم وجبات ساخنة الى المعوزين.

وتتحدث هلن بوش، التي اختيرت حديقتها بين الخمس الأول في الحدائق الأهلية عام ١٩٩٠، عن احدى الفوائد الأخرى للبرنامج. تقول: "غدونا نتعاون ضمن شبكة متراصة تتيح لنا التصدي للمشاكل." والدليل على ذلك ما حدث أخيراً حين تصدى بستانيو "غرين هورايزنز" لتجار المخدرات بتجمعهم مساء وسيرهم في الشوارع ملوحين بلافتات ومرددين: "لا مخدرات بعد اليوم."

هذا أيضاً مثل على أن تهذيب البيئة يستتبع تهذيب المجتمع.

مشروع "المآثر الحسنة"

ذُهل الرجل الآتي من مينيسوتا اذ رأى أكياس النفايات المجمّعة على مسافات تتباعد نحو ١٠٠ متر على طول "الطريق ٩٣" التي سلكها بعد ساعات من اجتيازه حدود كندا - مونتانا. ففي صبيحة ذلك اليوم من أبريل (نيسان ١٩٨٦ تطوع مئات الكشافة لتنظيف جزء من الطريق الممتدة ٤٥٠ كيلومتراً ضمن الولاية.

توقف الرجل الآتي من مينيسوتا ليشكر المتطوعين، ثم قدم مبلغاً من المال الى قائد الفريق قائلا: "ادعُ الاولاد الى الغداء."

في ذلك الصباح رفع الفتية ما يزيد على ٢٢٥ ألف كيلوغرام من الحطام. ولم يكن ذلك عملاً شاقاً. يقول منسق المشروع تشاك ثيموتي: "انه يدل على فاعلية العمل الجماعي: جهد بسيط مضروب في عدد كبير من الصبيان والبنات يساوي فائدة جمة للبيئة."

بعد أشهر اقترح ثيموتي على جايمس كينغ، رئيس مجلس الحركة الكشفية في

(٣) Green Horizons

مونتانا آنذاك، تعميم عمليات التنظيف على أنحاء الولاية. وفي صبيحة يوم سبت من أبريل (نيسان) ١٩٨٧ انتشر نحو ٧٠٠٠ كشاف على مساحة ٣٧٥ ألف كيلومتر مربع ورفعوا نحو ٩٠٠ طن من النفايات.

وفي السنة التالية استهدفت عمليات التنظيف المتنزهات والمخيمات وغير ذلك من الأماكن العامة، فزاد عدد المتطوعين على ١٥ ألفاً. وبحلول العام ١٩٩٠ اجتذب مشروع "المآثر الحسنة"[٤] - الذي اقتبس ثيموتي اسمه من الشعار الكشفي: "اصنع مأثرة حسنة كل يوم" - ٣٥ ألف متطوع رفعوا كمية هائلة من النفايات بلغت خمسة ملايين كيلوغرام.

لاحظ ثيموتي بسرور تضاؤل كميات النفايات المبعثرة على جوانب الطرق. فهذا يعني، في رأيه، أن الناس بدأوا يدركون أن الفعل الجماعي يمكن أن يضر بالبيئة بمقدار ما يمكن أن يساعدها. يقول: "إن رمي علبة واحدة أو قارورة واحدة أو كيس واحد في السنة لا يبدو أمراً ذا بال. لكنه عمل تراكمي. فلو جُمعت هذه النفايات المطروحة لطمرت مدينة."

في اليوم التالي لحملة النظافة عام ١٩٩٠ اصطحب ثيموتي زوجته في نزهة الى وادي بيتروت ليريها "ما فعله الأولاد." وإذ مرّا ببعض أكياس النفايات الـ٤٠ ألفاً التي جُمعت على جوانب الطرق ريثما ترفعها شاحنات حكومية، تذكر تيموثي مبدأ آخر في شريعة الكشافة: "لا تغادر مكاناً تطأه الا وقد أصبح أفضل مما كان."

قد تبدو هذه الفكرة بسيطة، لكن مفعولها سيكون هائلا اذا مارسها الجميع.

إدوين دوب ■

(٤) Project Good Turns

مطعم العائلات

اتخذ أحد المطاعم المحلية شعاراً هو "لدينا وقت لك" يردده الموظفون حين يردون على الهاتف. وذات مساء كنت واقفاً أمام الصندوق لدفع ما توجب علي، فرنّ جرس الهاتف. فتناولت أمينة الصندوق السماعة وقالت: "هنا مطعم العائلات، لدينا وقت لك، انتظر لحظة من فضلك."

ب.ر.

ناريّتان

اشتكى رجل الى صديقه: "اننا نتشاجر كثيراً أنا وزوجتي، فهي حساسة جداً، وأي أمر تافه يشعلها."

فهوَّن عليه الصديق قائلا: "احمد ربك يا رجل، فزوجتي تشتعل ذاتياً."

ر.د.

صور من الحياة

بواكير الربيع

■ ها أنا في مارس (آذار) قد ضقت ذرعاً بالشتاء. لقد تعبتُ من تقطيع البطاطا تحضيراً للعشاء، ومن المكوث قرب النار فيما الطبخة تغلي بهدوء. وأكاد أقول ان ما بدا مريحاً في نوفمبر (تشرين الثاني) صار الآن مضجراً. وان تكن بواكير الربيع داكنة ومبتلّة أكثر منها مخضوضرة وذهبية برّاقة، فهي وقت للتغيير، وهذا ما يجعلها جذّابة.

م.ب.

شاعرية مقلوبة

■ زارتنا قريبة من المدينة. فأخذناها في نزهة وسط المروج. وحين وصلنا الى بستان يفوح منه عبير زهر الليمون رفعت القريبة يديها وراحت تدور جذلة، وتنهدت قائلة: "ما أجمله شذاً! كأنه صابون معطّر!"

ج.ج.

مشكلة بريدية

■ انتقلت الى منزل جديد حيث واجهت مع ساعي البريد مشكلة مستعصية. كان لا يكفّ عن تسليمي رسائل موجهة الى المستأجرين السابقين. وفي محاولة لرفع اللبس، كتبت اسمي على صندوق البريد بحروف كبيرة واضحة. لكن الساعي واصل تزويدي رسائل ليست لي.

اخيراً كتبت إليه رسالة مؤداها أنه يخطىء في توزيع البريد، وتركتها له في الصندوق. وفي اليوم التالي تفقدت الصندوق، فعثرت على رسالتي وقد أضيفت عليها الجملة الآتية: "سيدي المحترم، إني أوزع البريد توزيعاً صحيحاً، لكنك أنت ساكن في العنوان غير الصحيح.»

ج.ل.

جمرة في موضعها

■ بعد جراحة في ركبتي وأخرى لاقتلاع ضرس ملتهبة، عدت إلى البيت لأرتاح. وفيما كنت جالسة في أريكة وقدمي رازحة تحت كيس ثلج وفوق خدي كيس ماء ساخن، إذ بأمي تطلق صرخة ألم من المطبخ. استوضحتها الأمر بفم ملؤه الشاش، فردت قائلة: "لا شيء أكثر إيلاماً من جرح تحدثه حافة ورقة."

ل.أ.

شجار الشقيقات

■ كنتُ وشقيقتي جالستين على الشاطىء نراقب أولادنا يلعبون. ولم تلبث ابنتاي، وهما في الثامنة والتاسعة من العمر، أن بدأتا شجاراً صاخباً. فالتفتُ الى شقيقتي منزعجة وتنهّدتُ قائلة: "في أي عمر تظنين أنهما ستتوقفان عن الشجار؟"
فابتسمت شقيقتي وسألتني: "ما عمرنا نحن؟"

س.م.

قاهرا القطب الشمَالي

بدت فكرة الشبان النروجيين الثلاثة "فلتة" خيال جامح. لكنها تحولت هاجساً حملهم على ركوب الاخطار القاتلة في الاصقاع الجليدية وبذل قصارى طاقاتهم الجسدية والعاطفية ليصبحوا أول من بلغ القطب الشمالي مشياً ومن دون أي مساعدة خارجية

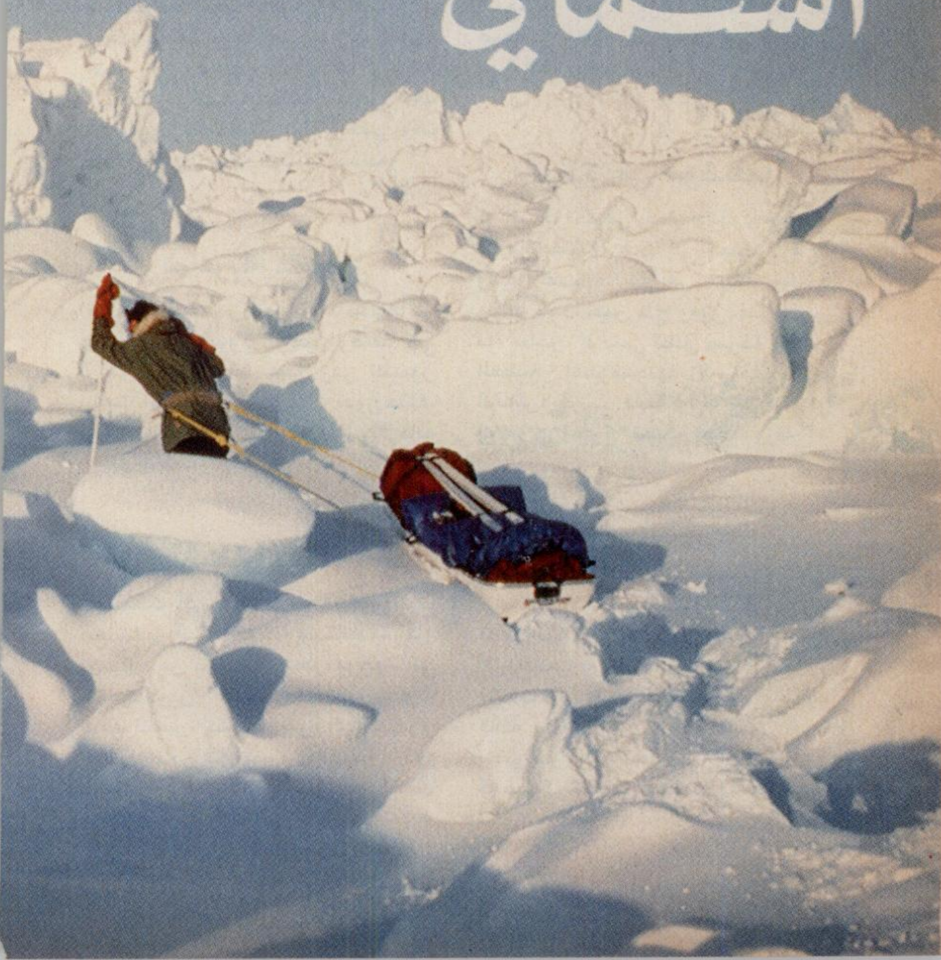

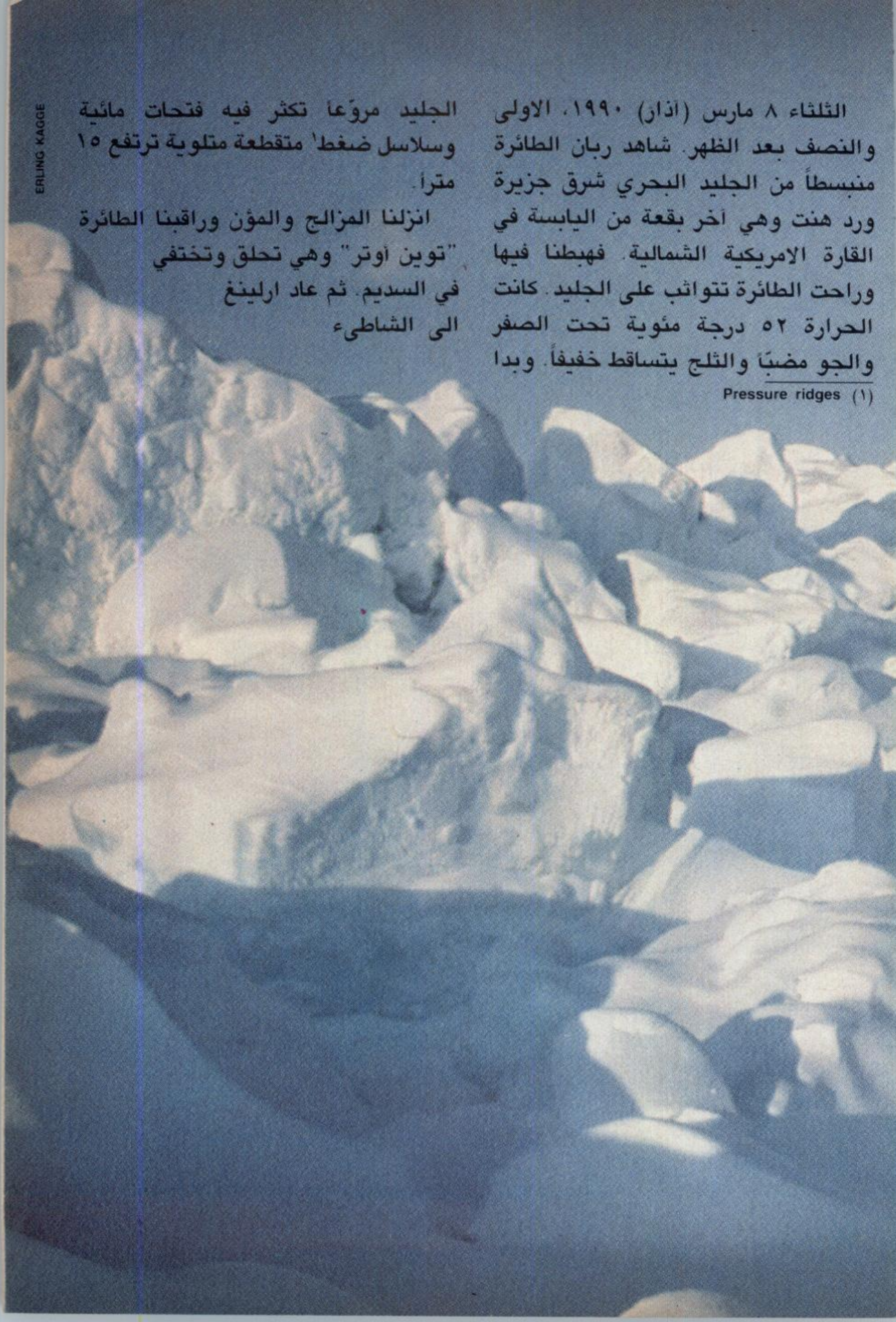

ERLING KAGGE

الثلثاء ٨ مارس (آذار) ١٩٩٠، الاولى والنصف بعد الظهر. شاهد ربان الطائرة منبسطاً من الجليد البحري شرق جزيرة ورد هنت وهي آخر بقعة من اليابسة في القارة الامريكية الشمالية. فهبطنا فيها وراحت الطائرة تتواثب على الجليد. كانت الحرارة ٥٢ درجة مئوية تحت الصفر والجو مضبّاً والثلج يتساقط خفيفاً. وبدا الجليد مروّعاً تكثر فيه فتحات مائية وسلاسل ضغط[1] متقطعة متلوية ترتفع ١٥ متراً.

انزلنا المزالج والمؤن وراقبنا الطائرة "توين أوتر" وهي تحلق وتختفي في السديم. ثم عاد ارلينغ الى الشاطىء

(١) Pressure ridges

ولمسه بيده دلالة رسمية على أننا بدأنا رحلتنا انطلاقاً من اليابسة، ورحنا أنا وغاير نبحث عن منطلق لعبورنا الاول للمياه السوداء.

هكذا استهل بورغ أوسلاند سرده لوقائع الرحلة البطولية عبر المحيط المتجمد الشمالي: ثلاثة شبان نروجيين في العقد الثالث، هم بورغ أوسلاند وغاير راندبي وارلينغ كاغ، بدأوا رحلتهم لاجتياز مسافة ٨٠٠ كيلومتر من رأس جزيرة ايلسمير في أقصى شمال كندا الى القطب الشمالي في قلب المحيط المتجمد الموحش. وكما يقضي العرف غير المكتوب المتبع دولياً في البعثات المموَّلة ذاتياً، لن تمدّهم طائرات بمؤن طازجة ولن يستخدموا وسائل نقل سوى مزالجهم... لا شيء ما خلا المؤن التي يحملونها على المزالج خلفهم والنار المتأججة في صدورهم.

لم يكن أحد نجح في انجاز هذا الامر. اذ لم تتمكن أي من البعثات الـ ١٢ غير

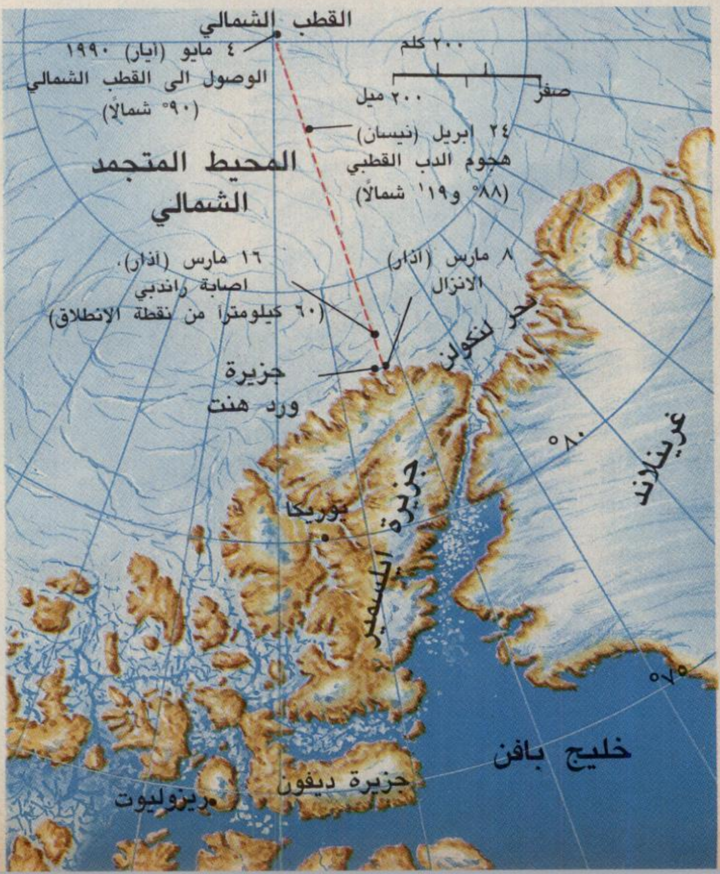

المدعومة التي قامت بالمحاولة قبلا من الوصول الى مسافة ٥٧٠ كيلومتراً من القطب. وقد اخفق البريطاني السر رنولف فيينس، الذي أطلق عليه "كتاب غينيس للارقام القياسية" عام ١٩٨٦ لقب "مستكشف عظيم"، في ثلاث محاولات للوصول الى القطب الشمالي من دون مساعدة. وفي الاسبوع الاول من مارس (آذار) ذاك عاود رنولف الكرة انطلاقاً من سيبيريا بفريق يضم المستكشف القطبي الدكتور مايكل سترود.

صعق المستكشفون النروجيون بالطبيعة القاسية التي تتميز بها منطقة القطب الشمالي. كانوا يجرّون مزالجهم الشبيهة بمغاطس الحمّام والبرد القارس يسفع وجوههم وأصابعهم، فيسحبونها متراً متراً على أرض مخيفة من ألواح ضخمة جليدية ضخمة ضربها تيار المحيط فرفعها وسحق بعضها ببعض فشكلت تصدعات وتلالاً وخنادق عميقة. وسدت هذه الحواجز الجليدية طريق الثلاثة فاضطروا الى تغيير مسارهم. وأخيراً عثروا على منفذ متجمد هو مجرى مائي وسط الأطواق يكسوه الجليد، فتقدموا جاهدين حوالى ثلاثة كيلومترات شمالاً قبل أن تحين السابعة مساء وينصبوا مخيمهم.

الاحد ١١ مارس (آذار). الصقيع قارس وقد بلغت الحرارة ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر وتحول التكثف في الخيمة جليداً فتجمدت أكياس النوم. يوم الجمعة كسر ارلينغ سنه أثناء تناوله الغداء اذ غرز أسنانه في طعام متجمد فانكشف العصب وسبب له ألماً حاداً. لكننا كنا مجهّزين لمثل هذه الحالات الطارئة. ونجحتُ في تلبيس السن المكسورة بمعجون لحشو الاسنان.

اليوم هو الاول نسير فيه ثماني ساعات كاملة. قطعنا ٧،٢ كيلومترات بمزالجنا. ولكن علينا تحسين أدائنا، فقياساً على هذا المعدل سيلزمنا اربعة أشهر لبلوغ القطب، وليس لدينا من الطعام الا ما يكفي لشهرين.

كان ارلينغ كاغ وغاير راندبي طالبين في كلية الحقوق عندما التقينا بورغ أوسلاند الذي كان يعمل آنذاك غطّاساً في حقول النفط البحرية النروجية. وتميز الثلاثة بحبهم تحدي المجهول. كان غاير جذّف ذات مرة ١٣٠٠ كيلومتر مخترقاً براري كندا. وانضم ارلينغ الى بعثات بحرية وبرية في أمريكا الوسطى وافريقيا والقارة القطبية الجنوبية. وقطع بورغ تزلجاً عام ١٩٨٦ عرض غرينلاند الممتد ٨٠٠ كيلومتر من الساحل الى الساحل.

وكان الوصول الى القطب الشمالي فكرة غاير، لكنه صار شاغل الثلاثة منذ طرح الفكرة على رفيقيه في أوائل العام ١٩٨٨. فأكبوا في السنتين التاليتين على قراءة كل ما تيسّر لهم عن رواد الاستكشاف القطبي. وتدربوا في الجزء القطبي من النروج وكندا حيث تحدثوا الى قومي اللابلاندر والاسكيمو والى كل

ارلينغ يعبر فوق أحد الشقوق في طوف جليدي.

من اختبر العيش على البحر المتجمد العظيم في "قمة العالم."

كانت المعدات التي صنعت خصيصاً للرحلة أفضل ما يمكن أن تحوزه بعثة الى القطب. فملابس الرواد مصنوعة من قماش هو آخر ما توصلت اليه تكنولوجيا الفضاء امتزج فيه النسيج الصناعي بالقطن والصوف. وأحذيتهم من نوع الـ"مكلوك" ينتعلها الهنود وهي مصنوعة من جلد حيوان الموظ ومبطنة بالفرو وتوفر الدفء في حرارة تصل الى ٥٠ درجة تحت الصفر، وهي ناعمة كفاية لتلافي تقرح الاقدام في المسيرات الطويلة التي تمتد ١٥ ساعة في اليوم. وهم الذين طلعوا بفكرة تصميم مزالج من البوليستر المقوّى بالزجاج الليفي (فيبرغلاس) فتعوم على صفحة الماء لتنقلهم عبر المياه المكشوفة.

كان ثقل الحمولة عاملا حاسماً. فالتزم الثلاثة حمل المؤن والمعدات الضرورية جداً. وكانت حصة كل منهم يومياً كيلوغراماً من الخبز ونصف ليتر من البنزين (الغازولين) الابيض لاذابة الجليد من أجل الحصول على ماء للطهو

PHOTO: BORGE OUSLAND

والشرب. واستخدموا جهاز راديو ذا تردد عال جداً خفيف الوزن بخلاف الاجهزة الثقيلة ذات التردد العالي البعيد المدى التي استخدمها آخرون قبلهم. وقصروا اتصالاتهم اللاسلكية على طائرات الخطوط الجوية الاسكندينافية SAS التي تعبر الاجواء القطبية. لكنهم استعانوا ايضاً بجهازي ارسال، أحدهما مرشد لاسلكي كبير من نوع "آرغوس"، يبثان ذبذبات ضوئية تحدد موقعهم واشارات لنجدتهم في الحالات الطارئة. كما استعانوا بجهاز متطور جداً يدعى "ساتناف"[٢] (ملاح فلكي) يعكس الاشارات اللاسلكية الواردة من الاقمار الاصطناعية في الفضاء فيساعدهم على تحديد موقعهم ومعرفة مبلغ تقدمهم.

الخميس ١٥ مارس (آذار). مرّ أسبوع على رحلتنا. اشتقت كثيراً الى صغيري ماكس والى زوجتي وينش.

بدأ النهار جيداً، الى أن انفصل نعل جزمتي. وقد استغرق ربطه بحبل مظلة ساعتين. فاصلاح أي شيء يقتضي وقتاً طويلا حين تكون أصابعك متجمدة والريح تكاد تنتزع مقلتي عينيك.

في ١٢ مارس (آذار) أجرينا اتصالا لاسلكياً بطائرة SAS كانت تطير فوقنا شمالاً، وبعثنا برسائل الى أهلنا. كل شيء يسير على ما يرام.

في ١٦ مارس (آذار)، وكان الثلاثة قطعوا مسافة ٦٠ كيلومتراً على الجليد، اذا بمزلجة غاير تخترق قشرة ثلجية وتغطس داخل صدع ضحل. فسقط على الجليد مما اسفر عن اصابة عصبه الوركي (النَسَوي) برضة تحولت في اليوم التالي التهاباً جعل من كل خطوة يخطوها عذاباً لا يحتمل. وأدرك غاير أن الرحلة انتهت بالنسبة اليه، فبادر الى تشجيع ارلينغ وبورغ والدموع في عينيه: "لكنكما انتما الاثنين ستواصلانها، وستنجحان في اتمامها."

عاد الثلاثة مكتئبين الى طوف منبسط يكفي لهبوط طائرة "توين أوتر" وكانوا مروا به قبل ساعة. هناك شغلوا جهاز "آرغوس" للارشاد وأرسلوا الاشارة المتفق عليها: "انتشال سريع."

مر يومان من غير أن تظهر الطائرة. فاشتد الحنق بارلينغ وبورغ لاضطرارهما الى الانتظار هناك طويلا، ولكن تملكهما في الوقت نفسه شعور بالذنب لادراكهما أن عذاب غاير كان يفوق عذابهما.

وفي اليوم الثالث ١٩ مارس (آذار) طمأنتهم طائرة SAS لاسلكيا الى ان رسالتهم وصلت لكن العواصف أغلقت محطة "يوريكا" المخصصة لتزود الوقود، وأنه يفترض مع تحسن الاحوال الجوية المتوقع في الغد ان تصل اليهم طائرة "توين أوتر" ظهراً آتية من قاعدة "ريزوليوت".

وصلت الطائرة في الاولى بعد الظهر. وأحضر الربان معه شطائر وفاكهة طازجة. فسال لعاب ارلينغ وبورغ، ولكن،

(٢) Satellite navigator «Satnav»

التزاماً منهما القوانين المرعية رفضا تذوق أي شيء منها. كما فصلا حصة غاير من الطعام والوقود ونقلاها مع مزلجته وعدته الى الطائرة، اذ لم يجيزا لنفسهما، وقد صمما على بلوغ القطب من دون مساعدة، الافادة من زاد شخص آخر أو من أي شيء يؤتى به اليهما أثناء الرحلة.

حين أقلعت الطائرة "توين أوتر" أحسا بثقل الوحشة. وبعدما صارا اثنين فقط اعترتهما فجأة حال من التهيُّب في مواجهة المغامرة الخطرة التي كانا مقدمين عليها. ولكن ما ان مرت دقائق حتى استعادا ثقتهما وانطلقا شمالا بعزم وتصميم لتعويض الايام الثلاثة ونصف اليوم التي أضاعاها انتظاراً على الطوف الجليدي.

الثلثاء ٢٠ مارس (آذار). غاير، الرفيق العزيز الكفي الذي يعتمد عليه في الملمات، يا لعنف نكسته! كان الوصول الى القطب فكرته هو فحرمه الحظ الغاشم تحقيقها. تتنازعني أحاسيس مختلطة تحملني أحياناً على الاقرار صراحة بأنني لن أبالي لو عدت مع غاير الى منزلي والى صغيري ماكس وزوجتي وينش. لكنني وارلينغ سنواصل، نحن الاثنين فقط، السير الى أبعد ما تحملنا اليه طاقتنا.

ازداد جسداهما صلابة ومناعة. ويوماً بعد يوم كانا يجتازان مسافة أطول قليلا ويبتعدان اكثر، تسعة كيلومترات، فعشرة... وكانا لا يزالان قريبين من تيار المحيط الذي قذف الأطواف الجليدية الضخمة الى الشاطىء. وبدت الارض سلسلة لامتناهية من الكتل المرتفعة المتراصة لا بد من تسلقها أو الالتفاف حولها. وكانا، كلما استطاعا، يستكشفان الطرق الفضلى، فيخلّفان المزالج وراءهما الى أن يعثرا على بقعة مياه متجمدة أو صفحة جليدية مسطحة تقودهما شمالا. واذ تهب عاصفة ثلجية عنيفة أو تحجب غيوم خفيضة معالم الارض، كانا يتلمسان طريقهما متقدمين خطوة خطوة.

كانا جائعين دائماً على رغم استهلاكهما ٥٧٥٠ وحدة حرارية (كالوري) في اليوم أي ضعفي ما يحويه غذاء عادي، فهما كانا يحرقان هذه الوحدات كلها، كذلك الدهن المختزن في جسميهما. وكانت وجبات الطعام هي هي: عصيدة مضافاً اليها زيت نباتي لفطور الصباح وللغداء، ولحماً مقدداً مع بطاطا مجففة أو رز مطرّى بالماء ومشبع بالزيت النباتي للعشاء. قال ارلينغ: "كان مذاقها شهياً، ولم يكن ثمة ما يشبع نهمنا."

وقد غمَّهما وعيهما الدائم للمسيرة الطويلة المتبقية أمامهما والمنظر القاحل الذي لا يتغير مما أشعرهما بأنهما يعودان دائماً من حيث أتيا. وكثيراً ما أغوتهما التجارب بركوب الاخطار. فعلى حافة ممر مائي متجمد قد لا يحملهما، أو على قمة سلسلة ضغط حيث يتعين عليهما الاختيار بين ربط المزالج وتركها تنزلق نزولا، كانت النكبات تداهنهما وتغريهما

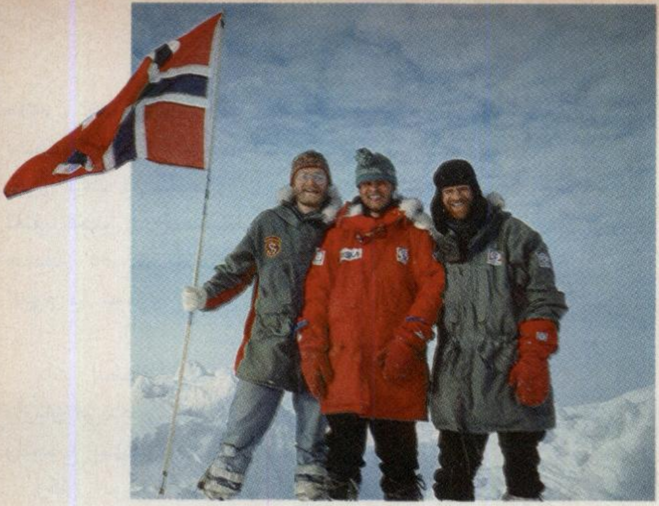

رفع العلم النروجي فوق القطب. من اليمين بورغ أوسلاند وارلينغ كاغ وغاير راندبي.

بهمس غدّار: "هيا، لا بأس في المخاطرة أحياناً."

ذات يوم بعد مسيرة قرابة ١٢ ساعة وصلا الى مجرى مائي يبلغ عرضه متراً ونصف متر. ولما كان التعب نال منهما استنكفا عن البحث عن مكان أضيق للعبور كما اعتادا. فمال بورغ الى الامام وتأكد بواسطة عصا التزلج من صلابة الثلج على الضفة المقابلة قبل أن يقفز ويتسلق حائطها. واذ حاول ارلينغ الامر نفسه غرقت عصاه في الثلج الناعم فهوى خلفها. وحاول هَلعاً أن يجعل من مزلاجيه جسراً يربط الحافتين وأن يبقى خارج الماء، الا أن قطعاً من الجليد بدأت تتفتت تحته، مما بث الرعب في بورغ فنزع مزلاجيه وغطس من حافة الضفة وأمسك برفيقه من تحت ابطيه وراح يشد به صعوداً فيما ارلينغ يحاول رفع صدره الى صفحة الثلج.

في غضون ذلك تكسر مزيد من الجليد تحت ثقل جسديهما وأدركا أنه قد ينهار كلياً فيسقطان في تلك الشريحة المستطيلة من المياه السوداء. لكن ارلينغ تمكن بعد عناء من رفع نفسه الى أعلى الضفة حيث تمدد الرفيقان يرتجفان نتيجة العياء والبرد وادراكهما أنهما كانا على شفا الهلاك.

الخميس ١٢ ابريل (نيسان). نحن في حال يرثى لها. الدم ينزف من أنفينا بسبب الانهاك والصقيع، وبشرتنا السمراء تنسلخ عن وجهينا. قطعنا البارحة ١٣ كيلومتراً، وأظننا ارتددنا منها ثلاثة كيلومترات. كانت الريح الشمالية العاصفة تنفخ في اتجاهنا مباشرة. وتراكم الثلج كتلا، فكنا ندور حول بعضها ونتسلق البعض الآخر.

تصادف اليوم الذكرى الثانية لمولد

PHOTO: BJORN REESE

ماكس. أتساءل ماذا أعمل هنا منجرفاً في متاهات المحيط المتجمد الشمالي بدل أن أكون معك يا صغيري العزيز. ولكن لا تقلق، فحين أعود سنتمتع بأوقات عائلية حميمة. آه، كم أتحرق تطلعاً الى ذلك اليوم يا عزيزي ماكس.

بات الطعام هاجساً للشابين. وكانا يأويان في بعض "الليالي" الى فراشيهما والجوع ينهشهما فلا يستطيعان النوم.

وكان بورغ يسير مجهداً والمآكل الشهية تتراءى مغرية أمام عينيه ثم تختفي... فطائر محشوة بالجبن واللحم والمربى. أما ارلينغ القوي البنية الفارع الطول فكان يخال جسده يذوب.

كان الانسجام سائداً بينهما معظم الوقت، ولم يحاول أي منهما أن يطمح الى دور القائد. انما ذات يوم دوَّن بورغ في دفتر يومياته: "ثار جدل بيني وبين إ. على طريقة تسخين الاشياء. انه لا يتحمل الانتقاد كثيراً، لكنني كنت على الأرجح حاد الطبع قليلا." وبعد ١١ يوماً كتب: "كم أنا محظوظ لأن إ. رفيقي: انه عضد عظيم يتميز بالتصميم والعزم."

مساء ١٩ ابريل (نيسان) حملت اليهما طائرة SAS رسالة هزتهما: لقد وصل السر رنولف فيينس الى خط ٨٧ درجة و٣٦ دقيقة شمالا. ومعنى ذلك أن البعثة البريطانية تتقدمهما بثلاثة أيام. فصمما على تخطي البريطانيين، ووضعا جدولا جديداً للافادة الى أقصى الحدود من ساعات النهار الاربع والعشرين. فاعتمدا "يوماً" من ٣٠ ساعة، يسيران منها ١٦ ساعة بدل عشر كما اعتادا وتبقى لهما ست ساعات للطعام ونصب المخيم وثماني ساعات ضرورية للنوم.

وكلما أوغلا شمالا ازدادت ساعات ظهور الشمس وارتفعت الحرارة الى أن بلغت "ذات يوم استوائي" – بحسب تعبير بورغ – ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر. لكن الريح لم تخفّ، وأحدثت مزيداً من الشقوق العريضة في صفحة الجمد. ولو أن بعثات أخرى وجدت نفسها أمام مياه مكشوفة لكانت بحثت عن مكان آخر للعبور أو انتظرت تحول وجهة الريح لسد الثغرات. لكن ارلينغ وبورغ كانا مجهزين لمواجهة مثل هذه العوائق. فربطا مزالجهما وزلاجاتهما (السكي) معاً وصنعا منها طوفاً وعبرا وأكملا المسيرة.

الاثنين ٢٣ أبريل (نيسان). اليوم الـ٤٧. أصيب إ. أمس بدوار شديد خلّفه ساهماً فاتر الهمة. لكنه، بما لديه من الشجاعة، واصل الرحلة. شعرت بألم في ظهري بسبب حمل مسدسي الـ"ماغنوم" الثقيل. وكان إ. يحتفظ بمسدسه في المزلجة فقررت أن أفعل مثله. لم يكن أحد أخبرنا عن سماعه بوجود دبب قطبية في هذه البقعة القصية شمالا.

في اليوم التالي تقدما مسيرة ١٤ ساعة. وفيما كانا يتهيأان لنصب المخيم فوجئا بدب قطبي يندفع نحوهما من فوق جرف يبعد عنهما ٣٠ متراً. بان الدب تعباً

مربكاً، وربما كان يتضور جوعاً. فصاح بورغ: "انتبه!"

التفت ارلينغ الى تلك الناحية وخف الى مسدسه وفعل بورغ مثله. ولكن فيما انهمكا في اخراج سلاحيهما من المزلجة كان الدب اقترب منهما.

التقط بورغ مسدسه أولا واستدار وأطلق رصاصة تحذيرية في الثلج لم تثنِ الدب عن متابعة تقدمه حتى بات يُسمع لهاثه. وكان ارلينغ واقفاً الى جانب بورغ، فانتظرا لحظة رهيبة شاهدا خلالها في عيني الدب تصميماً على الفتك بهما وسمعا شخيره. ثم أطلقا معاً أربع رصاصات أردته عند أقدامهما.

وتابعا مغامرتهما. فكانا يسيران ١٤ ساعة أو ١٥ في اليوم ويقطعان ٢٥ كيلومتراً أو أكثر. وكانا يشعران أحياناً بأن التأكل المستمر في قوتهما بات دائماً، وأن جسديهما لن يقدرا على توليد طاقة كافية ليسيرا يوماً آخر. لكن النوم ثماني ساعات وتصميمهما على عدم الاستسلام كانا يجددان فيهما القدرة على المضي قدماً.

وهكذا اعتادا نمطاً واحداً - سيراً ثم نوماً ثم سيراً - تحول أثناءه لحمهما وعظمهما غلافين غريبين عنهما يخترقهما البرد والألم والانهاك لكنهما يستجيبان لاوامر العقل بالمشي والتزلج والدفع والشد بجهد يفوق قدرة البشر. وأخيراً، في اليوم الـ ٥٨ من رحلتهما، الخامسة والثلث بعد ظهر ٤ مايو (أيار)، وكانت قدرتهما على الاحتمال بلغت أقصى الحدود، وجَّها جهاز "ساتناف" مرة أخرى نحو الفضاء فأدركا انهما وصلا الى الدرجة ٩٠ شمالا... القطب الشمالي!

تعانقا من دون أن يقويا على الكلام. ثم أرسلا اشارة "انتشال سريع" بواسطة جهاز "آرغوس." وحين وصلت طائرة "توين أوتر" كان على متنها غاير راندبي يفيض بهجة وحبوراً. وعلم الرحّالتان أن السر رنولف البريطاني اضطر الى اجهاض رحلته وهو على مسافة ١٦٠ كيلومتراً من القطب. وبذا يكون بورغ أوسلاند وارلينغ كاغ أول من بلغ القطب الشمالي من دون مدد.

واذ حلقت الطائرة دائرة حول القطب لاحظا أن لا شيء في القطب يختلف عن الاصقاع المتجمدة التي قطعاها للوصول اليه... باستثناء ما اعتمل في صدريهما من العزم والثقة وروح التحدي والمغامرة التي مكنتهما من قهر العوامل المثبطة وتحقيق ذلك الحلم الكبير.

لورنس إليوت ■

قال الموظف لرئيسه: "لم أضحك لنكتتك لسببين، اولا لانها سخيفة، وثانياً لانني سأتقاعد غداً!"

و.س.

حضارة السيارة

"هذا يناسبني تماما، لقد سمعت على الراديو أن هناك أرتالاً من السيارات المتوقفة. أخيراً سيتسنى لي أن أقرأ الكتب التي أهديتها الي في عيد ميلادي."

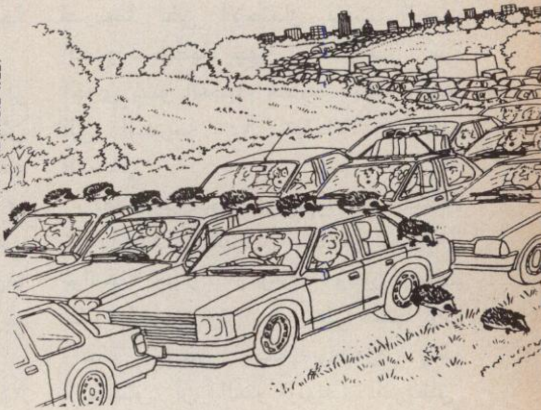

بدون تعليق.

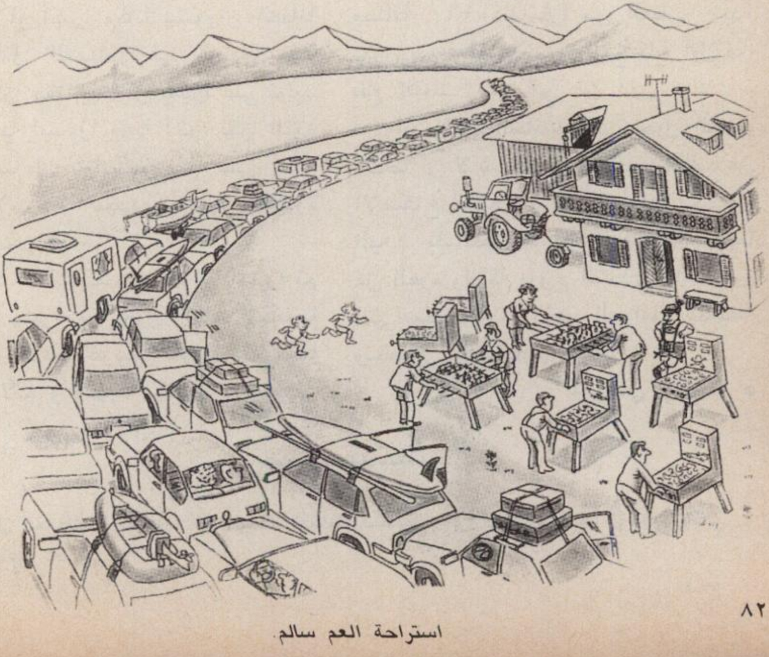

استراحة العم سالم.

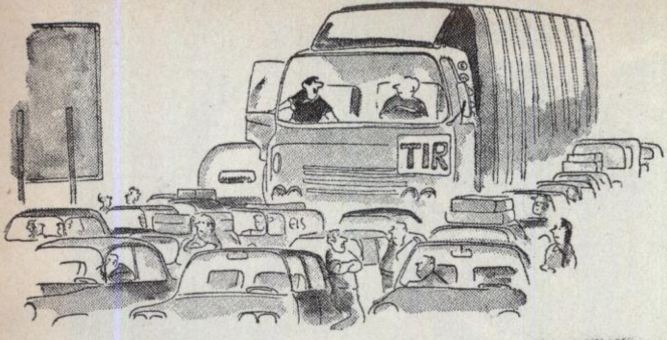

"هنئني! لقد خطبت الفتاة الشقراء في سيارة الرينو المتوقفة أمامنا."

EKKO BUSH IN SÜDDEUTSCHE ZEITUNG

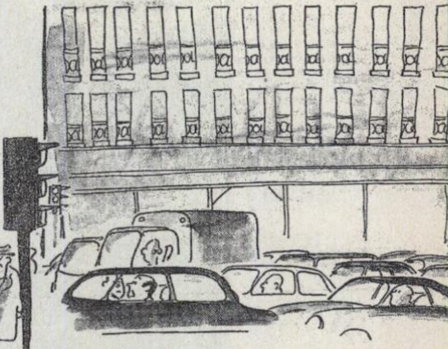

"أمر واحد يقلقني عند اشارة الضوء الاحمر، انها تجعلني أفكر في حالي."

EKKO BUSH IN SÜDDEUTSCHE ZEITUNG

"الحمد لله!
أخيراً عثرنا على موقف للسيارة.
اسألي ذلك السائق في أي بلدة نحن."

OTTO LANGER IN FÜR SIE

بدون تعليق.

هل أولادكم سعداء؟

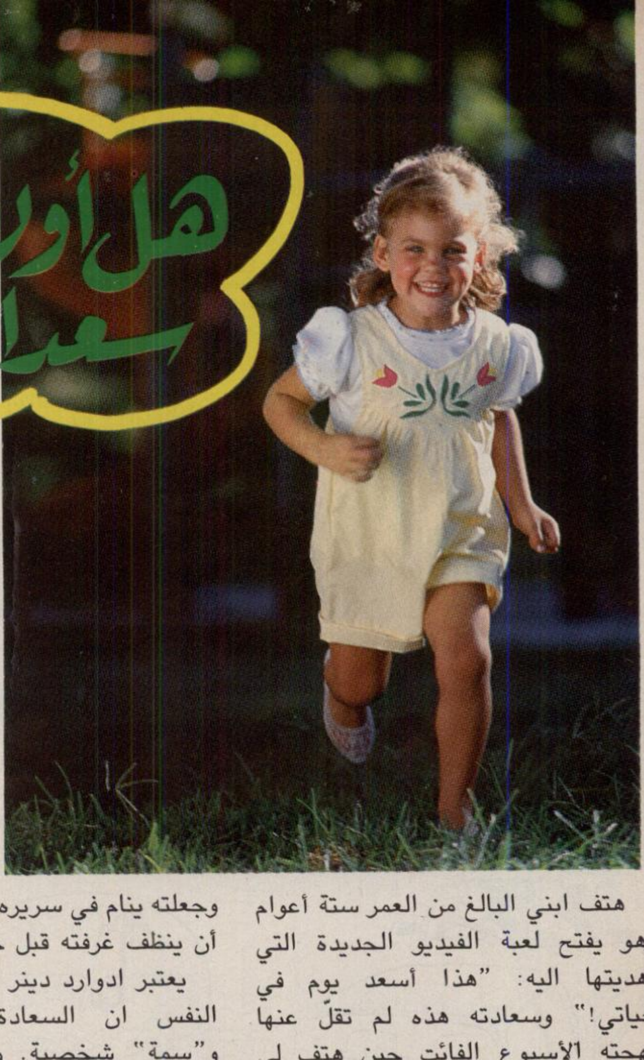

بعض السعادة مزاج موروث وبعضها فن مكتسب

هتف ابني البالغ من العمر ستة أعوام وهو يفتح لعبة الفيديو الجديدة التي أهديتها اليه: "هذا أسعد يوم في حياتي!" وسعادته هذه لم تقلّ عنها بهجته الأسبوع الفائت حين هتف لي الكلام نفسه لسبب آخر.

أحاول أن أنظر الى مثل هذه الامور بحسب أهميتها النسبية. فقد شعر ولدي أيضاً بالتعاسة في الساعات الثماني والأربعين الاخيرة، لانني رفضت السماح له بتناول شطيرة قبل حلول موعد العشاء، وجعلته ينام في سريره هو، وأصررت على أن ينظف غرفته قبل خروجه الى اللعب.

يعتبر ادوارد دينر الاختصاصي بعلم النفس ان السعادة "حال" ذهنية و"سمة" شخصية. والحال هذه مزاج يروح ويجيء. ويمكنني اثارتها في ذهن ابنتي ذات العامين بمجرد أن أرسم على وجهي حركات مضحكة.

أما سمة السعادة فهي أكثر استقراراً. ويصفها دينر بـ"الاستعداد" للشعور بالسعادة، وهو ما ألاحظه في ابنتي اذ

© 1990 BY CAROLYN JABS. CONDENSED FROM WORKING MOTHER (OCTOBER '90), NEW YORK, N.Y.
PHOTO: © BILL SCHILD / SHARPSHOOTERS

تنهض من سريرها مبتسمة ومتشوقة لبدء يومها. أنها ستبقى محافظة على تفاؤلها وان صادفتها أوقات صعبة.

وسِمَة السعادة هذه مهارة يمكن اكتسابها. وأفضل سبيل الى ذلك التغلب على المصاعب الصغيرة في مرحلة الطفولة. يقول دنيس براجر مؤلف كتاب "السعادة مشكلة جدية": "يمكن أن يتمتع المرء بطفولة سعيدة جداً ويغدو بالغاً بائساً. والواقع أن الطفولة الخالية من أي الم أو خيبة هي شبه صيغة لبلوغ بائس."

وتحديد صيغة لمزاج سعيد في الحياة أمر أصعب، غير أن الباحثين تمكنوا من تحديد مقومات أساسية قد تساعد الوالدين على تنشئة أطفال يتمتعون بسِمَة سعادة هي جزء لا يتجزأ من شخصياتهم. وهنا بعض ارشادات تساعد كل أب وأم في هذا المجال:

امنحا طفلكما حرية الاختيار. وجد باحثون بعد مقابلات أجروها مع رابحي جوائز يانصيب أن أصحاب الحظ هؤلاء لم يكونوا أكثر سعادة من أناس لم يربحوا. ويوضح جون رايش أستاذ علم النفس أن "اليانصيب حدث خارجي، والفوز في هذه الحال لا يستلزم تحكماً أو توجيهاً أو براعة." السعادة، اذاً، مرتبطة بحس المرء لقدرته على ادارة حياته.

ويضعف هذا الاستنتاج النظرية القائلة بأن الطفولة هي أسعد مراحل الحياة، أو هكذا يجب أن تكون. فالأطفال مستثنون من المشاركة في أخذ القرارات في كل المجالات، سواء كان ذلك اعداد قائمة بطعام الغداء أو انجاب أطفال آخرين. والشعور بالعجز الذي يخلفه هذا الامر يمكن أن يجعل من الطفولة مرحلة أقل سعادة مما يعتقد البالغون.

واذا كان الوالدان لا يتنازلان عن دورهما كصانعي قرارات، ففي امكانهما البحث عن طرق لاشراك أطفالهما فيها. فيسمحان مثلا لطفلهما ذي العامين أن يأكل خياراً بدل الجزر المقطع للعشاء، أو يفسحان في المجال لابنهما البالغ ستة أعوام لاختيار ما يود مشاهدته من البرامج التلفزيونية "المحللة" له. فالأطفال يتعلمون، حتى في هذا المستوى، أخذ القرارات التي قد تؤثر في سعادتهم.

ولكن من المهم أن يدرك الوالدان أن تقديم الخيارات ليس كفيلا بتوفير السعادة. فقد يختار طفل أن يكون "غير سعيد." وهذا أمر بيّن لكل من رأى طفله يمضي نهاره متجهماً على شاطىء البحر أو في حديقة الحيوان بسبب أمر صغير أثار استياءه. يقول براجر: "السعادة فعل ارادة. ولكل شخص أسباب ليكون غير سعيد. لكننا نستطيع أن نكيّف ردود فعلنا حيال تلك الاسباب." السعادة، اذاً، مسؤولية الطفل الى حد ما.

نميا علاقات حميمة. تعتبر العلاقات البناءة من مقومات السعادة. ولئن يكن الوالدان عاجزين عن التحكم

بالحياة الاجتماعية لولدهما مستقبلا، ففي امكانهما رعايتها بجعل علاقتهما حميمة ومريحة مع كل من أولادهما. تقول العالمة النفسانية كارول ريف: "يحتاج الأطفال أولا الى علاقات ايجابية مع والديهم اذا كان لهم أن ينجحوا في اقامة علاقات جيدة مع الآخرين."

ويمكن الوالدين أيضاً أن يشجعا أولادهما على لقاء أولاد آخرين باستمرار عبر الحاقهم بفريق لعب أو اصطحابهم الى الملعب في وقت يكون آخرون في عمرهم هناك. ويمكن أن يشكل المنزل المفتوح للاصدقاء عنصراً آخر مساعداً.

وأخيراً، يمكن الوالدين أن يساعدا أطفالهما على تطوير علاقة تعاطفية مع الآخرين، فيتحدثان اليهما، مثلا، عما يمكن أن يعيشه هؤلاء الآخرون، كتجاربهم العائلية، والقصص التي يقرأونها وبرامج التلفزة التي يتابعونها.

قاوما دافعكما الى التدليل.
يفترض المنطق، وتؤكد الابحاث، أن ذوي المداخيل الكافية هم أسعد من غيرهم. و"كافية" هي الكلمة المفتاح. فالمهم هو الحصول على ما يكفي لسد الحاجات الأساسية والشعور بالاكتفاء بما نملك.

يقول جون روزموند الاختصاصي بعلم النفس العائلي: "ان اعطاء الأطفال الكثير يولد لديهم وهماً بأن نيل الاشياء هو مصدر السعادة." وقد اكتشف روزموند أن أطفاله غدوا أبرع وأسعد كثيراً عندما خفض عدد لعبهم على نحو كبير. ويضيف: "ان الأطفال غير الماديين قادرون على الاكتفاء بالأقل لأنهم أقدر على الابداع في اللعب بما يملكون." هذا لا يعني حرمان الأطفال كلياً من الهدايا. بل، ببساطة، ينبغي الا يشعروا بأن سعادتهم تعتمد على دفق دائم من الاشياء المادية.

شجعا الاهتمامات المتنوعة.
يقول مايكل فورديس مؤلف كتاب "علم النفس في السعادة": "يعيش الافراد السعداء حياة متوازنة، ذلك لان سعادتهم نابعة من مصادر عدة. ومتى توقفت السعادة على أمر واحد فانها تصير غير ثابتة." قد نرى، مثلا، طفلا حرداً خائباً طوال الامسية لأن برنامجه التلفزيوني المفضل أرجىء، بينما قد يدفع هذا الامر طفلا آخر ذا اهتمامات أوسع الى التمتع بمطالعة كتاب أو التلهي بلعبة.

وفي حين لا يسع الوالدين معرفة ما قد يحوز اهتمام طفلهما، ففي امكانهما أن يقترحا عليه جملة نشاطات متنوعة. وقد يعني ذلك تقصير الوقت الذي يسمح له خلاله بمشاهدة التلفاز او ممارسة ألعاب فيديو التي قد "تخنق" اهتمامات أخرى.

ان التشجيع على الاهتمامات المتنوعة أمر مهم، خصوصاً بالنسبة الى الاولاد الذين يبرعون في أمر واحد. فغالباً ما يلقى هؤلاء اهتماماً كبيراً جداً بموهبتهم مما يدفعهم الى حصر نشاطهم بها واهمال اهتمامات أخرى. مثال ذلك أن صبياً صغيراً أظهر مقدرة على القراءة

قبل أنداده بوقت طويل. وإذ جعل والداه من هذه المسألة ظاهرة فريدة بدأت صورة الصبي عن ذاته تتمحور حول كونه "أفضل" قارىء. وقد لفت أحد المستشارين في المدرسة الى أن الصبي قد يكون أسعد اذا ساعده والداه على اكتشاف رياضات ونشاطات أخرى.

علِّما أطفالكما مهارة التكيف. يقول فورديس: "يمر الاشخاص السعداء بأوقات كئيبة مثلهم مثل سائر الناس، لكنهم أكثر مقدرة من غيرهم على تخطيها." لذلك يمكن والدين مساعدة أطفالهما على اكتساب هذه المهارة البالغة الأهمية بأن يلفتا نظرهم الى ذلك الضوء الرفيع في آخر كل نفق مظلم.

وحين يتعذر اصلاح أمور حياتية بمواجهتها من موقف آخر، ينبغي للأهل مساعدة أطفالهم على اكتشاف مصادر تعزية وراحة. فكل انسان يملك أساليب لجبه الأيام الكالحة، وبعضها مؤذ، كالتهام قالب حلوى أو النزاع مع من نحب، وهذه أساليب فاشلة لانها تدمر احترام الذات والثقة بالنفس. وعوض ذلك يجب تعليم الطفل ايجاد العزاء في أمور تحيي فيه الحس بالسعادة، كالاستماع الى الموسيقى أو قراءة كتاب أو ركوب دراجة أو مناقشة مشكلته مع صديق.

وفِّرا لأولادكم بيتاً سعيداً. إن احدى فضلى الوسائل لمساعدة طفل على ايجاد سعادة دائمة هي بحث الأهل عنها في حياتهم هم. ويوضح فورديس ان "أفضل ما يمكنكما القيام به من أجل طفلكما هو أن تصيرا شخصين سعيدين راضيين. فالولد الذي يترعرع في بيت سعيد يملك فرصة أكبر ليغدو بالغاً سعيداً."

قد يكون الارتباط بين الانسان والسعادة عائداً الى أسباب وراثية جزئياً. وثمة دلائل على أن النزوع الى السعادة مزاج وراثي، لكن السعادة تنشأ أيضاً من الجو الذي يوفره أهل سعداء، وفي ذلك يقول فورديس: "الاكتساب العاطفي يتم خلال السنوات الأولى. فالطفل يتوصل الى استنتاجات من الجو العاطفي المحيط به قبل تعلمه الكلام، فيتساءل: هل العالم مفعم بالقلق والغضب أم هو مكان آمن سعيد؟"

لذلك يتحتم على الوالدين أن يمارسا في حياتهما القيم التي تولِّد السعادة. وأكثر من ذلك، عليهما أن يطلعا أولادهما على أسباب سعادتهما. ويضيف فورديس: "من المهم التحدث عن الأيام السعيدة وتوضيح أن السعادة هدف يُرجى."

أما بالنسبة الي كأم، فالأمر يتلخص في الآتي: أنا لا أتمنى لابني حياة مليئة بأحداث مفرحة وبأشخاص يجلبون له الفرح فحسب، بل أتمنى أيضاً أن يستنبط مقدرته الخاصة على توليد السعادة الداخلية. فان نجح في ذلك استمرت أيامه سعيدة طوال العمر.

كارولين جابس ■

قصة من واقع الحياة

سبّاح بين فكي

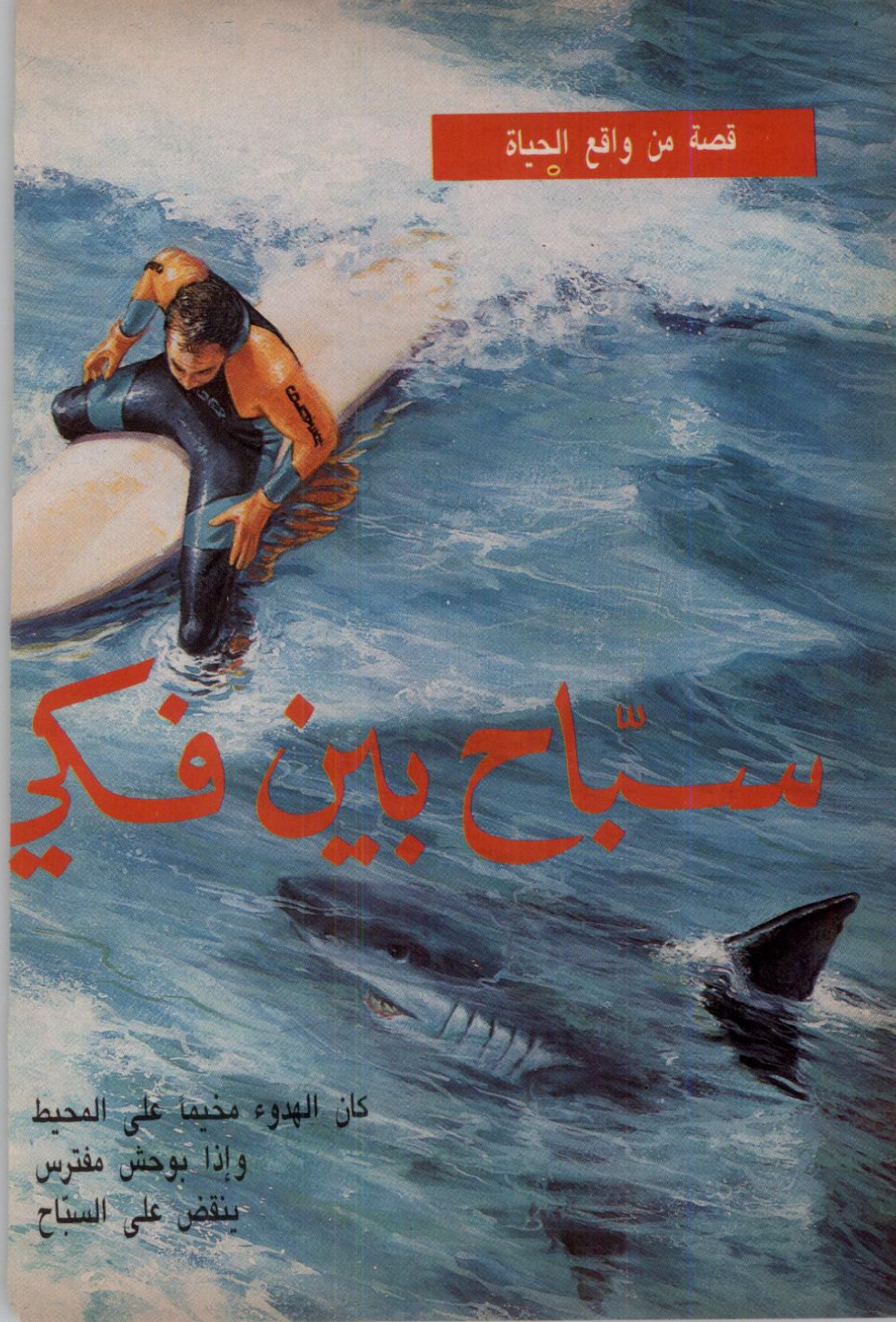

كان الهدوء مخيماً على المحيط
وإذا بوحش مفترس
ينقض على السبّاح

قرش

بدا المحيط بمياهه الخضراء خالياً الا من الاخوين اريك ونك لارسن وبعض حيوانات الفقمة التي كانت تطل برؤوسها السود بين فينة وأخرى. كان الاخوان يرتديان بذلتي غطس وقفازات، وقد جلسا على لوحين لركوب الامواج[1] تحت سماء زرقاء ومياه المحيط تحملهما صعوداً وهبوطاً. كانت الريح جنوبية في صبيحة هذا اليوم الواقع فيه الاول من يوليو (تموز) ١٩٩١، وارتفعت الامواج حوالى ١٢٠ سنتيمتراً لتتكسر على الشاطىء الضيق الموحش شمال خليج مونتري في كاليفورنيا.

بعيد الثامنة صباحاً وجَّه نك (٥٠ عاماً) لوحه في اتجاه الشاطىء الذي كان يبعد حوالى ١٥٠ متراً، وقال لأخيه: "أنا ذاهب الى الشاحنة."

فرد اريك: "سألحق بك بعد قليل."

قبل عشرة أسابيع كان اريك (٣٢ عاماً) لا يزال يعمل مهندس كمبيوتر في شركة في سيليكون فالي[2] حيث كلف وضع برامج لشبكة معلومات تعتمد الألياف الضوئية،[3] لحساب قاعدة فضائية قررت وكالة الفضاء الامريكية "ناسا" بناءها. لكنه وجد أن المشروع يسير بوتيرة بطيئة جداً وشعر بحاجة الى الخروج الى الهواء الطلق.

وعندما بدأت الشركة تسرح موظفين، أبلغ اريك الى الادارة رغبته في أخذ اجازة بلا راتب معللا طلبه بالآتي: "هكذا أوفر عليكم طرد موظف."

ومذذاك تحولت حياته فورة رياضية ناشطة.

حافظ اريك الذي يزن ٨٠ كيلوغراماً ويبلغ طوله ١٨٥ سنتيمتراً على لياقة بدنية بلغت ذروتها أخيراً بممارسته العدو والسباحة وقيادة الدراجة الهوائية وركوب الأمواج والتجذيف. وكان سيعود الى عمله في الخريف، لكنه حاول ألا يشغل نفسه بهذا الأمر.

داخل الفم الكبير. حدق اريك الى البحر منتظراً تشكل موجة عالية. ثم لاحظ ان المياه على مقربة منه تضطرب مدومة فقال في نفسه: "هناك شيء كبير جداً تحت."

وشعر في تلك اللحظة بملزم قوي يطبق على رجله اليسرى. وفغر فاه مرتعباً إذ رأى صفين من الأنياب البيض المثلثة تنشب في لحمه وعضله. لقد أصبحت رجله، من الفخذ حتى القصبة، بين فكي قرش كبير أبيض يبلغ طوله ٤،٥ أمتار على الاقل.

تحرك اريك في رد فعل خاطف،

---

(١) Surfboards . وركوب الامواج رياضة شائعة في الغرب.

(٢) سيليكون فالي منطقة جنوب غرب سان فرنسيسكو تتركز فيها كبرى شركات الكمبيوتر والتكنولوجيا المتقدمة.

(٣) Fiber-optic data network

ILLUSTRATION: GARY GLOVER

فأمسك بيده اليسرى أعلى خطم القرش وباليمنى أسفله وراح يشد بكل ما أوتي لفتح الفكين المفترسين.

في تلك اللحظة فغر القرش فكيه فحرر اريك رجله بسرعة وانطلق مبتعداً. لكنه تأخر في ضم ذراعيه اللتين كانتا لا تزالان ممدودتين خارج لوح الركوب، إذ اندفع القرش يسوط الماء بذيله وأطبق فكيه على ذراعي اريك، فغرز أنيابه في اليسرى من المرفق حتى المعصم وسحق عظمة الساعد الايمن. وظلت يدا اريك سالمتين فراح يتلمس بهما داخل الفم الكبير.

كان اريك خائفاً لكنه لم يستسلم للذعر وركز تفكيره على الفكين وأخذ يشد ويسحب بكل قوته. وشعر بساعده الايمن يحتكّ بأنياب القرش، فجذبه بقوة هائلة وانتزعه الى الخارج. وهتف في نفسه: "هيا هاجمه. اضربه!" فجمع قبضته اليمنى وسدد بها ضربات متكررة الى البطن الابيض الرمادي. وشعر بجلد القرش قاسياً عضلياً. لكن الضغط زال عن ذراعه اليسرى فحررها.

خط دم. صار اريك تحت القرش بعيداً عن فكيه المخيفين. ثم شعر بجسده يرتجّ بعنف اذ انتزع القرش حبلا طوله ١٨٠ سنتيمتراً يربط كاحله الايمن باللوح.

جر القرش اريك من قدمه نحو القعر بسرعة كبيرة. فجأة وجد اريك نفسه يتخبط وقد انقطع الرسن ولا أثر للقرش في الجوار.

فاندفع الى سطح الماء وعبَّ الهواء باهتياج. وعثر على لوحه طافياً على بعد مترين فقفز اليه انبطاحاً وتمدد فوقه.

ولما علت به موجة لمح الشاطىء فجذف في اتجاهه بسرعة متواترة، إلا أن كل حركة من ذراعيه كانت تخلف وراءها خطاً قرمزياً. فحدق ملياً الى المحيط مرتعباً باحثاً عن زعنفة ظهرية. فالقرش ما زال هناك في مكان ما، ويكفيه أن يتعقب الدم للعثور على اريك.

لم يجرؤ اريك على التجذيف بسرعة أكبر، فكلما زادت سرعته تسارعت دقات قلبه ونزف مزيداً من الدم. وبعدما اجتاز نصف المسافة التفت وراءه فرأى موجة عالية تندفع في اتجاهه، ونجح في اعتلاء قمتها رافعاً رأسه ويداه توجهانه، وركبها الى الشاطىء. ولما وصل راح يهدىء روعه مفكراً: "لن ينال مني هنا."

واذ جلس على الرمل يتفحص الجلد الممزق تحت بذلة الغطس اعتراه شعور بالدوار. كانت الجروح تغطي رجله اليسرى وذراعيه وقد أدركت العظم. وقدَّر من التمزق العميق في ركبته أن القرش أتلف العضل. وكان الدم يتدفق من جرح في ذراعه اليسرى حيث قطع القرش شرياناً.

لقد نجا اريك من فكي القرش، لكنه قد ينزف حتى الموت خلال دقائق.

ضغط جرحه البالغ بيده اليمنى ورفع ذراعه فوق رأسه. لا بد من أن الدم كان يتدفق من الذراع منذ وقوع الحادث. وبدأ اريك يشعر بدوار.

النجدة! كانت المساعدة التي احتاج اليها اريك تبعد مئتي متر شمالا. فوقف متحولا الى ذلك الاتجاه ومشى جاراً رجله اليسرى الى أن غلبه الوهن فخر على الارض. لكنه أدرك انه اذا فقد وعيه ولم تعد يده قادرة على سد الجرح فسينزف حتى الموت. وفكر: "هل هذه نهايتي؟" وراح ذهنه يعمل بسرعة.

لقد ألمت به محن كثيرة في السابق فتغلب عليها جميعها. المسألة الاساسية هي في السيطرة على مشاعره وعدم الاستسلام الذي يمكن أن يعوق تفكيره وسلوكه. ففكر: "الحياة حلوة وأنا بعد شاب ولا أستحق الموت على هذا الشاطىء."

كان عليه أن يلتف حول الرأس البحري حيث يمكن أن يراه أحد. فوقف بجهد وذراعه لا تزال مطبقة، وراح يمشي مترنحاً على الشاطىء حاضاً نفسه بصوت عالٍ: "هيا تقدم!"

كان اريك مدركاً ما يحدث لجسده. فهو أمضى سنتين متطوعاً في أعمال دورية في مناطق التزلج عندما كان طالباً في مونتانا. وحاز شهادة في الاسعافات الأولية المتقدمة. وقد أفاد من هذه المهارة في أكثر من عشر مهمات انقاذ.

بعدما قطع ٥٠ متراً هوى على قفاه. كان في حاجة الى رفع رجليه عالياً ليتيح دفق مزيد من الدم الى أعضائه الحيوية، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت، فاستراح نصف دقيقة وتابع سيره متعثراً.

وقع على الرمل مرتين أخريين وهو في شبه اغماء. وشعر بالدم ينبض تحت كفه كأنه يوشك أن يتدفق، فشد قبضته على الجرح متمتماً: "تمالك نفسك يا رجل." ولمح أربعة شاليهات[٤] على مسافة ٩٠ متراً، فتوجه ناحيتها متعثر الخطى. لكنه لم يتمكن من الاقتراب منها اذ اضطر الى الجلوس. فأحدث الدم بركة حوله. وشرع يصرخ: "النجدة!"

"سعيد لانك هنا." في كوخ صغير على الشاطىء سمع بن بورديت (١٦ عاماً) نداء استغاثة فخرج يستطلع الامر. فرأى رجلا ممدداً على الشاطىء يصرخ: "النجدة! لقد هاجمني قرش. اتصل برقم الطوارىء ٩١١."

لاحظ بن أن الدم يغطي ذراعي الرجل المرفوعتين، فاستدار وركض الى الكوخ. وفي الداخل سمعته امه ميشال يتحدث على الهاتف: "... على الشاطىء! هاجمه قرش وهو يبدو في حال سيئة جداً..." فأسرعت ميشال الى الشاطىء حيث رأت الرجل ما زال ممدداً يستغيث. فشهقت أمام منظر الدم المتخثر على رجليه وذراعيه، وجثت بجانبه فلاحظت أن شفتيه رماديتان. قال لها: "انني أفقد دمي. يجب وقف النزف. ذراعي اليسرى. هناك نقطة ضغط تحت، قرب الابط. اضغطي عليها بقوة."

فأغرقت ميشال أصابعها في شريان الذراع. وما هي الا ثوان حتى وصل بن

(٤) الشاليه كوخ بحري.

الى المكان حاملا عدداً من المناشف أسند اليها قدمي الرجل الجريح كما أشار عليه، ثم أسرع ليرشد فريق الانقاذ.

تجنبت ميشال النظر الى جروح اريك. وظلت تطرح عليه أسئلة لابقائه صاحياً.

وانضمت اليهما بعد عشر دقائق ممرضة هي رئيسة فرقة انقاذ محلية من المتطوعين في دافنبورت. ثم وصل نك لارسن، شقيق اريك، الذي كان متكئاً على الشاحنة على بعد بضع مئات الامتار من دون أن يرتاب بشيء. فقال له اريك عندما دنا منه وأمسك بيده: "أنا سعيد لأنك هنا."

وسرعان ما وصل فريق اسعاف وعمل قرابة ساعة على معالجة اريك. فأعطي أوكسيجيناً نقياً ومُد بالسوائل من طريق الحقن الوريدي. ونزعت عنه بذلة الغطس وضمدت جروحه وألبس سروالا مطاطاً يمكن نفخه لضغط رجليه ودفع الدم الى القسم الأعلى من جسمه.

مهندس قوي. ذهل المسعفون لحفاظ اريك على صفاء تفكيره على رغم فقدانه كمية كبيرة من الدم وتدني ضغط دمه الى مستوى خطر. ولكن لم تمضِ دقائق حتى وصلت طوافة وأجلته الى مستشفى قريب وهناك عاد ضغط دمه الى معدله الطبيعي. وقدر الاطباء أنه فقد نحو نصف كمية دمه.

وفي غرفة العمليات عالج جراح رجل اريك فيما عالج آخر ذراعيه. كانت عضلة مقدم الفخذ ممزقة، كذلك جزء كامل من عضلة الذراع. وكشفت الجروح العميقة عظم الذراعين. حتى العظم نفسه أصيب بخدوش خلفتها أنياب القرش المسننة. وعلق أحد الأطباء على ما رآه قائلا: "كأنما العظم نشر بسكين مفللة."

أخضع اريك لجراحة استغرقت خمس ساعات نقل بعدها الى غرفة العناية المركزة. وضمدت جروحه الداخلية بمئتي قطبة، واقفلت الجروح السطحية بـ١٣٥ رزة سلكية من الفولاذ الذي لا يصدأ.

بعد أسبوع عاد اريك الى منزله مجبر الساق والذراعين. ولم تمضِ ثلاثة أسابيع حتى عاد الى الشاطىء وهو يعرج ليتذكر مغامرته المروعة. قال: "اظن أن القرش كان يتذوق طعمي آملا ان أكون فقمة. ولعله لم يستسِغْ مطاط بذلة الغطس فتركني."

ويعزو الاطباء نجاة اريك الى نباهته ولياقته البدنية. ويقول الدكتور أندرو نيفيث وهو طبيب في قسم الطوارىء وأول من عالج اريك في المستشفى: "يحقق المرء أشياء مذهلة عندما تدعو الضرورة. ويتمتع اريك بجسم رياضي وبقوة رجُلين اثنين."

وقد شفي اريك وعاد الى ممارسة أنواع الرياضة القاسية. لكنه يقول: "سأخصص لها وقتاً أقل، إذا تبدلت أولوياتي. فالحياة قصيرة وقد تنتهي في أي لحظة. وكنت دائماً على ثقة بأني سأحقق انجازاً بالغ الأهمية في مجال الهندسة، وأعتقد أن الوقت حان لذلك."

بيتر مايكلمور ■

دائرة المعارف

■ إعداد وليم صعب

هنا الاجوبة الصحيحة لامتحان المحفوظات الشعرية الذي تضمنته دائرة المعارف في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١. وكنا مددنا مهلة قبول الاجوبة الواردة من القراء، ولكن يؤسفنا أننا لم نتلقَّ اجابات صحيحة، كلياً، من أي مرسِل. لذا سنكتفي بثماني جوائز اشتراكات لمدة سنة في "المختار"، آملين أن نلتقي في مسابقات آتية.

ندرج في ما يأتي مطالع القصائد التي اختيرت منها الابيات الواردة في الامتحان، مع اسم ناظم كل قصيدة.

١. في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائرْ
قس بن ساعدة

٢. أهاج قذاء عيني الاذِّكار
هدوءاً فالدموع لها انهمارُ
المهلهل

٣. قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
امرؤ القيس

٤. أمن أم أوفى دمنة لم تَكَلَّمِ
بحومانة الدراج فالمتثلمِ
زهير بن أبي سلمى

٥. لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ
طرفة بن العبد

٦. ودّع هريرة: إن الركب مرتحلُ
وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ؟
أعشى قيس

٧. يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبدِ
النابغة الذبياني

٨. لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ
عنترة العبسي

٩. نُعدُّ المشرفية والعوالي
وتقتلنا المنون بلا قتالِ
أبو الطيب المتنبي

١٠. اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقُلِ الفصل وجانب من هزلْ
ابن الوردي

١١. أوَميضُ برقٍ في الأبيرق لاحا
أم في ربى نجدٍ أرى مصباحا؟
الفارض

١٢. الحمد لله الصمد
حالَ السرور والكمدْ
ناصيف اليازجي

١٣. قفي يا أخت يوشع خبرينا
أحاديث القرون الغابرينا
أحمد شوقي

١٤. ذلك الشعب الذي آتاه نصرا
كان بالسبَّةِ من نيرون أحرى
خليل مطران

١٥. الخير في الناس مصنوع اذا جُبروا
والشر في الناس لا يفنى وإن قُبروا
جبران خليل جبران

١٦. قالوا دهت مصر دهياءٌ، فقلت لهم:
هل غُيِّض النيل أم هل زُلزل الهرمُ؟
بشاره الخوري

١٧. حدِّث: فإنكَ صادقٌ يا طرّسُ
ما اللامس الرائي كمن يتلمسُ
رشيد الخوري (الشاعر القروي)

١٨. وطن النجوم، أنا هنا
حدِّقْ: أتذكر من أنا؟
إيليا أبو ماضي

١٩. رمتك بما تعدّ لنا الليالي
فهذا الشجو من ذاك الوصالِ
صلاح لبكي

٢٠. معاهد العلم في أفياء قحطان
هذا عمادٌ هوى في سفح لبنانِ
وديع عقل

٢١. هذي يدي – هلاَّ جسستَ يدي؟
أخشى عليها النار من كبدي
شفيق معلوف

٢٢. هازجٌ صفَّقتْ له الصحراءُ
فالمروءات جنةٌ وانتشاءُ
سليمان العيسى

٢٣. والذي كرَّم بالعُرب أنامَهْ
إن في لبنانَ تعريب الكرامةْ
جورج صيدح

٢٤. ملِّقيه بحسنِكِ المأجور
وادفعيه للَانتقام الكبير
الياس ابو شبكة

٢٥. إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة
فلا بدَّ أن يستجيب القدرْ
ابو القاسم الشابي

٢٦. إن الزمان – ولا أقول زماني –
بين "الطوابع" و"الرسوم" رماني
مصطفى وهبي التل

٢٧. يا بني العرب يا ليوث الغاب
عاث في غابكم قطيع الذئاب
احمد الصافي النجفي

٢٨. بلادي، فداك الروح، والله عالمُ
عليك سلامٌ خالص القصد سالمُ
محمد العيد آل خليفه

٢٩. لكل نقيصة في الناس عار
وشر معايب المرء القمارُ
نجيب الحداد

٣٠. غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شادِ
ابو العلاء المعري

٣١. أقلِّي اللوم، عاذلَ، والعتابا
وقولي إن أصبت لقد أصابا
جرير

٣٢. اسلك، بُنيَّ، مناهج الساداتِ
وتخلقنَّ بأشرف العاداتِ
ابو العتاهية

٣٣. إذا المرء لم يدِنس من اللؤم عرضه
فكلُّ رداءٍ يرتديه جميلُ
السموأل

٣٤. أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ابن زيدون

٣٥. أقبل الليل واتخذتُ طريقي
لك والنجم مؤنسي ورفيقي
علي محمود طه

٣٦. هل بالطلول لسائل ردُّ
أم هَل لها بتكلمٍ عهدُ؟
فتى تهامي

٣٧. رُبَّ دار بالغضا طال بلاها
عكف الركب عليها فبكاها
الأربلي

٣٨. بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي
فجُودا فقد أودى نظيركما عندي
ابن الرومي

٣٩. خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غِيَرُ
الأخطل

٤٠. هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ
الفرزدق

الفائزون باشتراك لمدة سنة في مجلة "المختار"

راجية نجار مغربي - طرابلس، لبنان
مفتاح البراني محمود - طرابلس، ليبيا
د. محمد بعبيش - ادلب، سوريا
يوسف وصفي - البيضاء، المغرب
يمن فايز مغربي - طرابلس، لبنان
لمباركي محمد - العيون، المغرب
عبد العاطي البراني - طرابلس، ليبيا
كمال بدر الرافعي - طرابلس، لبنان

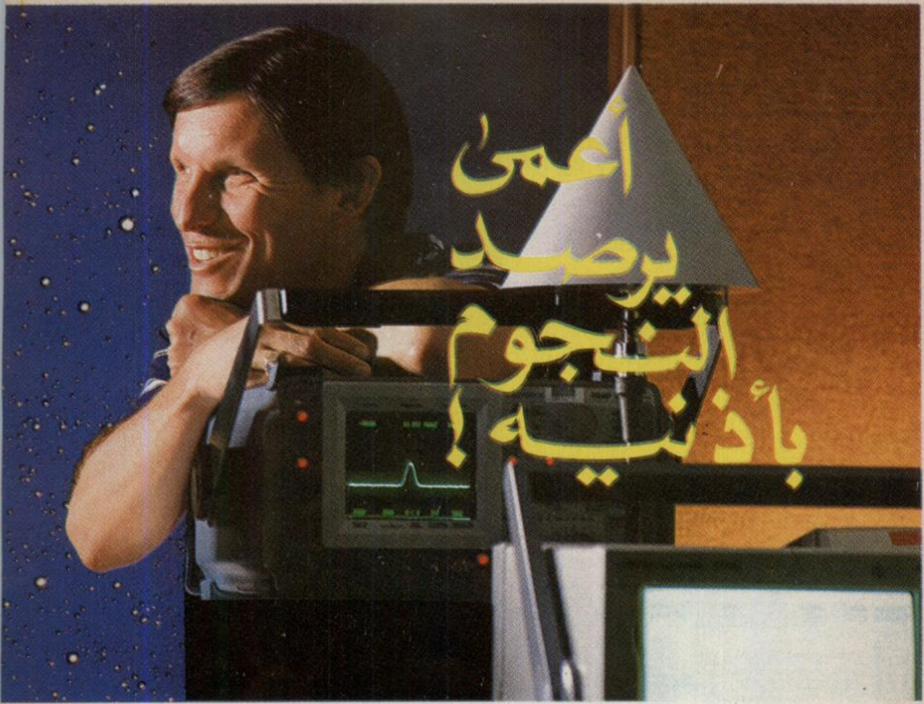

كفيف منذ ولادته، لكنه بات من أبرز العلماء في أبحاث الفضاء الخارجي

ذات يوم قائظ من يوليو (تموز) أدخلت كارول كولرز المستشفى في سانتا كلارا بكاليفورنيا لوضع طفلها الاول. وكان نظام تكييف الهواء في المستشفى معطلا، وبلغت الحرارة في غرفة التوليد الضيقة ٣٥ درجة مئوية. ثم تعطل جهاز مراقبة نبض الجنين.

فما كان من كنت كولرز، زوج كارول الذي كان يمسح العرق عن جبينها، الا أن رمى المنشفة وشرع ببرودة أعصاب يتقفى الاسلاك التي تصل جسم زوجته بجهاز المراقبة. ثم راح يتلمس بيديه كل وصلة متدلية من الجهاز.

عادت الممرضة فرأت كولرز يحبو على الارض، فانتهرته قائلة: "ماذا تفعل؟ لا يمكنك العبث بهذا الجهاز." وفي اللحظة ذاتها عثر كولرز على وصلة فالتة فأولج قابسها في مكانه الصحيح وعاد الجهاز الى العمل مرسلا اشارات منتظمة.

قال كولرز محاولا طمأنة الممرضة: "لا بأس، أنا عالم فيزيائي في ناسا."[1]

واذا بدهشة ثانية تطالع الممرضة، لقد كان الرجل الذي نهرته كفيفاً!

(١) NASA هي وكالة الفضاء الامريكية.

PHOTO: © ROBERT HOLMGREN

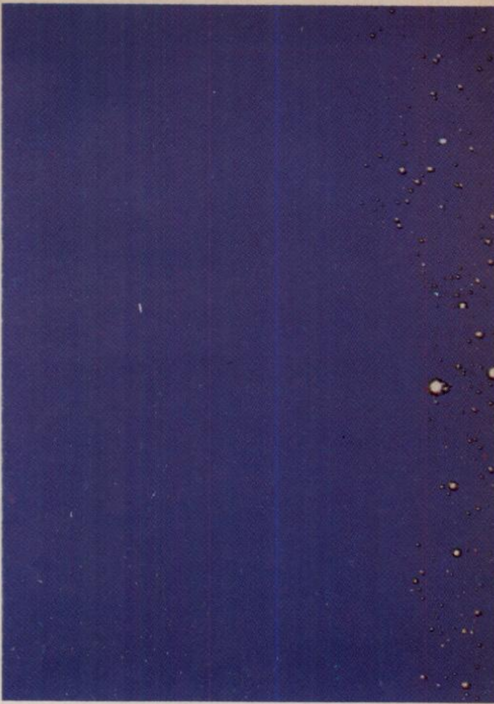

ولد كولرز قبل اوانه في أوكلاهوما عام ١٩٤٩، وأتلف بصره على أثر اعطائه جرعة قوية من الاوكسيجين مما غشّى عدستي عينيه وأتلف الشبكيَّتين الحساستين للضوء. فأقسم والداه، وندا وجورج، على تنشئته بحيث ينمو شاعراً بأنه قادر على عمل أي شيء ما خلا البصر.

طريق حياة. لم يكن التزام هذا العهد سهلا، اذ رأى الوالدان ابنهما كنت يسقط مراراً لدى تسلقه الاشجار. وتساءلا عما اذا كان طموحهما يتجاوز قدرة الصبي ويشكل خطراً عليه. لكن ارادة كنت كانت صلبة أيضاً، فكان ينهض بعد كل سقطة متشدداً. وتقول والدته وندا: "اتسم كنت بحاسة توازن رائعة. فكان يتحسس مواقع الاشياء كأن داخله جهاز رادار."

كان درع كولرز ضد اليأس والفشل شعار التحدي الذي بثه فيه والداه تكراراً: "في امكانك عمل كل شيء." وكانت هوايته المفضّلة في صغره ركوب الدراجة الهوائية. وهو يقول: "كان ركوب الدراجة سهلاً اذ لم يَنْهَني أحد عنه بحجة أن فاقدي البصر عاجزون عن الركوب."

وفي أحد سباقاته مع ابن الجيران اندفع كنت الصغير في المقدمة ما ان سمع صوت إشارة الانطلاق، وانتهى صادماً سيارة متوقفة، فجُرح. وارتاع صديقه اذ رأى الدم يتقطّر من فمه وقد تحطمت أسنانه الامامية. لكن كنت نهض غير مبال وأعلن بافتخار: "أنا فزت!"

كان يسيراً على والديه رعايته في الجوار، ولكن ماذا عن المدرسة؟

التزاماً منهما ذلك العهد القديم، قررا ادخاله مدرسة عادية. لكن المدارس الرسمية في أوكلاهوما رفضت قبوله.

ثم علمت والدته أن في كاليفورنيا مدارس تقبل الاولاد المكفوفين. فطلب والده جورج من الشركة التي يعمل فيها نقله الى فرع في كاليفورنيا. وهكذا انتقلت العائلة الى تمبل سيتي.

وأثبت كولرز الصغير أنه قادر على مضاهاة أفضل الاولاد. فقد كانت علاماته الاعلى في جميع الدروس، وكان كشافاً

ناشطاً. فلفت ذكاؤه انتباه معلميه الذين أولوه اهتماماً خاصاً، مما حداه على القول: "حين تلقى اهتماماً وتشجيعاً من شخص بالغ، فذلك يدفعك الى مزيد من الاصغاء والانتباه."

أبعد من البصر. لا تزال لويس بريكن، معلمة كنت في الصفوف الثانوية، تتذكر تلميذها النبيه المبدع: "كان ماهراً في كل ما يعمل بحيث ينسى المرء أنه معاق."

ولتعويض البصر تعلم كولرز شحذ حواسه الأخرى. وتتذكر بريكن ذات يوم حين قال لها في الملعب: "سيدة بريكن، ثمة طائرة مقبلة." فسألته: "أين هي؟ اني لا أرى شيئاً ولا أسمع هديراً." وما عتمت أن عبرت طائرة فوقهما، فضحك كنت.

وذات يوم قرأت والدته في دفتره عبارة كتبها بحروف كبيرة: "أنا عظيم." فتيقنت أن جهودها أفلحت في تنشئة ولد سليم من الاضطرابات العصبية.

كان فلويد ثالر أستاذ الكيمياء في المدرسة الثانوية المعلم الاشد تأثيراً في الفتى. وما زال كولرز يقتبس عنه ويذكر أحد أقواله المفضلة: "اذا زعمت أمراً مدهشاً، فحري بك أن تدعمه بدليل مدهش."

ذات يوم شرح ثالر خصائص مادة كيميائية لا لون لها، ثم وضعها في قارورة ماء، وللحال تحول لونها أحمر قانياً. وكان ثالر أضاف عنصراً خاصاً الى القارورة. وسألهم: "لماذا تحول لون المادة أحمر؟"

فشرع التلاميذ، بمن فيهم كولرز، في تقديم تفسيرات شتى.

وبعد حين كشف لهم ثالر خدعته: "لقد أضفت شيئاً الى الماء خفية عنكم." وراح يشرح لهم الحكمة من هذه الحيلة: "قد تجدون في الطبيعة أموراً كثيرة تعجزون عن فهمها. ولكن تذكروا دائماً أن الطبيعة منطقية ولا تحتجب عن المراقب الدقيق."

ومنذ ذلك الوقت تعلم كولرز أن يشكك في المزاعم العلمية المدهشة التي تفتقر الى أدلة مدهشة تدعمها.

ألقى كولرز كلمة صفه المتخرج في المدرسة الثانوية، وحاز شهاداته الجامعية بتفوق، ونال شهادة دكتوراه في علم الفيزياء من جامعة كاليفورنيا في بيركلي.

ولوالديه الفضل في اصطفائه حقله العلمي عملا لحياته. ففي كل مساء كان أبوه المهندس يقرأ له بصوت عال كتباً أمثال "الكتاب الذهبي لعلم الفلك."[٢] فانطبعت في مخيلة كنت صور حية عن النجوم والكواكب والمجرات. وهو يقول: "من ذكرياتي الاول تخيُّلي نفسي واقفاً على كوكب أصقع من الجليد أو مخترقاً الحرارة على سطح الشمس."

في السن الخامسة والعشرين حضَّر كولرز برنامج كمبيوتر بيَّن فيه أن نظام رادار أزمعت "ناسا" على ادخاله في

(٢) The Golden Book of Astronomy

المكوك الفضائي لم يكن يستحق كلفته. واقتنعت "ناسا" وألغت مشروع الرادار.

وبعد بضع سنوات طلبت "ناسا" من كولرز العمل لديها.

مشروع فريد. كنت كولرز هو اليوم أحد أبرز العلماء في مركز إيمس التابع لوكالة "ناسا" في ماونتن فيو بكاليفورنيا. انه رجل وسيم ناحل فارع الطول ذو ابتسامة عريضة مشرقة يعيش حياة غنية. وهو عازف بيانو وغيتار ولاعب شطرنج ماهر وهاوي اتصالات لاسلكية.

كل صباح يغادر الشقة التي يسكنها مع زوجته وولديه، فيوصله أحد الاصدقاء الى عمله في مختبر أبحاث علوم الحياة في مركز إيمس. وهو يتنقل في الاروقة الطويلة من دون عناء. وقد اشتهر كباحث قدير ذي موهبة خارقة. واختصاصه اليوم "التطلّع" الى السموات الكترونياً.

تشع من كل نجمة، بما في ذلك شمسنا، موجات راديو صوتية.[٣] ويستخدم كولرز جهاز كمبيوتر خاصاً موصولا بمقاريب راديو (راديو تلسكوبات)[٤] لترجمة الصور المرئية نتوءات تسجَّل على إضمامة ورق بحجم ظفر. وهكذا، كما يقول، "أحس الصورة على رؤوس أصابعي."

عندما تظهر كلمات أو معلومات حسابية على الشاشة يتولى كمبيوتر آخر ترجمة الاحرف والارقام كلمات انكليزية مسموعة. وللاتصال الصامت يقفل كولرز الصوت الالكتروني ويضع أصابعه على صف من ٤٠ مفتاحاً صغيراً تشبه قطع الدومينو. وتبرز من هذه المفاتيح دبابيس بيض تحوي حروف "برايل"[٥] وتتيح لكولرز الاطلاع لمساً على الكلمات والمعلومات. يجلس كولرز الى هذا الجهاز يستكشف شيئاً ما في الفضاء، فيخالجه احساس لذيذ بأنه يطاول النجوم بيديه.

ومن خلال رؤياه الداخلية التي لا تثقلها التأثيرات الخارجية، يتبين أحياناً علاقات تخفى على زملائه المبصرين. وهو يقول: "في امكاني تصور الشيء على حقيقته، فكل المعلومات في رأسي تتحول صوراً ثلاثية الأبعاد." ويدهش كولرز زملاءه دائماً بمقدرته الخارقة، تلك المقدرة التي اكتسبها وهو جالس في حضن والده يصغي الى رواياته عن النجوم والشمس والقمر والاجرام.

ويعمل كولرز حالياً على استغلال مواهبه الفريدة لمساعدة "ناسا" في مشروعها "البحث عن كائنات ذكية خارج نطاق الارض."[٦] وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٢ ذكرى مرور ٥٠٠ سنة على اكتشاف كريستوفر كولومبوس أمريكا، تخطط "ناسا" لبدء أعظم بحث راديوتلسكوبي في التاريخ. وفي الثواني الستين الاول ستستقصي "ناسا" الفضاء بعمق ودقة يفوقان ما بلغته جميع الابحاث السابقة.

---

(٣) Radio noise

(٤) Radiotelescopes

(٥) Braille. وهي كتابة خاصة بالعميان تستخدم فيها احرف مؤلفة من نقاط نافرة.

(٦) Search For Extraterrestrial Intelligence

ضجيج أبيض! وظيفة كولرز تصميم أجهزة لغربلة أصوات الراديو واستكشاف أدلة على اتصالات ذكية منبعثة من الفضاء. وأجهزة كولرز فائقة الفاعلية الى حد أنها تقلّب في ثانية واحدة كل ما تتضمنه صفحات الموسوعة البريطانية (إنسيكلوبيديا بريتانيكا)[٧]. وهي تستقصي موجات الراديو المنبثّة من الفضاء وتجري نحو ٥٠ مليون فحص في الثانية بحثاً عن اتصالات ذكية محتملة.

يقول كولرز: "نحن نبحث في طيف الراديو عن خطوط هي تواترات خاصة مبعثها طاقة أقوى ملايين الاضعاف من طاقة الشمس." ويضيف أن هذه الخطوط المعبّرة تنبعث حالياً من دلائل الكترونية على حضارتنا، كالراديو والتلفاز والرادار النابض وحتى اجهزة فتح أبواب المرائب من بُعد، "هذا هو نوع الدليل الذي ننشده في أبحاثنا عن الحياة في الفضاء الخارجي."

ولكن ما النفع إن لم تكتشف "ناسا" أي شيء؟

يبقى عندئذ أن أجهزة كولرز تحظى باهتمام خبراء الامن الوطني في سعيهم الى مراقبة اشارات الراديو لدى جهات معادية، وباهتمام مديرية الطيران الباحثة عن طرق جديدة للتسمّع والاسماع عبر الثرثرات اللاسلكية الكثيفة بهدف توجيه الطائرات في الاجواء.

يتّسم كولرز بتفاؤل دائم. ويلذ له التحدث عن برنامجه وعن استكشاف الحياة في الفضاء. وقد طلب منه أخيراً توجيه بعض طاقاته الى اقناع آخرين بأن المشروع مغامرة مثيرة. فبات يصرف بعض نهاراته في قاعات مؤتمرات محاضراً في لجان الكونغرس عن أهمية هذه "المغامرة." ويعرض أحد زملائه على الشاشة صوراً من المشروع.

تبدو علامات الضجر على الحاضرين ويأخذون في التململ. اذذاك يدير كولرز جهاز راديو للهواة قائلا: "هذه هي المشكلة الكبرى." فتمتلىء القاعة بهسهسة راديوستاتية[٨] تعرف بـ"الضجيج الابيض"، ويدب النشاط في الحاضرين ويغلب عليهم الاهتمام بالموضوع.

ويقول كولرز: "اننا نحاول التقاط اشارة موجة ضيقة وسط هذا الضجيج." ثم يسأل بنبرة قوية: "ما هي الموجة الضيقة؟"

يزمّ كولرز شفتيه ويطلق صفيراً حاداً متواصلا ويقول: "هذا ما يأمل علماء ناسا سماعه عندما يشرعون في استكشاف النجوم."

واذ ينهي كولرز محاضرته يكون العياء والملل فارقا جمع الحاضرين الذين انتشوا بالاطلاع على روعة الابحاث العلمية الخارقة. وهكذا يثبت كولرز مرة أخرى أنه ثمرة صالحة لعهد والديه وثقة معلميه وايمانه بأنه قادر على عمل ما يريد.

غرني وليمس الثالث ■

---

(٧) Encyclopaedia Britannica

(٨) Radio static

لقاء طريف مع عملاق الفن الحديث

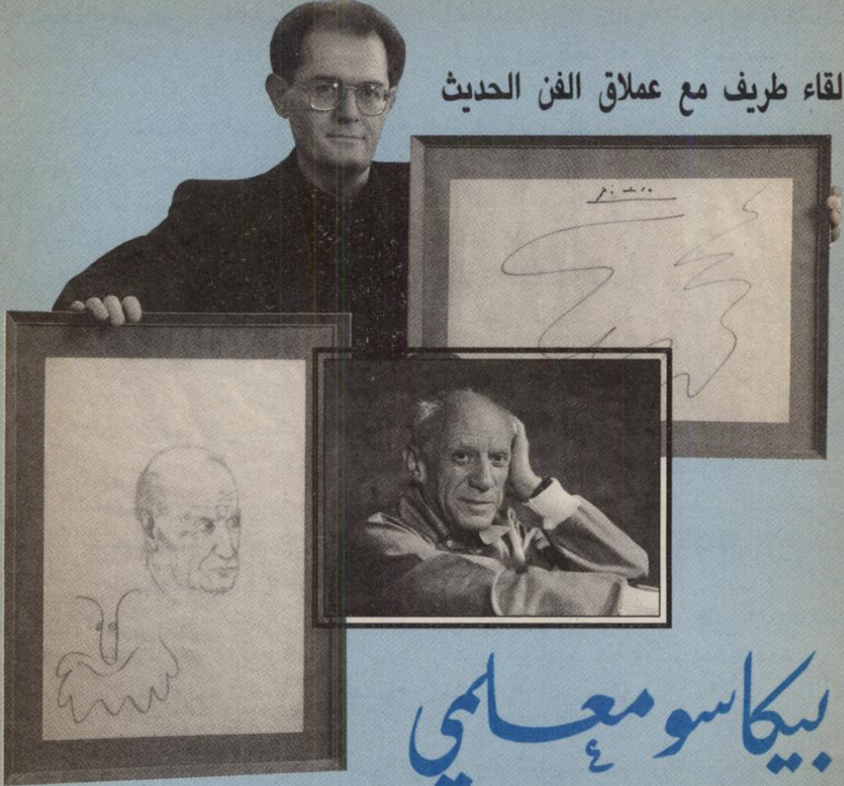

بيكاسو معلمي

قبل سنين كثيرة كنت أجول في أوروبا في رحلة مع بعض الاصحاب، وكنت آنذاك في الثامنة عشرة من عمري. وذات يوم وجدنا أنفسنا في مدينة كان جنوب فرنسا وقد نفد مالنا. فعملنا في ورشة لطلاء الزوارق.

وفي أثناء تجوالي ظهراً على رصيف الميناء لمحت بابلو بيكاسو جالساً في أحد مطاعم الرصيف وهو يتناول الغداء مع زوجته جاكلين وثلاثة آخرين. وكنت أحمل دفتر رسم، فحضَّني صديقي على الطلب من بيكاسو توقيع اسمه في دفتري. فتشجعت وفعلت، واستُجيب لطلبي الجريء.

لم يكن الفنان الذي ناهز الثمانين مضطراً الى هذه الاستجابة. ففي العام ١٩٦٥ كان بيكاسو يعيش حياة انعزال ويمضي معظم وقته عاملا في دارته

© 1988 BY RICHARD CORK. CONDENSED FROM THE LISTENER (JUNE 23, 1988), LONDON.
PHOTOGRAPHS: MICHAEL TAYLOR; KARSH / CAMERA PRESS

القائمة على احدى التلال العالية المطلة على مدينة كان.

تناول الفنان الورقة الكبيرة التي ناولته اياها وكتب اسمه في أعلى الصفحة. وكأن الفراغ تحت اسمه أغراه فأضاف زخرفة أنيقة. وبقيتُ سنوات لم أرَ في رسمه ذلك الا صورة تجريدية. لكن فن بيكاسو متجذر عادة في الواقع المرئي. لذلك قد تكون تلك الانحناءات الابداعية رمزاً لغيوم متلبدة أو لأمواج على شاطىء أو لميناء مدينة كان المترامي بعيداً قبالة طاولته في المطعم.

ابتهجت لكرمه وشكرته وانخرطنا في حديث متعثر. واذ كانت انكليزية بيكاسو أضعف من فرنسيتي فقد تولّت احدى السيدات على المائدة عملية الترجمة لكلينا. كان هو الذي يطرح الاسئلة وأنا أجيب عنها، وقد حاولت افهامه أني أعشق الرسم وأني معجب بأعماله الرائعة.

وعدت الى الزورق بعد حين مزهواً بالتحفة العفوية الرائعة التي ظفرت بها من يد بيكاسو والتي تخلّد ذكرى لقائي ذلك العبقري. وكان بيكاسو وصحبه ما زالوا جالسين الى المائدة، فقال لي صديقي الذي شجعني على محادثة بيكاسو: "لماذا لا تمعن في الافادة من حظك المدهش وترسم بيكاسو؟ فلن تسنح لك فرصة أخرى كهذه، ولا أظنه سيمانع."

لم أرغب في ازعاج بيكاسو ثانية، وأحسست أن جرأتي ستبلغ حد الوقاحة ان أنا عدت اليه. وخشيت ألا يكون استقبالي ودّياً كالمرة الاولى. ولكن راقتني فكرة صديقي فحملت دفتري واتجهت الى المائدة، ووقفت بجانب الطاولة وأسندت الدفتر الى حاجز معدني وشرعت في الرسم.

تنبه بيكاسو الى قصدي فأطلق تكشيرة عريضة وراح يغير ملامح وجهه مصعِّباً مهمتي، فتارة يدوّر عينيه ويمد لسانه وتارة يلوّح بكلتا يديه ويضمّهما إلى صدغيه ويرسم بأصابعه أشكالا مضحكة مستمتعاً بأدائه كأنه وُلد بهلواناً. وأدركت غايته من تصرفه الغريب، اذ هدف الى امتحان مدى تصميمي وعزمي، فواصلت الرسم.

وإزاء عنادي وتشوقي لانَ بيكاسو أو رقّ قلبه لفنان ناشىء مكافح، فاستكان هادئاً لدقائق مما سمح لي برسمه على حقيقته.

بدا لي في سترته المقلّمة باللونين الابيض والازرق يقظاً نشيطاً، جسمه مكتنز كأجسام المصارعين. وأضفت عليه سمرته الدكناء المتلوحة بالشمس مظهر رياضي في الستين لا عجوز شارف الرابعة والثمانين.

وأدهشتني فتوته وصفاء عينيه الثاقبتين المطلتين من وجه خال من الترهل. كانت عيناه آسرتين، وجهدت لكي أنقل فتنتهما وقوتهما رسماً.

لكنه بدا أيضاً، على رغم جلسائه، متوحداً منطوياً غارقاً في عالم خاص من السكون.

أنهى بيكاسو غداءه وطلب مني، بواسطة السيدة المترجمة، أن أريه رسمه. ارتبكت وحاولت الامتناع اذ لم أكن انتهيت بعد، وكانت حجتي أن ليست في رسمي جودة تليق بعبقري الفن. لكنه أصرّ على مطلبه. وحين رأى رسمه هزّ رأسه استحساناً.

ثم فاجأني معلناً رغبته في رسمي. واذا به يخط على الورقة ضربات سريعة واثقة مذهلة تحت رسمه الذي كلّفني دقائق مشوبة بالقلق، فبرزت صورة وجه ملتح. ولم يلبث أن ناولني الدفتر.

فماذا رأيت؟ لقد نقل الفنان احدى عينيّ الى أنفي ورسم تحتها ابتسامة عريضة بيّنها خط مستقيم واحد، فبدوت كفراشة متوثبة في احدى لوحاته الاسطورية.

ربما رأى فيَّ بيكاسو متطفلاً من عالم آخر يحدق اليه بفضول شاب مأخوذ لوقوفه وجهاً لوجه أمام عبقري.

حين أنظر الى الرسمين اليوم ألمس أكثر من أي وقت مضى ذلك التباين بين التردد المتعثر في رسمي وعبقرية التسامي والمرح والابداع المتجلّية في رسمه.

فيا لحسن حظي! لقد أتاح لي لقاء بيكاسو أن أدرك أن في حنايا ذاك الرجل الذي يحظى فنه بتبجيل واجلال منقطعي النظير جذوة حب للمرح والفكاهة.

فاللذة التي طبع بها ملامحي عفوياً في ذلك النهار القائظ من صيف ١٩٦٥ لم تخبُ قط، بل أضفت حيوية ومرحاً وفكاهة طبعت فنه في أواخر سني حياته المديدة.

ريتشارد كورك ■

مصيبة!

وقف الموظف الجديد أمام آلة تقطيع الاوراق وقد بدا عليه الاستغراب.
فسألته سكرتيرة مرت بجانبه: "هل تحتاج الى مساعدة؟"
أجابها: "نعم، كيف نشغّل هذه الآلة؟"
قالت: "بسيطة!" وتناولت التقرير السمين من يده ثم بدأت تلقمه الآلة.
وحين انتهت قال لها الموظف: "شكراً يا آنسة، ولكن من أين تخرج النسخ؟"

ك.م.

أين تختفي الجوارب؟

كنت أحزم حقائبي في عجلة استعداداً لرحلة عمل، فوجدت في درج جواربي زوجين غير متناسبين، أحدهما أزرق والآخر بني. فسألت زوجتي ممتعضاً: "اين تختفي جواربي؟"

فجاءني الجواب سريعاً، اذ وقع أحد الجوربين من يدي فانحنيت لالتقاطه، واكتشفتُ انني أرتدي جورباً أزرق وآخر بنّياً!

ا.ب.

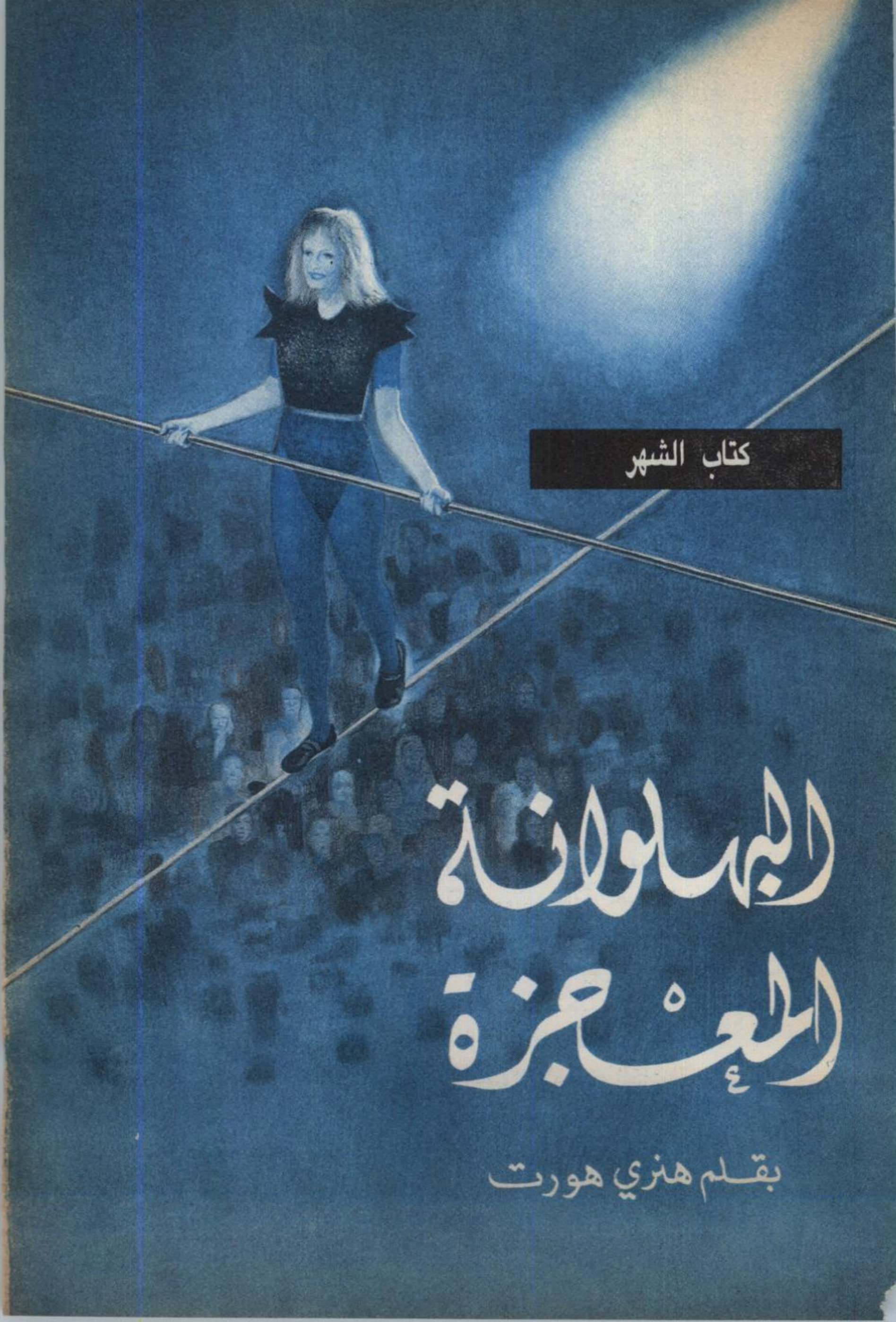
كتاب الشهر
البهلوانة
المعجزة
بقلم هنري هورت

★ ★ ★ ★ ★

البهلوانة المعجزة

بقلم هنري هورت

انجل والندا بهلوانة مارست تدريبات طويلة وقاسية لتنمي في جسدها القدرة والرشاقة اللازمتين للسير على أسلاك عالية. بيد أن مهارات اكتسبتها في مرحلة سابقة من حياتها هي التي مدتها بالقوة واللياقة والقدرة على الاحتمال. فكيف قدر لطفولة تاعسة أن تهيىء شابة لمثل هذه الشجاعة في تخطي صعاب الحياة؟

تلألأت الاضواء الساطعة على النثار المعدني فوق الرداء الفيروزي الناعم كاشفة للجمهور الجذل في الاسفل مشهد جمال وشجاعة. وتألق جسد انجل والندا المرن وسط الظلام الذي لف قاعة العرض وهي تتهادى برشاقة على السلك الرفيع.

ولم تكد تبلغ منتصف المسافة حتى ترنحت وبانت على محياها وسط الاضواء الكاشفة مسحة خوف وذعر. وترجَّح قضيب التوازن بين يديها منذراً بخطر وشيك، فغارت قلوب مئات المشاهدين. كان واضحاً أن ثمة خطباً ألم بها. ولم تكن تحتها شبكة تتلقفها إن سقطت، فهذا تقليد كرسه آل والندا العظام.

فجأة سُمعت صرخة شقت السكون: "أبعدوا الاضواء الكاشفة عن عينيها!" كانت تلك صرخة زوجها ستيف الذي وقف يراقبها من المنصة المقابلة. وما ان أُطفئت الاضواء الكاشفة حتى استعادت انجل توازنها وواصلت سيرها. كان عامل مهمل من فنيي الاضاءة سلَّط الاضواء عليها من تحت فعميت عن مراقبة قدمها اليمنى كلما وطأت السلك.

PHOTOS: © TERRY WILD

ومعروف أن السير على الاسلاك يتطلب من البهلوان الوقوف منتصب القامة مرفوع الرأس والاعتماد كلياً على أحاسيس قدميه. فهذا فن لا يعتمد على العين بل على القدم التي ينبغي أن تنتقي مواطئها بدقة تحفّها الاخطار.

بيد أن انجل والندا تبز زملاءها جرأة. فهي لا تملك قدماً يمنى، بل رجلٌ اصطناعية تبدأ تحت ركبتها. وبما أن الطرف الاصطناعي خلو من الاحاسيس، فهي تعوض هذا النقص بمراقبة موطىء قدمها اليمنى في كل خطوة.

انجل والندا هي البهلوانة الوحيدة في العالم التي تؤدي هذه العروض الجسورة بقدم اصطناعية.

لذلك حين استعادت توازنها ووقفت بثبات على السلك، دوت القاعة بالهتاف وشوهد وجه انجل يشع بالثقة مجدداً ويتألق ببسمة بهية حيَّت بها الجمهور. وما ان اجتازت المسافة الفاصلة ووطأت المنصة البعيدة، حتى تحول الهتاف تصفيقاً راعداً. وللحال اجتاز ستيف السلك بسرعة وانضم اليها. وتعانق الزوجان ثم انحنيا للجمهور بأبهة طبعت حياتهما كحاملي أحد أشهر الاسماء في عالم السيرك.

لكن النجاح الباهر الذي لاقاه هذا العرض في مانسفيلد بولاية بنسلفانيا في شهر مارس (آذار) ١٩٩٠، حمل مسحة كآبة غمرت المشاهدين. فقد كانت انجل والندا، ابنة الحادية والعشرين، على وشك الخضوع لجراحة استئصال ورم سرطاني للمرة الرابعة خلال أقل من أربع سنوات. وكان الجمهور مدركاً أن ما يشهده ربما كان عرضها الاخير.

اختلطت انجل وستيف بالجمهور بعد انتهاء العرض وراحا يوقعان دفاتر تذكارية ويشكران المعجبين ويتقبلان التهاني. واجتذبت انجل الناس كعادتها بمرحها الدافىء وروحها الطيبة. أما السؤال الذي أخذ يتردد في الاذهان، ضمناً أو شفاهاً، فكان: كيف تقدر هذه المرأة الشابة على مواجهة مصيرها الغامض بهذا المقدار العظيم من الهدوء والشجاعة؟

★ ومضات حب ★

قبل سنوات كثيرة من عرض مانسفيلد كانت انجل والندا شخصاً آخر يعيش في عالم مختلف.

ولدت اليزابيث (ليزي) بنتيا في ٢٠ مارس (آذار) ١٩٦٨، وكانت الصغرى بين ستة أولاد ترعرعوا في كنف والدين هربا من المجر (هنغاريا) واستقرا في ضاحية شمال مدينة نيويورك.

وكان منزل آل بنتيا مليئاً بالخوف والرعب. فقد كان الوالد رجلاً فظاً نزق الطباع لا

يحلو له الاكل الا وحيداً في غرفة تعزله عن بقية العائلة. كان يأكل أولاً، ونادراً ما يسمح لاولاده بالمثول في محضره. وبعد أن يفرغ من الاكل كانت العائلة تأكل ما تبقى في غرفة الطعام.

وغالباً ما كان يردد لأولاده أنه يريدهم أقوياء. ولدى عودته الى البيت كان يطلب منهم أن يصطفّوا ويمدوا أيديهم لتلقي العقاب، اذ لا بد من أنهم ارتكبوا خطأ ما في غيابه. وكان يتنقل بينهم منهالاً بحزامه على أيديهم حتى لا يبقى منهم واحد إلا وقد علا صوته ألماً وبكاء.

وتذكر ليزي أن والدها كان يطرحها أرضاً وينهال على وجهها ضرباً. وكانت الأم السقيمة تحاول الدفاع عن أولادها وتتوسل الى زوجها لكي يتساهل قليلا في معاملتهم. لكنه كان يرد على ذلك بحجزها في غرفتها أثناء غيابه، فيضطر الاولاد الى تحضير الطعام وتنظيف المنزل بأنفسهم.

وكانت سلطات الولاية تأمر أحياناً باخراج الاولاد من البيت وتوزيعهم على بيوت رعاية حيث تعنى بهم عائلات كريمة. وهذا نمط رافق ليزي طوال فترة طفولتها، فلم تبق طويلا في عهدة عائلة واحدة.

أبعدت ليزي عن والديها للمرة الاولى عندما كانت في شهرها الثامن عشر. وكانت أولى محطاتها في منزل لين ساندباك التي لا تنسى ساعة وصول الطفلة الى دارها. تقول: "كانت مرتاعة لابتعادها عن اخوتها وأخواتها فمزقت فؤادي. وكانت لا تكف عن البكاء ولا تدعني أنزع سترتها. فضممتها الى صدري وهدأت خاطرها نحو ساعة. وعندما سكنت أذهلني مقدار ما كان فيها من محبة."

وفي عامها الثالث كانت ليزي فتاة جميلة شقراء زرقاء العينين تزين محياها ابتسامة شبه دائمة. فانتقلت الى منزل جون وبات ولسون في بلدة كرمل بولاية نيويورك حيث لاقت معاملة زاخرة بالمحبة والعطف. وعلى رغم أن سياسة هيئة الرعاية الاجتماعية قضت بنقلها بعد ١٨ شهراً، فما زالت تذكر آل ولسون بعاطفة جمَّة الى اليوم. تقول: "يصعب على أناس حظوا بالمحبة طوال حياتهم أن يفهموا الجميل الذي يمكن أن تصنعه عائلة واحدة مثل آل ولسون."

عززت كل ومضة محبة عاشتها ليزي في طفولتها روحَها المعنوية وقدرتها على خوض معترك الحياة وتصميمها على مقاومة كل ما يخضعها لمشيئة الآخرين. وتذكر شقيقتها آنا، التي تكبرها بأحد عشر شهراً، رفض ليزي اللجوء الى البكاء حين كان الوالد يوسعهم ضرباً، على رغم أن البكاء الفوري كان الوسيلة الاكيدة لوقف القصاص. وتضيف آنا: "كانت ليزي ترفض البكاء مهما بلغ القصاص، لذا كانت دائماً تتلقى أقسى العقوبات."

ولا بد من معرفة هذا الواقع لفهم تلك الطفلة التي تبرعمت لتصبح انجل والندا.

خلال سنوات تنقل ليزي بين منازل الاوصياء، كانت تُرسل الى منزلها الوالدي لقضاء بعض عطلات نهاية الاسبوع ومعظم عطلات الاعياد. إلا أن والدها لم يكن ليولي الاعياد أي اهتمام، لأن مثل هذه الاحتفالات كانت توقظ في نفسه ذكريات كابوسية عن الحياة في المجر وتقتضي احتراماً لتقاليد درج على مقتها.

كانت الاعياد مناسبات كئيبة بالنسبة الى أولاد آل بنتيا. ولا تذكر انجل أنها تلقت أي هدية في منزل والدها، "ومع ذلك كنت ألجأ الى سرد قصص وهمية عن عطلة العيد لدى عودتي الى المنزل الذي يرعاني. وكان الاولاد هناك يتباهون بما تلقوه من هدايا ويتحدثون عن الاوقات الجميلة التي أمضوها. طبعاً، لم ينلنا نحن أي من هذه الاشياء، لكني كنت أتحدث دائماً عن ديك الحبش الذي أكلناه والحلوى التي التهمناها. وأذكر ادعائي مرة الحصول على بيت دمية. وعندما سألني الاولاد لماذا لم آتِ به قلت لهم انه أكبر من أن تسعه السيارة."

★ زائرة غريبة ★

أدركت ليزي منذ سنواتها الأولى أن حرمانها تجاوز كثيراً مسألة هدايا الميلاد. ذات يوم، وكانت في الخامسة من عمرها، شرحت معلمة الحضانة للصف أن كثيراً من الاولاد يسرون بأن يكون لهم أصدقاء خياليون. وأضافت: "لكل طفل تخيلات يتراءى له فيها أصدقاء وهميون." لكن ليزي اعتبرت نفسها مستثناة، وقدَّرت أن التخيُّل – مهما عنى ذلك – هو من ضمن الاشياء التي يملكها الآخرون ولا تملكها هي.

ولم يمضِ زمن طويل حتى حدث لها ما كان بمثابة بلسم سحري لروحها المعنوية. اذ فيما كانت تقضي اجازة في منزل والديها، دخلت غرفة الحمام لكي تختلي بنفسها وتتصفح كتاباً مصوراً. فجأة تراءى لناظرها شكل امرأة جلست بجانبها وهي ترتدي ثوبا فضفاضا.

تقول انجل: "بدت لي كدخان أبيض ورمادي. فنظرت اليها من رأسها الى قدميها ثم أغمضت عينيّ باحكام." كان الشكل صامتاً، لكن حضور المرأة أضفى على ليزي سلاماً رهيفاً لم تشعر بمثله من قبل. فهرعت لتخبر الآخرين ما شاهدت.

تعتبر انجل والندا تلك اللحظة نقطة تحول في طفولتها. وتقول: "علمت للمرة الاولى في حياتي أن في ذاتي شيئاً خاصاً، وأني لربما كنت أكثر من مجرد طفلة غير مرغوب فيها." واستمدت ليزي من هذه المعرفة قوة قادت خطاها الى اليوم. وهي تقول بسعادة: "تساءلت طويلا عما اذا كان ذاك الطيف هو الصديق الخيالي الذي تحدثت عنه المعلمة."

لكم كانت اليزابيث بنتيا تتمنى لو تستطيع تغيير بعض مناحي حياتها، لكنها ظلت تتمتع بكثير من الاستقلالية التي طالما انتزعتها من أولئك الذين تولوا العناية بها. كان واضحاً لها أنها إن استكانت للنظم التي فرضتها عليها هيئات الرعاية الاجتماعية فسوف تتحطم حياتها شر تحطيم. لذلك بذلت قصارى جهدها لتفادي سيطرة الآخرين على حياتها، محققة ذلك بطيبة خلق ومرونة حيَّرتا العائلات التي تناوبت رعايتها. وكانت، الى ذلك، تنظر الى الحياة بتفاؤل ورضى على رغم كل ما تعرضت له من معاملة سيئة في منزلها الأبوي. وكثيراً ما كانت تهرب مع شقيقتها وبعض أشقائها، فيختفون أسابيع يمضونها مع بائع حلوى اسمه هارفي يجولون معه متظاهرين بأنهم أيتام يبيعون الحلوى في مواقف سيارات المراكز التجارية في نيويورك ونيوجرزي وكونتيكت. وتذكر انجل: "طلب منا هارفي بيع الحلوى بدولارين ونصف دولار والاحتفاظ بنصف دولار لنا، لكننا كنا نبيعها بثلاث دولارات فنجني دولاراً ربحاً صافياً."

ومن المغامرات الكبيرة التي عاشوها واحدة حدثت بعد بلوغ ليزي الثالثة عشرة، حين دبرت مع شقيقتها آنا واثنين من أشقائها مكيدة للهرب نهائياً من نظام الرعاية الاجتماعية ومنزل والديهم. حدث ذلك في أبريل (نيسان) ١٩٨١ حين تغيَّب الاخوة عن المدرسة اذ هربوا حاملين مقتنياتهم القليلة في أكياس نفايات، متنقلين في سيارات أقلتهم مجاناً، الى أن انتهى بهم المطاف الى الطريق الرقم ٩٥ شمال شرق مدينة نيويورك، وهي احدى أكثر الطرق عبوراً في البلاد.

تذكر انجل: "كانت الطريق مناسبة لنا تماماً، فالضوضاء أبعدت الناس عنها وجعلتنا بمنأى عن تدخلهم في شؤوننا." وأقام الاشقاء شبه خيمة في الغابة بنوها بما طاولته أيديهم من مواد، في مكان قريب من ميمنة الطريق قبيل اختراقها بلدة مامارونك. وكانوا يطهون طعامهم على نار يوقدونها في العراء، ويجنون ما يكفي أودهم من بيع السكاكر التي جمعوها خلال عملهم مع هارفي. وكانوا يعملون في الصباح متجولين في الاسواق التجارية، ثم يقضون بعد الظهر في دور السينما.

أمضى الاولاد نحواً من شهر ذاقوا خلاله طعم سعادة لم يعرفوها قبلاً. وتحاشوا الوقوع في مشاكل، الى أن جاء يوم كذبت ليزي وآنا في شأن عمرهما عندما حاولتا الحصول على عمل في أحد المتاجر. وسرعان ما ساقهما شرطي الى التحقيق، ومن ثم أعيدتا مع شقيقيهما الى هيئة الرعاية الاجتماعية.

بدأت ليزي تتحول مشكلة كبرى بالنسبة الى القيمين على هيئة الرعاية الاجتماعية. وكانت وضعت مجدداً في عهدة والدها، فلجأت الى أساليب متنوعة لتخفيف وطأة الاجواء الخانقة التي سادت المنزل. وكانت تمضي الليالي، وبضعة أيام متتالية أحياناً،

في اسطبل قديم أو منزل مهجور. وكانت، إذْ دعت الحاجة، تنام في سيارة تجدها غير مقفلة.

في تلك الفترة بدأت ليزي تتعاطى الكحول والماريوانا.

وذات يوم التقت امرأة اسمها ماري ألن ميهالشك شكلت مرتكز استقرار في حياتها. تقول ماري: "عندما التقيت ليزي للمرة الاولى كانت كدمات زرقاء وسوداء تغطي وجهها. وهي دخلت منزلنا مع احدى بناتي ولم تكن تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها. كانت ليزي فتاة غير عادية تتسم بود بالغ وطمأنينة لافتة، تحب التحدث مع البالغين وتتمتع بغنى روحي لافت. وهي أهدت الي تمثالا خزفياً اشترته بمال جنته من عملها، وما زلت احتفظ به."

وتضيف ماري: "لقد تعرضت ليزي يوم التقيتها لضرب مبرح. لكنها أصرت على أنها لم تصب بأذى، وأن لا داعي الى القلق. ما زلت أرى تينك العينين الزرقاوين ترمقانني من وجهها المتورم وهي تناشدني ألا أقلق. ضممتها الى صدري ورحت أنشج. لكن ليزي لم تبكِ، بل حاولت مؤاساتي."

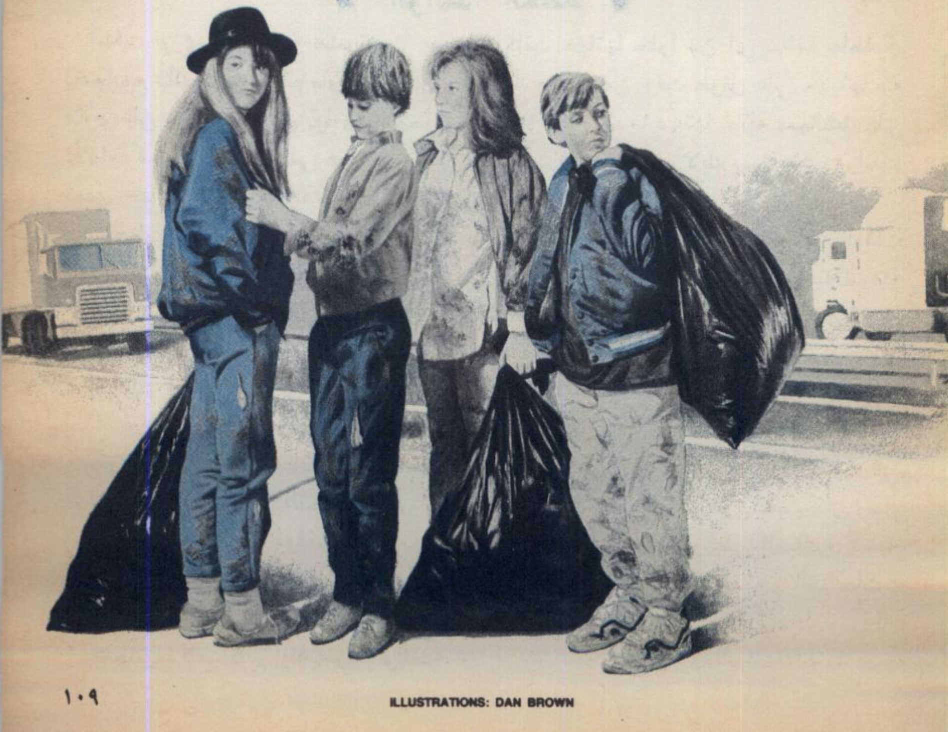

ILLUSTRATIONS: DAN BROWN

ولم تمضِ فترة قصيرة حتى حزمت ليزي أمتعتها في كيس نفايات وغادرت منزل أبيها الى غير رجعة.

صحيح أن ليزي عاشت حياة بؤس وقنوط، إلا أنها بقيت خلواً من أي أثر للمرارة. وما زالت تذكر بولع مغامرات طفولتها. لكن ما يثير العجب حقاً هو أنها لا تذكر والدها بحقد أو استياء. تقول: "أعتقد أنه لم يعرف الحب أبداً، لذلك تعذر عليه الاحساس بالحب أو منحه أو تلقيه."

عندما توطدت العلاقة بين ليزي وماري ألن ميهالشك أدركتْ هذه أن عدم اكتراث الفتاة الظاهر لما تعرضت له من ظلم كان في الواقع نابعاً من قرارها الصعب ألا تدع الآخرين يتحكمون بمصيرها، ومن تصميمها القوي على تحقيق ذاتها. وسارعت ماري ألن الى معالجة نزوع صديقتها الصغيرة الى تعاطي الكحول والماريوانا. تقول: "كنت قد زرت مستشفى يعالج فيه أطفال ولدتهم أمهات يتعاطين المخدرات. فصرفت مع ليزي وقتاً طويلا نتباحث في هذا الموضوع."

★ الوالندا العظام ★

بلغت ليزي السادسة عشرة من عمرها، وكانت حياتها خلواً من أي علاقة عاطفية. لكنها مع ذلك كانت تحلم بأن تصبح زوجة وأماً. ولم يمضِ وقت طويل على حديثها مع ماري ألن حتى تخلت نهائياً عن الكحول والمخدرات. وعندما دعتها عائلة ميهالشك الى الاقامة معها، حصلت على عمل في متجر للمثلجات في موهيغان لايك بنيويورك، وراحت تعمل ساعات طويلة وتدخر مالاً لمستقبلها.

لاحظت ليزي بنتيا مع الوقت رجلا غريباً يحوم حول متجر المثلجات في أوقات الصباح. وتذكر: "دأب الرجل على مراقبتي عن كثب. كان بادي الهدوء. وخلته للوهلة الاولى غريب الاطوار، اذ كان يأخذ مني فنجان القهوة ويطيل التحديق الي. وأخيراً قررتُ التكلم اليه."

تبادلت ليزي والرجل الغريب حديثاً ودياً قصيراً، لكنها ظلت ترى في تحديقه اليها أمراً غريباً.

في وقت لاحق من ذلك النهار سمعت ليزي صدح موسيقى ورأت جمهرة تحلقت في موقف سيارات المركز التجاري القريب. وكانت الانظار متجهة الى فوق حيث كان رجل يسير على سلك عال. فوقفت ليزي تراقب الرجل مفتونة وهو يسير على السلك برشاقة وثقة. ولما دنت أكثر تبين لها أنه ذاك الذي دأب على التردد الى متجر المثلجات.

فسألت امرأة وقفت الى جانبها: "من هذا الرجل؟"

فأجابت المرأة: "إنه من الوالندا."

فهتفت ليزي: "حقاً؟ من هم الوالندا؟"

في تلك اللحظة ضج الجمهور هاتفاً للرجل الذي وصفه مذيع هناك بأنه "الوالندا العظيم صاحب الاداء الذي لا يصدق."

كان ستيف والندا سليل عائلة امتهنت الألعاب البهلوانية وفتنت العالم بعروضها الجريئة طوال قرنين. كان صاحب عضلات مفتولة وجسم مكتنز وعينين سوداوين ثاقبتين وابتسامة ودودة، وقد أدرج اسمه في "كتاب غينيس للارقام القياسية."[١] وكان من أعماله الفذة عبوره شلالات فيكتوريا على سلك رفيع، وسيره على الحبل الاعلى لجسر "باي بريدج" بين سان فرنسيسكو وأوكلاند الذي يعلو ٢٣٠ متراً فوق الماء. ولربما كان أعظم عروضه "سباق الموت" الذي سار فيه على سلك رُبط بين سيارتين انطلقتا بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

وعلى مر أجيال من الاعمال الاستعراضية، حطَّمت عائلة والندا أرقاما قياسية لا حصر لها. ولا شك في أن أشهر مآثر العائلة هو الهرم السباعي الذي ابتكره كارل والندا في الاربعينات. وكان عرض "الوالندا العظام" معلماً أساسياً في سيرك الاخوة رنغلنغ وبارنوم وبايلي. وفي العام ١٩٧٨ قتل كارل اذ سقط عن سلك مشدود بين بناءين من عشر طبقات في سان خوان عاصمة بورتوريكو.

بدأ ستيف، حفيد شقيق كارل، تأدية عروض وهو في الثالثة من عمره. وكانت طفولته بهيجة أكسبتها المنافسة بين أفراد العائلة زخماً خاصاً، وهي زخرت بتجارب شملت احداها العيش مع مجموعة أسود مدربة في منزل واحد.

انحنى ستيف للجمهور بعد اكماله الجزء الاول من عرضه في بلدة موهيغان لايك. ثم طلب متطوعاً يرافقه على السلك العالي في العرض اللاحق. وفيما هو يقلِّب النظر في الجمهور المتحلق حوله، التقت عيناه عيني الفتاة الجميلة التي التقاها في متجر المثلجات. ولما أومأ اليها أشرق وجهها ابتهاجاً.

إلا أن ليزي لم تكن واثقة بنفسها على رغم ما شرحه لها الوالندا العظيم من مبادىء أساسية. تقول: "لم أكن عالمة بما أفعل. ولكن استهوتني فكرة السير على السلك." فما كان منها إلا أن خلعت حذاءها ووضعت يديها على كتفي ستيف وتبعته لا تلوي على شيء. وهي تذكر: "سرت خلفه لا أخشى السقوط ما دمت متشبثة به. ومدتني قوته البالغة بشعور من الأمان."

يقول ستيف: "علمتُ من حركتها أنها صاحبة موهبة فطرية. كانت تتمتع برشاقة وقدرة على التوازن وثقة بالنفس. وكانت ذكية بحيث خالجها الخوف قليلا. وهذه صفات أساسية يجب أن يتمتع بها كل من أراد السير على سلك عالٍ."

(١) The Guinness Book of World Records

أدرك ستيف والندا أن يومه ذاك كان الأهم في حياته. ويقول: "عندما دخلت متجر المثلجات ورأيتها، لم تكن في نظري مجرد فتاة جميلة تلفت الانظار. شعرتُ بأني رأيتها من قبل، وبأني أعرف منْ هي. ووجدتني أعرف شعرها الذهبي ووجهها ويديها وعينيها وكل ما فيها. لقد علمتُ، لحظة التقيتها، أنها ستكون لي زوجة."

لم يراود ليزي بنتيا أي من هذه الافكار، ولم تجل في ذهنها إلا الاثارة التي رافقت سيرها على السلك. تقول: "علمتُ أني اذا استطعت تعلم السير على السلك وأصبحت بهلوانة، فسأعيش أكثر المغامرات إثارة في حياتي."

★ ولادة نجمة ★

خلال الايام التالية لم يخفِ ستيف تعلقه الشديد بهذه الفتاة التي بات غير قادر على الابتعاد عنها. وبدأ القلق يساور مدير أعماله من جراء تدني قدرته على التركيز. يقول ستيف: "كنت كلما تحدثت اليها ازددت ثقة بشعوري نحوها. كانت ذكية وتتمتع بحس فكاهة رائع. لم ألتقِ يوما مكافحا مثلها."

حارت ليزي في أمر هذا المعجَب الولهان. غير أن ماري ألن حذرتها: "انه نجم سيرك، ولا يناسبك عمراً. أرجوك، لا تتورطي معه."

وبعد أيام قليلة على لقائهما الاول، وساعات قضياها يتحدثان خلال فواصل العروض وبعدها، تقدم ستيف بعرض مدهش اذ طلب من ليزي الذهاب معه الى جامايكا حيث اعتزم تقديم عرض خطر. ووعدها بأن يجعل منها بهلوانة قائلا إن تلك الرحلة ستعمق معرفتها بهذا الفن.

وتتساءل انجل اليوم: "أتراه ظنني مجنونة؟ لو طلب مني الذهاب الى نيوجرزي، مثلا، لفكرت في الأمر. لكني رفضت حتى التفكير في الذهاب الى جامايكا."

مع ذلك أحست ليزي خيبة وهي تودع ستيف. فهي ظنت أن اختيارها هذه المهنة سيفتح لها مستقبلا غنياً بالاسفار والمغامرات والاثارة. كما سلمت بأنها باتت مفتونة بهذا الرجل الموهوب الذي أصغى باهتمام بالغ الى كل كلمة تفوهت بها. لذا ساورها القلق اذ بدا لها أنها قد لا تراه ثانية.

ما ان أنهى ستيف عرضه في جامايكا حتى عاد الى نيويورك. وسمعت ليزي اعلانات دعائية عن عرض قريب له، فهرعت اليه قبل أن تتاح له فرصة للقدوم اليها.

أمضى الاثنان شهرين في لقاءات وجلسات قبالة منزل ماري ألن ميهالشك. وتقول انجل: "كان ستيف أول انسان فهم حقاً كم كنت اروم النجاح في حياتي."

أما ستيف فآمن بأن ليزي هدية مَنَّ بها الله عليه. وهو أطلق عليها يوم لقائهما الاول لقب "انجل" (الملاك). يقول: "كانت الفوضى تكتنف حياتي. فقد خرجت من حرب

فيتنام ونفسي غضبى على العالم. فأدمنت المهدئات أمزجها بالكحول. وكانت انجل صغيرة السن، لكنها كانت دائمة التفاؤل. وقد أخذت حياتي منحى ايجابياً مذ التقيتها."

واليوم، حين يستعيد ستيف ذكرى تلك الايام، ينسب الى انجل كل الفضل في خلاصه من المخدرات والكحول.

كانت انجل درية بشؤون الحياة، فآثرت ألا تخبر ستيف أنها في السابعة عشرة من عمرها، وادعت أنها في الحادية والعشرين. فتقبَّل ستيف كلامها من دون أخذ ورد. ولم تطرح مسألة العمر ثانية إلا حين ركب الاثنان القطار المتجه الى نيويورك ليتزوجا.

يقول ستيف: "لم تفسح لي انجل أي مجال للقاء والديها. فتقبلت الامر، خصوصاً أن ماري ألن كانت هي نفسها مستاءة مني فلم أشأ دخول متاهة جديدة من المشاكل مع والدي انجل."

لكن انجل عادت وأخبرت ستيف عن واقع عمرها في فورة صراحة مفاجئة وسط جلبة القطار المندفع. ولدى وصولهما الى نيويورك عمد ستيف، وقد صدمته فكرة الهرب مع قاصر، الى الاتصال بوالد الفتاة الذي لم يكن رأى ابنته أو تحدث اليها منذ سنتين. وشرح له على الهاتف أن انجل باتت لاعبة سيرك، وسأله عما اذا كان لديه أي اعتراض على ذلك.

ويذكر ستيف: "بدا والد انجل مرتكبا، وخلته يتساءل عن السبب الذي دعاني الى مكالمته. وحين أخبرته بصراحة ان ابنته هاربة مع نجم سيرك قال لي إن الامر لا يعنيه."

ضحكت انجل حين أخبرها ستيف عن تلك المكالمة. وكانت تلك المرة الاولى تسمع عن والدها مذ بلغت الخامسة عشرة. وهي تقول: "كنت سعيدة اذ وجدتني في بداية طريقي الى حياة جديدة."

عقدت حفلة القران في مدينة نيويورك، وأصبحت اليزابيث بنتيا، وهي في السابعة

عشرة من عمرها، انجل والندا، وهو اسم سيرافقها طوال حياتها. ولم تمضِ ايام قليلة حتى أصبح ستيف نجماً في عرض رعته سلطات احدى مدن نيوجرزي. في هذا العرض مشى ستيف على سلك رفيع امتد من الارض بزاوية ٤٥ درجة الى قمة رافعة تعلو ٢٠ متراً. وكان كلما فرغ من دوره الفذ يعود ليصطحب انجل ربع المسافة.

وتذكر انجل: "ضج الجمهور اعجاباً بستيف. وكانت تلك المرة الاولى يقدمني الى الجمهور بصفتي زوجته وشريكته. أحببت الانحناء للجمهور والتلويح بيديَ وسماع الهتافات. في تلك اللحظة أدركت كم ستكون حياتنا معاً رائعة."

كان شعورهما بالحب والثقة ذلك اليوم منطلقاً لاحلام شملت انجاب أولاد واستقراراً في منزل خاص وحياة على كفة الاخطار عالياً فوق جماهير هاتفة.

★ سعادة غامرة ★

لم يلبث الثنائي أن دعي الى غرب البلاد. فطوى الزوجان المسافة الى كاليفورنيا في سيارتهما. كانت انجل في مستهلّ حياة جديدة، ولكن لم يخامرها شك في أن خطاها مقودة بالروح اياها التي لازمتها على الدوام. ومع ذلك كان خلودها الى النوم في ساعة متقدمة من الليل في فنادق نظيفة قفزة نوعية لا سبيل الى مقارنتها بالعيش في خيمة رثة على جانب الطريق الرقم ٩٥.

أمضى الزوجان عشرة أيام في الطريق، وكانا يتوقفان بين حين وآخر ليشاهدا مناظر ومعالم لم تعرفها انجل الا سماعاً. رأيا النبتة الدوارة[٢] في تكساس وبقر الوحش في نيو مكسيكو وسد هوفر على نهر كولورادو. أما أكثر المشاهد إثارة للاحاسيس فكان الفقر المدقع في احدى محميات الهنود الحمر.

تقول انجل التي لم تكن رأت البحر من قبل: "كان المحيط الهادىء أروع مشاهداتي. وقد قفزنا الى مياهه وسبحنا ولعبنا. فشعرت اذذاك بحرية قصوى لمجرد قدرتي على الارتماء في الماء من دون أن أصاب بأذى."

بعد قضاء بضعة أشهر في لوس انجلس، انتقل الزوجان الى بيغ بيرسيتي الواقعة في الجبال على مسافة ساعتين ونصف ساعة في السيارة من الشاطىء. وكان هدفهما العمل على اتقان مجموعة من ضروب السير على الاسلاك كي تتمكن انجل من الانضمام الى عروض ستيف. وعلى مقربة من بيتهما الجديد هناك، وجد ستيف شجرتين عاليتين ربط بينهما سلكاً يعلو متراً واحداً عن الارض.

إن بعض مهارة البهلوان ايحاؤه أن المشي على الاسلاك أمر سهل. لكنه في الواقع ليس سهلاً. فلقد احتسب ستيف وزن انجل وطول قامتها، فقدَّر أنها تحتاج الى قضيب

(٢) Tumbleweed

توازن يزن ١٥ كيلوغراماً. فاذا أخذنا في الاعتبار ساعات التمرين الطويلة التي أمضتها انجل ماشية على السلك حاملة هذا القضيب الثقيل طوال الوقت، لادركنا مدى الجهد الذي بذلته. وتشرح انجل الامر: "من الخطأ حمل قضيب التوازن في وضع مريح، اذ من الضروري أن تحمله أمامك ويداك نصف ممدودتين."

ما إن أتقنت انجل السير على السلك بيسر حتى بدأت ممارسة تمارين تمكنها من الجثوم والجلوس على السلك براحة تامة. وكان هدفها الاول تعلُّم تتبع خطى ستيف وتسلُّق كتفيه برشاقة. وعلى رغم طولها البالغ ١٦٥ سنتيمتراً، أي ما يفوق قليلا الطول المثالي لهذه الحركة، فقد أتاح ستيف تحقيق هذه الغاية بما أوتي من قوة جسدية.

تقول انجل: "عندما أتقنت السير على علو متر واحد رفع ستيف السلك ثلاثة أمتار. فوجدت نفسي كمن يبدأ من جديد. إنه لأمر لا يصدق كيف ينظر المرء الى أسفل فينسى كل ما تعلمه."

وقد تعرضت انجل للانزلاق غير مرة، فكانت تتشبث بالسلك كي لا تسقط. وهي لم تسقط مرة.

وعلى رغم صعوبة تلك المهنة فقد عاشت انجل سعادة غامرة. تقول: "كنت أتعلم تقنيات جديدة كل يوم. فأحببت عملي وكل ما فيه."

إلا ان انجل بدأت تعاني مشكلة جانبية لازمتها أشهراً. كانت تشكو من انزعاج في صدرها رافقه احساس بأن رئتيها تمتلئان بمادة سائلة. وتحول قلقها ذعراً حين وجدت نفسها تبصق دماً كلما سعلت. اذذاك لم تجد بدأ من استشارة طبيب. وبعد المعاينة واجراء فحوص مخبرية متنوعة شخَّص الطبيب أنها حامل.

قالت انجل للطبيب: "هذا رائع. ولكن أليس هناك أمر آخر؟ ماذا عن بصقي الدم؟"

فشرح لها الطبيب أن ذلك قد يكون ناتجاً من تمزق شريان صغير في رئتيها، وطلب منها ألا تقلق. فعادت مع زوجها الى البيت لمواصلة التمارين والاستعداد لاستقبال المولود الجديد.

تقول انجل: "أثارتني فكرة انجاب طفل، لكني شعرت بأن ثمة خطباً."

واصلت انجل ممارسة التمارين القاسية. ومع الوقت ساورها قلق حيال اصابة قديمة في كاحلها الأيمن عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها. بدا الامر وقتئذ مجرد التواء أليم، لكن السيدة التي كانت وصية عليها آنذاك اتهمتها بالكذب ولم تأخذها الى طبيب. ومنذ ذلك الوقت وانجل تداري كاحلها الأيمن.

ولكن كان ثمة أمر غير عادي في اصابة انجل. فقد بقي الجلد سليماً، ولكن تكونت في مقدَّم الكاحل – فوق حد الحذاء تماماً – كتلة مطاطة كانت كلما تعرضت لضربة، وإن طفيفة، تسبب لها ألماً شديداً يدوم ساعات أحياناً.

وفيما انجل تعيش حياتها الجديدة ازدادت اصابتها القديمة سوءاً على نحو مقلق. كما أنها استمرت تبصق دماً. ولم تبين صور الاشعة السينية (إكس) أي خلل في كاحلها أو صدرها. فنصحها الاطباء باستشارة اختصاصي اذا ما استمرت حالها هكذا بعد الولادة.

إلا ان انجابها ستيفن والندا الثاني زادها قلقاً. تقول: "أخبرني الاصدقاء أن شغفي البالغ بابني سيخف سريعاً. لكن ذلك لم يحصل. وبلغ من ولوعي به أنني كنت أسجل صوته على أشرطة. لقد أكمل ستيفن حياتنا."

★ خبر فاجع ★

لم يمضِ وقت طويل على ولادة ستيفن حتى عاودت انجل التمارين. وكانت تصطحبه معها، فتضعه في مهد الى جانب السلك. وراح الزوجان يخططان لعروض جديدة. لكن برنامجهما القاسي لم يثنهما عن استشارة عشرات الأطباء الاختصاصيين. لكنهما لم يجدا جواباً شافياً.

أخيراً بلغ الغضب من انجل حداً جعلها تحمل سجلاتها الطبية وتقتحم غرفة الطوارىء في المركز الطبي لمقاطعة سان برناردينو. وهناك أعلنت أنها لن تغادر المبنى قبل أن يشخص الأطباء مرضها.

واذ لفت عنادها اهتمام الاطباء، أصغوا بعناية الى قصتها، ثم اقتطعوا من كاحلها عينة أرسلوها الى عيادة مايو لاجراء فحوص عليها. فما كان من القيمين على العيادة إلا أن طلبوا عينة أخرى من موضع أعمق استلزم استئصالها تخديراً عمومياً. وعندما صدرت النتيجة حملت خبراً أليماً مفاده أن انجل مصابة بنوع نادر من سرطان الخلايا المغزلية[٣] استدعى بتر ساقها تحت الركبة مباشرة، وذلك في أواخر أغسطس (آب) ١٩٨٧.

يقول ستيف ان زوجته لم يرفّ لها جفن وهما يتداولان أمور المستقبل. فقد أخبرها الاطباء أن عليها ألا تتوقع أبداً العودة الى مهنتها. كذلك كان رأي أقرباء ستيف، وهم الخبراء في فن السير على الاسلاك. وقال لها أحدهم: "لا فائدة من المحاولة يا انجل، فالامر مستحيل."

أجمعت الآراء على أن عودة انجل الى مهنتها أمر غير ممكن أبداً، لأن السير على سلك يتطلب احساساً مرهفاً في القدمين ومرونة تامة في الكاحلين.

وبعد فترة انتظار حصلت انجل على ساق اصطناعية. ثم أمضت أشهراً تخضع لعلاج فيزيائي مستعينة بعكازين أولا ثم بعصا. وأخيراً نجحت في السير على ساقها

---

(٣) Spindle cell cancer called leiomyosarcoma

... ٩٢٪. وقال ان اجهزة الامن لديها قاعدة معلومات كاملة عن التنظيمات الارهابية فى الداخل والخارج، واضاف ان الحالة الامنية فى مصر هادئة ومستقرة وقد استضافت القاهرة خلال الاشهر القليلة الماضية ١٣٠ مؤتمرا عالميا شارك فيها ممثلون من كافة دول العالم. كما ان السياحة الوافدة الى مصر تزايدت بشكل كبير.. مما رفع نسب الاشغالات بالمنشآت السياحية الى معدلات كبيرة.

جاء ذلك فى الحوار الفكرى المفتوح الذى دار بين الوزير وبين ممثلى شباب ١٢ جامعة بمعسكر اعداد القادة بحلوان مساء أمس الأول.

فى بداية اللقاء أكد الدكتور عبدالحميد شلبى مدير معهد اعداد القادة ان شباب مصر بكل فئاته عامة وشباب الجامعات خاصة يساندون جهاز الأمن. ويقفون الى جوار رجاله فى معركتهم العادلة لصون أمن مصر، ثم بدأ الحوار بين شباب جامعات مصر وبين اللواء حسن الالفى وزير الداخلية فى البداية القى الوزير كلمة موجزة اشار فيها الى طبيعة عمل جهاز الأمن ودوره واختصاصاته القطاعات الأمنية المتعددة التى تفرع عن جهاز الأمن واعلن الوزير ان اجهزة الامن حققت نسبة ضبط ... القضايا ...

كل يوم

عليك بتقوى الله إن كنت غافلاً
يأتيك بالأرزاق من حيث لاتدرى
فكيف تخاف الفقر والله رازق
فقد رزق الطير والحوت فى البحر
ومن ظن الرزق يأتى بالقوة
ما أكل العصفور شيئا مع النسر
تزول عن الدنيا فانك لاتدرى
اذا جن عليك الليل هل تعيش الى الفجر
فكم من صحيح مات من غير علة
وكم من سقيم عاش حينا من الدهر
وكم من فتى أمسي وأصبح ضاحكا
وأكفانه تنسج فى الغيب وهو لايدرى
فمن عاش ألفا أو ألفين إنه
لابد من يوم يسير الى القبر

●●●

هذه الكلمات ليست من تأليفى ولا أعرف من قائلها ولا المناسبة التى نظمت فيها.. ولكنها كلمات قرأتها فى قصاصة ورقية موضوعة تحت زجاج أحد مكاتب صالة التحرير بالأخبار.. والغريب أننى كلما مررت بعيونى على مفردات هذه الكلمات.. دارت فى خلدى معان جديدة لها.. كلها تدور حول الرزق وكيف انه بيد الله وحده.. وأنه لابخل لمخلوق فى عطاء الخالق.. وأن الأرزاق كلها معلقة بالله.. ولكننا - وا أسفاه - ننسى وسط زخم الحياة وضعف ايماننا هذه الحقيقة والتى أكدها القرآن الكريم: «وفى السماء رزقكم وماتوعدون».. وهناك قضية العمر والموت.. وكلها حقائق محسومة ومحسوبة بأدق تفاصيلها وحساباتها.. ولكنن لانريد تصديق هذا.. وننكر أن الحياة لاتدوم وأن الموت قاد لامحالة.. وأن الصحة والمرض لاصلة لهما بطول العمر أو قصره وننسى أن رحلة الحياة قصير مهما طالت أيامها.. وأننا جميـ سائرون الى القبر!!

●●●

الاصطناعية. وكانت طوال هذه الاشهر تفكر تكراراً في ما قد تحسه اذا ما جربت السير على سلك، وهي تعلم أن أحداً لم ينجح في ذلك من قبل. لكن معرفتها تلك لم تمنعها من تنفيذ الخطوات في ذهنها مئات المرات.

أما الناحية الايجابية التي رأتها انجل في كل ذلك فكانت أن جسدها - كما أخبرها الاطباء - بات خلواً من المرض العضال.

بعد أربعة أشهر من بتر ساق انجل وعودتها الى بيتها وجدت نفسها على أهبة لمحاولة المستحيل: السير على سلك بساقها الاصطناعية.

وقف ستيف تحت السلك يراقب محاولتها الاولى عن كثب. ووقفت انجل بتؤدة على السلك، ثم أخذت تتقدم ببطء مراقبة قدمها الاصطناعية في كل خطوة.

تقول: "تطلب مني الامر تركيزاً يفوق التصور، لأن السير على الاسلاك يتطلب أن يبقى المرء متوتراً ولكن مرتاحاً في آن، كما يحتاج الى رشاقة ولباقة مميزتين. وكنت أحاول أن أتذكر دائماً أن عينيَّ، لا قدميّ، هما المرتكز الذي يتحكم ببقائي متوازنة فوق السلك."

وما ان بلغت انجل الطرف الآخر من السلك حتى هتف ستيف جذلا. لكن انجل لم تخط الى المنصة، بل وقفت في مكانها ثم استدارت عائدة من دون أن تهمل التدقيق في كل خطوة بقدمها الاصطناعية. فلبث ستيف في مكانه صامتاً. وعندما بلغت انجل منتصف المسافة وقفت على قدم واحدة وهي تنظر الى زوجها القابع تحتها. وما ان تلاقت نظراتهما حتى فاض محياها بابتسامة رضى ومحبة وثقة.

عندما عاد الزوجان الى بيتهما ذلك المساء شعرت انجل بألم يخترق صدرها.

وثقل تنفسها حتى كاد يتوقف. فنقلها ستيف الى غرفة الطوارىء حيث شخَّص الاطباء أن احدى رئتيها توقفت عن العمل. فسألتهم انجل إنْ كان لذلك علاقة ببصق الدم. فنفوا هذا الاحتمال. ثم شرحوا لها أن انهيار رئتها هو في الواقع حادث عرضي قد يصيب أي انسان يمارس نشاطاً جسدياً مرهقاً. وسرعان ما نفخوا رئتها بالهواء وباشروا اجراء الفحوص اللازمة.

شاركت انجل في غرفتها في المستشفى مريضة اسمها دارلين وايت وعمرها ٣٣ عاماً. وعلى مدى يومين راحت المريضتان تتبادلان أطراف الحديث وتقارنان بين حياتيهما. وقد شُدهت وايت لشجاعة انجل ولباقتها، وكانت وقتئذ في التاسعة عشرة من عمرها. وأكثر ما أدهشها انفتاح الشابة وطيبتها ورغبتها الصادقة في الاصغاء الى قصة حياتها.

قبعت انجل تنتظر ظهور النتائج وهي في الواقع عالمة بحقيقة مرضها. تقول وايت: "لم تكن انجل خائفة من سرطان الرئة، بل بَرِمة من انتظار التشخيص وتواقة الى الشروع في ما يرتئيه الاطباء من علاج. وكانت ثمة قوة بحتة في اصرارها على أن السرطان لن يقوى على تحطيم حياتها التي أزمعت على ملئها بكل ما لديها من قوة. واني على ثقة بأنها عنت كل كلمة قالتها."

بعد ثلاثة أسابيع على عودة انجل الى بيتها تعطلت رئتها مجدداً. فأدرك أحد الاطباء أن العلة قد تكون ناتجة من سبب آخر. ونقلت انجل الى مركز "مدينة الامل" الطبي حيث أخضعت لفحوص جديدة.

وسرعان ما أعلن الاطباء أن انجل مصابة بالسرطان. وعمدوا الى اقتطاع نصف رئتها اليسرى. وبعد ثلاثة أشهر أُخضعت لجراحة جديدة اقتطع فيها جزء من رئتها اليمنى.

استعادت انجل عافيتها بعد أسابيع مضنية من العذاب اقترن فيها الألم الجسدي بالاحباط الناجم عن عجزها عن العناية بزوجها وابنها والغيظ من لامبالاة الاطباء الذين عاينوها من قبل. إلا أنها، كما قال ستيف، لم تظهر ما اعتمل داخلها من مرارة.

وما ان حل شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٨ حتى رزحت العائلة تحت وطأة الفواتير الطبية الهائلة، خصوصاً لأن ستيف انقطع عن العمل بسبب مرض زوجته.

فكيف لشابة في هذا العمر اليانع أن تتغلب على عقبات ومصاعب كهذه؟

تقول انجل: "عدت بالذاكرة الى تلك الرؤيا التي طالعتني وأنا طفلة، ومدى ما منحَتْنيه من ثقة بالنفس. فارتاح قلبي وآمنت بأن السرطان الذي أصابني قد ولى. كنت متفائلة بصدق، فالتشاؤم مضيعة للوقت والطاقة. ووثقت بأني قادرة على تحقيق أقصى ما يمكن من نتائج ايجابية. ولم يخالجني أي شك في أني لا بد عائدة الى الاسلاك."

درج الزوجان على وضع "حظيرة" ابنهما ستيفن والندا الثاني الى جوار التجهيزات التي كانا يمارسان تمارينهما عليها. وكان الطفل، حتى قبل أن يقوى على المشي، يقلد حركات والديه ويصرخ جذلاً كلما ناداه أبوه من فوق السلك أو رفعته أمه لتضمه الى صدرها.

وعندما بلغ ستيفن شهره الحادي عشر بات قادراً على النهوض مستندا الى جوانب حظيرته النقالة، ثم يفلتها ليقف وحده في وسط الحظيرة. وسرعان ما بدأ المشي متجاوزاً مرحلة الدبيب كلياً، وصار يلعب على الارجوحة أمام الجمهور ليصبح "أصغر بهلوان في العالم."

كان ارتفاع سلك التدريب الاسفل لا يتجاوز متراً، فلم يمضِ وقت طويل حتى تمكن والندا الصغير من السير عليه ماداً احدى يديه جانباً وممسكاً بالاخرى يد والدته. تقول انجل: "ربما بدا ذلك ضرباً من الجنون، لكن ستيفن كان يسير على السلك براحة كادت تضاهي سيره على الارض."

★ في خضم المخاوف ★

في يوليو (تموز) ١٩٨٨ عادت العائلة الى نيويورك بعدما أنهكتها الصعوبات المادية، ومكثت مع أقارب. وسرعان ما عاد الزوجان الى التمارين المكثفة.

يتطلب السير على الاسلاك قدرات جسدية هائلة. فقضيب التوازن وحده — ٣٠ كيلوغراماً لستيف و١٥ كيلوغراماً لانجل — هو في ذاته عبء يسبب للعضلات ألماً وتشنجاً. أما التوازن فيتطلب تركيزاً فائقاً يتناول احتساب الريح وترجُّح السلك ومدى استقرار عمود المنصة. واذا ما سار على السلك شخصان أو أكثر، فعلى كل منهم أن يتآلف كلياً وأي حركة فردية يأتيها كل عارض آخر.

أما السؤال الصعب فهو الآتي: هل تستطيع انجل الاضطلاع بهذا الدور على رغم ضمور سعة رئتيها الى النصف؟

كان عليها، في الواقع، أن تحتسب مقدار ما تستهلكه من هواء ومدى قدرة جسدها على حملها قبل أن ينهار. وهذا أمر يماثل الاضطرار الى التمهل لالتقاط النفس في منتصف المسافة التي اعتاد المرء أن يجتازها راكضاً بيسر. وكانت تلك مفاجأة خطرة بالنسبة الى انجل وهي تسير على الاسلاك العالية.

والى ذلك، كانت انجل كلما أرهقت نفسها بالتمارين تشعر كأن عضلات صدرها تتمزق. وشرح لها الاطباء أن هذا الاحساس ناجم عن ابتناء عضلات ظهرها وصدرها التي جُرِّحت واجتُزت خلال الجراحة. وكانت انجل ما زالت عاجزة عن رفع يديها فوق رأسها. وهي لم تعد تشعر بألم، ولكن أقلقها كثيراً احساسها كأن قفصها الصدري

فارغ. وهو شعور كان يرهبها ويذكرها على الدوام بانها فقدت جزءاً كبيراً من رئتيها.

كل ذلك، اضافة الى أنها تمشي على ساق اصطناعية، جعل هدفها معوقاً بتحديات فاقت التصور. إلا أن انجل وجدت أن الوقت حان لتسير منفردة بعد تمارين دامت مئات الساعات. وذات يوم وقفت على المنصة استعداداً للسير على سلك علا أربعة أمتار وامتد مسافة عشرة أمتار. ثم أخذت نفساً عميقاً فيما وقف ستيف تحتها ليرشدها الى المواقع الصحيحة التي ينبغي أن تطأها بقدمها اليمنى.

في تلك اللحظة أحست انجل للمرة الاولى في حياتها بخوف جمَّد أوصالها وشلَّها عن الحركة. وجالت بفكرها أفكار عن مدى ما لا تعرفه عن ضعفات جسدها وعن أناس يموتون أو يُشلّون لدى سقوطهم من ارتفاع أربعة أمتار.

وقفت انجل على المنصة ساعتين محاولة استجماع شجاعتها. ومرت برهة ظنت خلالها أن نوبة قلبية أصابتها. وزعمت لزوجها تكراراً أن الريح تهب بعنف وأنها تعاني تعباً بالغاً. وبلغ منها الخوف حداً جعلها تتذمر حتى من نباح كلب بعيد.

وعندما خطت على السلك أخيراً خالفت قاعدة رئيسية بتحركها على نحو متقطع وتوقفها تكراراً مما جعلها تنوء بثقل قضيب التوازن. وبعد لأي دام ٢٥ دقيقة نجحت في اجتياز السلك. ثم نزلت عن المنصة مجهدة يهدها الارهاق، وارتمت بين ذراعي ستيف تبكي وتضحك في آن.

★ نعمة الامل ★

عندما استعادت انجل قواها مع الوقت أحست بالثقة تتوهج مجدداً في كيانها. وهي تقول: "جنيت طوال حياتي ثمار تفاؤلي وتصميمي. وكنت في أعماقي مؤمنة بأني سأجتاز هذه المحنة بنجاح. ولكم كان رائعاً أن أرى ذلك يتحقق مجدداً."

بحلول أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨، بعد ستة أشهر على الجراحة الاخيرة، بلغت مهارة انجل في السير على السلك حداً جعل احدى محطات التلفزة في كاليفورنيا تقدمها في برنامج خاص أدهش الحضور في الاستديو والمشاهدين قاطبة. وبدأت انجل عرضها بالسير على سلك في اتجاه ستيف الذي وقف ينتظرها على المنصة المقابلة. وما ان وصلت الى هناك حتى انكفأت عائدة وسارت على السلك متتبعة خطى ستيف. ثم تسلقت الى كتفيه. وقبل بلوغ الثنائي المنصة المقابلة نزلت انجل عن كتفي زوجها وعبرت المسافة الفاصلة ويداها على كتفيه، تماماً كما فعلت في عرضهما الاول.

تجاوز نشاط ستيف وانجل عالم الاستعراض ليشمل مساعدة الآخرين عبر مؤسسات مثل "الجمعية الامريكية للسرطان" و"مركز مدينة الامل الطبي." وعادت

السعادة الى حياتهما، خصوصاً بعدما وجدت انجل نفسها منهمكة في مهمة كبيرة جعلت من حياتها قدوة يحتذيها الآخرون.

تمكنت انجل بفضل التغطية التلفزيونية والصحافية من بلوغ ملايين المشاهدين وزرع الامل في قلوب الالوف ممن قهرتهم الحياة. فكتب اليها كثيرون رسائل وبطاقات شكر تحدثوا فيها عن تجاربهم متمنين لها الصحة والتوفيق في مساعيها. وهكذا باتت تلك الفتاة المشردة مرشدة للآخرين تقود خطاهم خارج وهدة اليأس والضياع.

ومن هؤلاء رينه رومل (١٧ عاماً) التي كانت تعاني كآبة طاغية بعد بتر ساقها في حادث دراجة نارية. كانت رينه غارقة في حزنها وقنوطها، وذات يوم وضع أحد الاصدقاء في يدها مقالا نشرته احدى الصحف عن انجل والندا. فقرأته رينه وهي تكاد لا تصدق ما ورد فيه، حتى انها أعادت قراءته ست مرات. وهي تقول: "كانت حال انجل تفوق حالي سوءاً، لكنها صممت بعزم ثابت على مواصلة حياتها غير عابئة بالصعوبات. ويوم قرأت عنها علمت أني سأكون بخير."

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٩، بعد سبعة أشهر على عودة انجل الى السير على الاسلاك، عاد الألم يحز في صدرها وعادت تبصق دماً. وللحال قصدت أحد الاطباء في نيويورك وأخبرته خشيتها من أن تكون علة رئتيها عاودتها. ولكن صعقها قول الطبيب أن لا أهمية للاعراض التي أحستها.

انتقلت العائلة الى جبال بنسلفانيا الوسطى حيث التقت انجل، وقد نفرت من أطباء المدينة، طبيباً محلياً أصغى باهتمام بالغ الى كل ما قالته وأجرى لها فحوصاً جديدة، ثم أكب على دراسة ما توافر لديه من معلومات. وسرعان ما اتضح له أن الورم السرطاني عاد الى رئتيها.

ونتيجة مشاورات أجراها جراحون من بنسلفانيا مع الفريق الطبي الذي عالج انجل في مدينة الامل، قر الرأي على ضرورة اجراء جراحة جديدة يستحسن أن تتم في كاليفورنيا وعلى أيدي الاطباء الذين عالجوها سابقاً. وقضت الخطة الاولية باقتطاع جزء كبير من رئتيها بحيث يتحتَّم وصل انجل الى جهاز أوكسيجين على نحو دائم كيما تستطيع العيش.

تقول انجل: "كان الخبر الجيد في كل ذلك امكان انقاذ حياتي. وكنت واثقة، على رغم اقتطاع جزء من جسدي، من قدرتي على القيام بأعمال نافعة ما دمت حية."

ملأت هذه الروح الرائعة قاعة العرض في جامعة مانسفيلد في شهر مارس (آذار) ١٩٩٠. وكان الزوجان والندا عادا الى العمل من أجل جمع المال اللازم لرحلتهما الكئيبة الى كاليفورنيا.

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مش

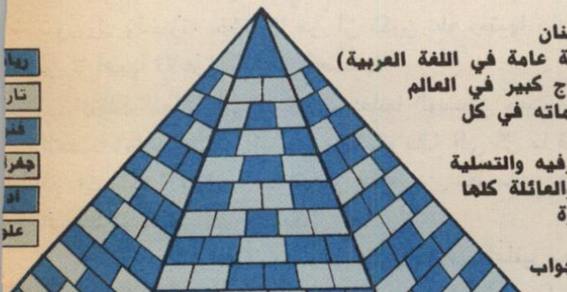

- هرم المعرفة: صممت وانتجت في لبنان
- هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

هرم المعرفة مسجلة في لبنان - جميع الحقوق محفوظة ١٩٨٧

وكانت انجل كعادتها تختلط بالجمهور بعد كل عرض وتتحدث الى كل من تلتقيه بمحبة وحنان. فكيف استطاعت هذه الشابة استمالة الناس بمثل هذا الدفء وهي تنوء تحت وطأة المرض العضال؟

حين سئلت انجل عن ذلك أطرقت للحظة في تفكير حالم، وهدأت عيناها الزرقاوان الكبيرتان واستكانت حركاتها ثم قالت: "عندما أقف عالياً وأسير على السلك بساقي الاصطناعية ينظر إليّ الناس باهتمام حقيقي ويرون أني أبذل قصارى جهدي لأعيش حياتي بأفضل ما أوتيت. وعندما يفكر الناس في ذلك يعمدون الى التفكير في أنفسهم، ويكتشف بعض منهم كيف يستطيعون العيش على نحو أفضل."

وما ان فرغت انجل من كلامها حتى دبت الحياة مجدداً في عينيها وعاد المرح والحماسة الى صوتها. ثم أضافت بصدق طفولي: "لهذا أفعل ما أفعل. ولربما كان ذلك الهدف الرئيسي من وجودي هنا."

★ "لن أبقى هنا" ★

انطلقت انجل في رحلتها الى كاليفورنيا مقودة بوعد خالج نفسها بأن الأطباء سيتمكنون أخيراً من القضاء على المرض القاتل الذي ألمَّ بها طويلا. وكان أطباء مركز مدينة الامل ينتظرون قدومها. وفي يوم الجمعة الموافق ١٦ مارس (آذار) التقت انجل أحد جراحيها، وأسعدها ما أبداه من تفاؤل فاق توقعاتها. ومع أن الجراح حدد لها برنامج فحوص شاملا، إلا أنه أضاف أن النتائج قد تكون أفضل مما تظن.

كان لهذه التوقعات المشجعة وقع رائع في نفس انجل وستيف وابنهما عندما خلدوا الى الراحة مساء في غرفتهما في الفندق. فلقد بات محتملا أن يُستأصل الورم السرطاني من دون اقتطاع جزء كبير من رئتي انجل بحيث لا تضطر الى الاعتماد على جهاز الاوكسيجين.

أمضت انجل ساعات خاضعة للفحوص. ثم رُفعت النتائج الى لجنة أطباء السرطان في المستشفى لاقرار ما يجب أخذه من اجراءات.

وفي اليوم التالي توجه أفراد العائلة الثلاثة الى عيادة الطبيب لتبلُّغ النتائج. فجلس الطبيب مرتدياً بزة الجراحة، ثم نظر بكآبة الى انجل وقال: "لا سبيل الى اجراء جراحة. فالسرطان انتشر في رئتيك، وليس هناك ما نستطيعه."

فران على الغرفة صمت ثقيل.

ثم سألته انجل: "ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟"

فشرح لها الطبيب ماهية العلاج الكيميائي قائلا إن في وسعه تحديد موعد لها لاستشارة مجموعة اختصاصيين. وأضاف أن احتمال ابطاء امتداد السرطان قد

يراوح بين ٣٠ و٤٠ في المئة. ثم حدثها عن حالات نجح فيها العلاج على رغم أنه قد يسبب أعراضاً جانبية و...

وكانت انجل ألفت مثل هذا الكلام.

فقالت: "لن أخضع لأي من هذه العلاجات." كان واضحاً لها أن الوقت حان لتتكل على نفسها مجدداً، مقودة بالروح القوية اياها التي أرشدتها في طفولتها. فشكرت الطبيب قائلة: "سأغادر المستشفى وأعود الى بيتي وأحيا حياتي."

عادت انجل وعائلتها الى الفندق حيث قبعت مصعوقة بالنبأ. لا أمل طبياً لها!

وسرعان ما عادت تستجمع قواها النفسية والعاطفية، فوقع نظرها على دزينة من الورود الحمراء متروكة على طاولة الزينة في الغرفة. فابتسمت وهي تراجع في فكرها أحداث الصباح. فقبيل مغادرتها الغرفة لملاقاة الطبيب في المستشفى، رن جرس الهاتف وتحدث اليها مدير الفندق يونغ كانك داعياً العائلة الى موافاته في البهو حيث قدم الى انجل ورداً أحمر وقالب حلوى مزداناً بشموع لمناسبة عيد ميلادها الثاني والعشرين.

ذات يوم من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ وقفت انجل أمام منزل العائلة على احدى قمم جبال أليغني في بنسلفانيا تساعد ابنها على ارتقاء منصة سلك المشي. واذ جالت بنظرها في الغابات المجاورة تلألأت لها الاشجار بألوان الخريف الذهبية، وأطلت الشمس بنورها الدافىء مضيفة الى شعر الام والابن شقرة ذهبية. كان ستيفن والندا الثاني في عامه الرابع، وقد بدأ السير على السلك قبل سنة وأدى عروضاً مع والديه أمام ألوف المشاهدين مربوطاً بحبل نجاة. لكنه في ذلك اليوم الخريفي شاء أن يسير على السلك منفرداً من دون حبل يقيه السقوط أو شبكة تتلقفه. ولما كان علو السلك لا يزيد على ١٢٠ سنتيمتراً فقد وافق والداه على ذلك.

وقف ستيف الى الجانب الآخر من السلك الممتد مسافة تسعة أمتار يراقب ابنه ويرشده بلطف صارم الى أصول امساك قضيب التوازن البالغ وزنه سبعة كيلوغرامات. وكان ستيفن صبياً ذكياً مفعماً بالنشاط والحيوية. وفجأة شد عضلات وجهه وصرم شفتيه بغرابة يندر أن تنم عن وجه طفل ناعم. ثم سار منقِّلاً قدميه الصغيرتين على السلك بخطوات صحيحة فيما قضيب التوازن يتمايل بين يديه متناغماً مع حركاته.

لم يعترِ تركيز ستيفن أي شائبة، غير أنه كان ممتعضاً من والدته التي كانت تسير وراءه احتياطاً على نحو مسَّ كرامته. كانت حركات الصبي متناغمة تماماً وقوى الطبيعة، كمثل النسر الذي عبر قبة السماء الزرقاء فوقه وجناحاه يتمايلان بانسجام طبيعي مع هبوب الريح. كانت الميزات الوراثية الكائنة في حنايا هذا الصبي هي اياها التي قادت حركة أسلافه من أبناء الوالندا طوال قرون.

المختار

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١٩٩٢/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١
اربعة اعداد اضافية مجاناً
مع كل ١٢ عدداً.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهراً) يتلقى
١٦ عدداً خلال ١٦ شهراً
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٤٥ دولاراً امريكياً،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العنوانين المذكورين
خلف هذه القسيمة.

الاسم ____________

____

العنوان ____________

____

التاريخ ____________

التوقيع ____________

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France

الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

وعندما بلغ ستيفن نهاية السلك صفق له والداه استحساناً. فارتسمت على محياه ابتسامة كبيرة، وهرعت انجل تضمه وتقبله بسعادة قبل أن ينفلت منطلقاً لملاعبة كلب العائلة.

شرحت انجل لابنها انها مقبلة على الموت. وهي تقول: "كنت كلما تحدثت إليه في هذا الامر أراه يزداد فهماً للواقع. كنت أخبره عن كل شيء ببساطة، ثم أتيح له طرح الاسئلة. تحدثت إليه عن الله، عز وجل، وعن السماء، الى أن فهم الوضع تدريجاً."

يدرك ستيفن أن والدته، وإن تكن لا تشكو من شيء، مصابة بعلة بالغة في جسدها. وهو يشرح أن السرطان يمتد من صدرها الى قدمها. ودفعته هذه الاعتبارات الى سؤالها مرة: "حين تموتين يا أمي، هل تحصلين على جسد جديد؟"

فأجابته انجل: "نوعاً ما. لكني لن أبقى هنا."

وكان ستيفن يشعر بحزن بالغ كلما فكر في هذه الامور.

لا شك في أن ليزي بنتيا الصغيرة التي اعتمدت في حياتها على ما حباها الله من قوة فطرية هي عميقة المعرفة بمسالك الطفولة. ولكن ماذا عن انجل والندا ابنة الرابعة والعشرين التي كتب لها أن تترك ابنها يتيماً؟ ما هي وصيتها لابنها الصغير؟

لا شك في أن هذا سؤال صعب حتى على فتاة رفضت اللجوء الى البكاء صغيرة. ولكن حين واجهت انجل هذا السؤال التمعت عيناها الزرقاوان وافتر ثغرها عن كلمات عكست الشجاعة اياها التي أبداها ابنها عندما سار على السلك: "هناك أشياء كثيرة، ولكن خلاصة القول اني أريد أن يتطلع ابني الى ما يملكه في ذاته، لا الى ما يفتقر إليه. فاذا فعل ذلك وفقه الله وغدا في أحسن حال."

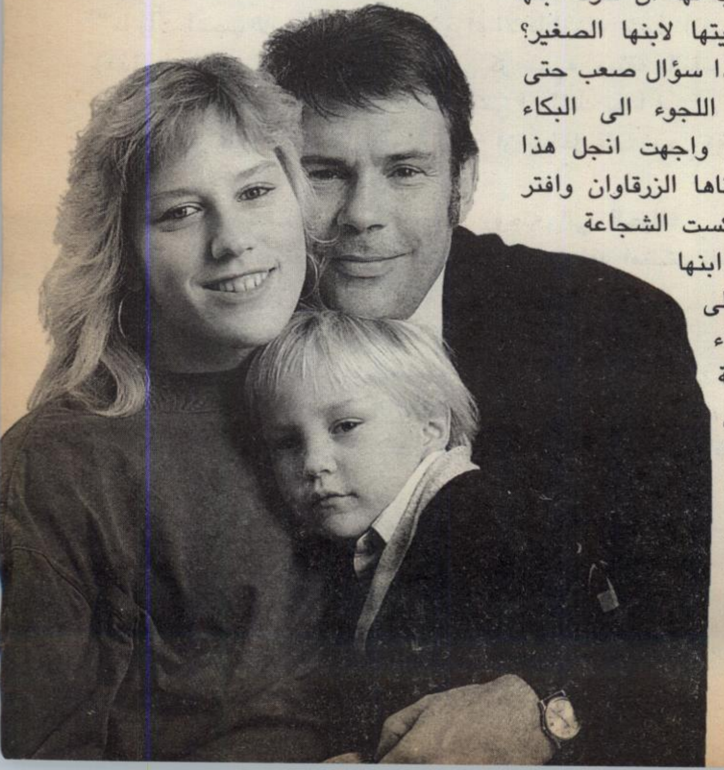

وكم تبقى لها من العمر؟

لم تطرح انجل هذا السؤال قط. ولطالما منعت الاطباء من إخبارها بذلك. تقول: "لا يعلم الاطباء ما كتب لي من عمر. الله وحده هو العالم. وفي أي حال، لا أريد أن أعرف أبداً متى تأذن ساعتي. هل فكرتم يوماً في الفوضى التي ستعم العالم اذا علم كل انسان ما يخبئه له القدر؟ سأعيش حياتي كاملة ما دمتِ قادرة على ذلك."

وتضيف انجل: "لقد زادتني طفولتي المعذبة قوة. فلو عشت حياة هانئة في كنف أناس أحسنوا رعايتي، لما استطعت جبه ما جدَّ عليّ من مصاعب."

منذ القِدم والفلاسفة والعلماء حائرون في منابع الايمان والقوة الروحية المتمثلة في أشخاص مثل انجل والندا، تلك المرأة التي ذاقت من الحياة قساوة بالغة. فأين وجدت هذا الايمان الذي لا ينفك الناس العاديون يحاولون بلوغه في حياتهم اليومية؟

تجيب انجل ببساطة: "وهبني الله كل ما احتجت إليه. فأنا وُلدت هكذا. والله، عز جلاله، يمنح الجميع هذه النعمة، وما علينا سوى الافادة منها."

لم تنسَ انجل يوماً تلك التجربة التي عاشتها وهي في الخامسة من عمرها، فما زالت تذكر "زيارة" الطيف الذي مدها بالراحة والسلام وبشعور لذيذ بالتخصيص. تقول: "ما زلت أعجب لأني رأيت شيئاً لا يراه الا قليلون... شيئاً أبعد من مادة هذا العالم. وهذا ما زادني ايماناً بالله القادر على كل شيء، وبثقة بالنفس لازمتني الى اليوم.

"أنا أدرك أني لا أفهم كل شيء، لكني لم أشك يوماً في أن الامور تحدث وفق ما أراد الله عز وجل. واني آمل - وأصلي - أن يداخل قلب زوجي وقلب ابني مثل شعوري هذا."

فما رأي ستيف والندا في نظرة زوجته الى الحياة؟

يقول: "مذ التقيتها وأنا أفكر في هذه الامور. لقد امتلكت نفسها حقاً ذلك السلام المعطى الذي يفوق كل ادراك."

وكيف سيواجه فقدان انجل؟

أجاب وقد طغت الرقة على صوته الأجش الخفيض الممزوج بلكنة أجداده الالمان: "انجل دائمة العطاء، تمنح من ذاتها بلا حساب. تلك هي طبيعتها وسر جمالها. يقولون انها ستموت. ونحن على استعداد لتقبل هذا الواقع الذي هيأتنا انجل لتقبله بنفس رضية."

وصمت ستيف والندا برهة يفكر في ما قاله، ثم أضاف: "نعم، نحن على استعداد."

هنري هورت ■

ترجمة فريد شديد

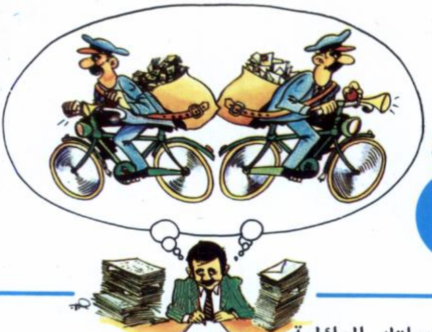

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية
أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى
وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت،
شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.

PRIVATE COLLECTION; COURTESY OF FISCHBACH GALLERY, NEW YORK CITY

"الازرق" - مائية للفنانة الامريكية نانسي هاغن، ١٩٨٣